السبت 12 آب 2023
العدد 4983 السنة السابعة عشرة
Samedi 12 AOÛT 2023 nº 4983 17ème année

28 صفحة
50000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

آنّا أخماتوفا
لستُ أدافع
عن صوتي،
بل عن
صمتي

محاولة لضم المخيمات إلى نطاق عمل قوات الطوارئ في الجنوب

فرنسا تعرض تسوية مع أفخاذ! [2]

المحاصصة تطفئ TL

[7 ـ 6]

(هيثم الموسوي)

فلسطين

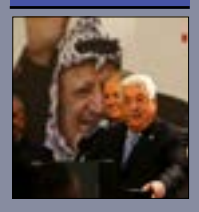

حملة «تطهير» في صفوف السلطة
10

تقرير

أميركا - إيران
اتفاق محدود في خضمّ التصعيد
12

قضية

انتفاضة الكرة الأفريقية «ترعب» كبار أوروبا
14

البلاد

حكاية عين الحلوة

16

تل الزعتر: الأرض محاصرةً في المستقبل

19

المشهد السياسي

قرار التمديد لليونيفل... دعم روسي وصيني
هل يفكّك لبنان أفخاخ المسوّدة الأولى؟

تغادر في 22 آب الجاري، إلى نيويورك، بعثة لبنان الرسمية لمواكبة جلسات النقاش التي تسبق إصدار مجلس الأمن قرار التمديد لقوات اليونيفل في 31 آب الجاري. البعثة التي يرأسها وزير الخارجية والمغتربين عبدالله بو حبيب، استبقت موعد المغادرة بالتنسيق مع مندوبة لبنان بالوكالة في مجلس الأمن المستشارة جان مراد لتعديل بنود واردة في مسوّدة القرار الذي حصل لبنان على نسخة منه، وبُعد بمثابة عدوان سياسي بالنظر إلى حجم "الفظائع" الواردة في المسوّدة - "الفخ".

تميل قيادة القوات العاملة في الجنوب إلى إنتاج تسوية، يحاول الجانب الفرنسي صياغتها على شكل اتفاق

وتشير المعطيات الأولية إلى أن "اللوبي" الأميركي - الصهيوني وحلفاءه "لن يأبهوا بالملاحظات التي أرسلها لبنان على المصطلحات والأطر الواردة في المسوّدة. وقد يكتفون بمناقشة مطالب لبنان بتعديل مبدأ حرية الحركة الذي ورد في قرار التمديد لعام 2023 ويمنحون دوريات اليونيفل صلاحية التحرك والتفتيش من دون التنسيق مع الجيش اللبناني". علماً أن مراد كانت قد التقت مندوب فرنسا الدائم في مجلس الأمن وأبلغته بملاحظات لبنان على بعض ما ورد في المسوّدة.

وبحسب معلومات "الأخبار" فإن "المندوب الفرنسي أعرب لمراد عن تجاوبه مع الملاحظات اللبنانية". لكنّ الجانب الفرنسي يبدو تحت ضغط مطالب متنوّعة من الأميركيين ومن خلفهم إسرائيل، وبعضها الآخر من بريطانيا ودول أعضاء في قوة اليونيفل. وهؤلاء، يعتقدون أن الوقت مناسب لزيادة صلاحيات القوة الدولية، وهناك نقاش خطير حول هذه النقطة. بحسب المعلومات، فإن الجانب الإسرائيلي عمل بقوة خلال الفترة الماضية على جمع معطيات متنوّعة تستهدف اعتبار ما يقوم به حزب الله في أكثر من منطقة بمثابة خرق متعمّد للقرار 1701، وإن على الأمم المتحدة المبادرة إلى خطوات لكبح جماح الحزب، خصوصاً أن العدو يعتبر أن الحزب أطاح القرار الدولي، وأنه ينشر قواته بشكل واضح في كل المنطقة.

شيّعت بلدة الكحالة أمس ابنها فادي بجاني، الذي قُتل الأربعاء الفائت خلال إطلاق النار الذي حصل عقب انقلاب شاحنة لحزب الله عند كوع الكحالة. وفي التشييع الشعبي الذي غابت عنه الكلمات السياسية، ترأس صلاة الجناز والدفن رئيس أساقفة بيروت للموارنة المطران بولس عبد الساتر، واصفاً ما حصل بـ«مأساة وطنية لا يجب أن تتكرّر أبداً ولأيّ سبب كان». ودعا إلى زيادة الجهود لتحقيق الأمن وأخذ الإجراءات الوقائية التي «تمنع اللجوء إلى السلاح والاقتتال بين أبناء الشعب الواحد أو المنطقة الواحدة». وطالب عبد الساتر بـ«دعم وتفعيل القضاء حتى يصل كل صاحب حق إلى حقه بالسبل الصحيحة»، حاثّاً كل زعيم وقيادي ونائب ووزير ورئيس بلدية ومختار إلى «العمل الحثيث على منع الاحتقان الطائفي وعلى نبذ الأحقاد ورفض التعصّب المناطقي والحزبي والديني».

(الأخبار)

الأمر الآخر، تناول ملف المخيمات الفلسطينية، حيث تسرّبت إلى البعض محاولات من جانب إسرائيل وحتى من قبل جهات لبنانية، بأن على قوات الطوارئ الدولية تنفيذ القرار في كل مناطق عملها، وبالتالي فإن المخيمات الفلسطينية الواقعة ضمن نطاق عمل القوة الدولية، يجب أن تكون خاضعة لسلطة القرار 1701، ما يعني العمل على نزع السلاح الموجود فيها، وتأمين حضور قوات الطوارئ فيها.

عملياً، يستفيد الراغبون بتسوية من المعطيات الواقعية، خصوصاً لجهة أن الوضع على الأرض ليس كما يعتقده من هم في نيويورك، وحزب الله لا يمارس حرباً على القوة الدولية، ولكنه يقوم بالأعمال التي يراها مناسبة في مواجهة الخروقات والاعتداءات الإسرائيلية. ولذلك، تميل قيادة القوات العاملة في الجنوب إلى إنتاج تسوية، يحاول الجانب الفرنسي صياغتها على شكل اتفاق، يبقى بند حرية التحرك للقوات الدولية، ويزيد عليه أهمية التنسيق العملياتي مع الجيش اللبناني لمنع وقوع أي أحداث غير متوقّعة. ويعتقد الفرنسيون أن لبنان وحزب الله سيقبلان بهذه الصيغة.

ويقول مصدر دبلوماسي، إن نسخة المسوّدة الأولى للقرار، تبدو في بعض جوانبها "أسوأ بكثير من نسخة العام الماضي". ويقرأ المصدر من المسوّدة استخدام كلمة "تحسينات" في معرض الحديث عن "الخدمات التي أجرتها إسرائيل في الجزء الشمالي لبلدة الغجر من تنظيم مدني وخدمات، فيما تجاهلت بأنها تحتل أراضي لبنانية حُرّرت عام 2000". وفيما لا يخجل الدوليون من نسب "التحسينات" إلى قوات الاحتلال، "تجاهلوا طلب لبنان تعديل تسمية شمالي الغجر بخراج بلدة الماري". كما ورد في القرار "الطلب من الجيش فرض سيطرته وسحب السلاح غير الشرعي من المجموعات، في حين أن البند ذاته الذي ورد في قرارات الأعوام الماضية كان يستخدم مصطلح الفصائل (متضمّنة اللبنانية والفلسطينية) وليس المجموعات، ما يشير إلى أن مجلس الأمن يتعمّد حصر الأمر بحزب الله". وتطرّقت مسوّدة القرار إلى الترسيم البحري بصيغة "تشير إلى أن لبنان وإسرائيل تفاوضا على طاولة واحدة". وبدل أن يركز واضع المسوّدة على الاعتداءات الإسرائيلية والخروقات البحرية والجوية والبرية المستمرة، استفاض في سرد وعظ سياسي حول الشأن الداخلي ومطالبة لبنان بانتخاب رئيس للجمهورية ومتابعة التحقيق في انفجار مرفأ بيروت.

(الأخبار)

الدبلوماسيون يسألون: أين مواقع «أخضر بلا حدود»؟

أبرز ما تساءل عنه السفراء والقائمون بالأعمال والملحقون العسكريون الذين شاركوا في الجولة التي نظّمها الجيش اللبناني لممثلي الدول الأعضاء في مجلس الأمن، تركّز على جمعية "أخضر بلا حدود" التي تتهمها إسرائيل بأنها غطاء لحزب الله وأنشطته العسكرية على الحدود الجنوبية. ومن المحطات التي شملتها الجولة بعيداً عن وسائل الإعلام، خراج بلدة رميش حيث توجد نقطة متحفّظ عليها. وعلى مقربة منها، قامت الجمعية بتشجير أراض. كما زار الوفد تلة العباد في خراج بلدة حولا حيث تتقابل ثكنة العدو الضخمة مع خيمة تابعة للجمعية، لا تتوانى إسرائيل عن الشكوى منها.

ويُتوقع أن يستمر التصويب على "أخضر بلا حدود" في مناقشات مجلس الأمن على هامش التمديد لليونيفل، إضافة إلى بند جديد أضيف إلى لائحة التحريض الإسرائيلي، ويتعلق بالخيمة التي نصبتها المقاومة في محيط مزرعة بسطرة على بعد كيلومترات من السياج الشائك.

كما تضمّنت مسوّدة القرار تصعيداً عالي السقف بسبب الحادثة التي تعرّضت لها آلية تابعة للوحدة الإيرلندية سلكت مساراً مختلفاً عن المسار المعتمد للآليات نهاية العام الماضي. وبرغم أن القضاء اللبناني أصدر قراراً ظنياً بحق المشتبه بهم، إلا أن المسوّدة تتهم لبنان بالتقصير والتواطؤ.

وتعتمد المسوّدة على التقارير التي ترفعها اليونيفل عما تعتبره خرقاً أو حركة مشبوهة في منطقة جنوبي الليطاني من دون التركيز على الخروقات الإسرائيلية اليومية براً وبحراً وجواً.

تقرير

انتخابات «الشرعي» بين السنيورة والمستقبل
«أم المعارك» في بيروت

لينا فخر الدين

رغم مرور أكثر من أسبوع على دعوة مفتي الجمهوريّة الشيخ عبد اللطيف دريان الهيئات الناخبة إلى انتخاب مجلس شرعي إسلامي أعلى جديد، إلا أنّ أي ترشيح لم يُقدَّم بعد إلى مديريّة الأوقاف الإسلاميّة، علماً أنّ الماكينات الانتخابيّة في بيروت والمناطق دارت جدياً وبات البحث في التحالفات والأسماء حديث الساعة في صالونات القوى السياسية السنيّة.

ومن الواضح أن «أم المعارك» ستكون في بيروت تحديداً وتنسحب على بقيّة المناطق، بين لائحة يدعمها الرئيس فؤاد السنيورة وحلفاؤه في مواجهة أخرى تضمّ كلّ خصوم رئيس الحكومة السابق، يتقدمهم تيار المستقبل، إلى جانب شخصيات سياسية ودينيّة وقضائيّة.

ويُدرك «المستقبليون» جيّداً حساسيّة معركة انتخابات «الشرعي» الجديد، إذ أنه سيكون من ضمن الهيئة الناخبة التي ستختار مفتياً جديداً خلفاً لدريان عام 2025. لذلك، يطمح التيار الى إعادة الامساك بالشارع السني عبر ضرب السنيورة وحلفائه في المقام الأول، وهذا ما دفع «الجناحين المتخاصمين» داخل التيار إلى رص الصفوف. ويندرج في هذا السياق اجتماع ضم أول من أمس الأمين العام للتيار أحمد الحريري ورئيس جمعية بيروت للتنمية الاجتماعية أحمد هاشميّة، وكانت انتخابات «الشرعي» البند الوحيد فيه بحسب ما علمت «الأخبار».

مع ذلك، لن يخوض «التيار الأزرق» معركته علناً، بل سيكون داعماً

> **بدأ تيار المستقبل رص صفوفه استعداداً لمعركة إطاحة السنيورة**

لـ«مجموعة نوعيّة من النخبة السنيّة تكون فيها الأولويّة للكفاءة على الانتماء السياسيّ» بحسب مصادر مطلعة.

في المقابل، تشير مصادر متابعة إلى أنّ السنيورة يضع اللمسات الأخيرة على لائحته، لكنّه يفضل عدم الإعلان عنها باكراً في انتظار «اتضاح قواعد اللعبة». ويتردّد أنّه سيكون هناك تحالف من تحت الطاولة بين السنيورة ورئيس المحاكم الشرعية السنيّة الشيخ محمّد عسّاف والمستشار القاضي عبد الرحمن الحلو، بعدما وعدهما بتجيير «مفاتيحه» في السعوديّة وقطر والإمارات لمصلحة الأول في معركة الإفتاء، والثاني في مساعيه للحلول محل عساف في رئاسة المحاكم. كما يعمل رئيس الحكومة السابق على خرق بعض المجموعات الإسلاميّة للتحالف معها.

بحسب المصادر، تشدّد أوساط دريان على أنه لن يتدخّل في هذه المعركة، لكنه سيحتفظ لنفسه، كما جرت العادة، بحق «الفيتو» على بعض الأسماء المستفزّة من اللائحتين.

تقرير

درويش رئيساً لبلديّة بيروت بمعارضة «الجماعة»

لم تخرج جلسة مجلس بلديّة بيروت، أمس، لانتخاب رئيس للمجلس خلفاً للرئيس المستقيل جمال عيتاني، عمّا كان متوقّعاً، سوى أن «الجماعة الإسلاميّة» رفضت رفع «الراية البيضاء» باكراً، والقبول بعبد الله درويش رئيساً بالتزكية، على خلاف بقية القوى السياسية السنيّة والمسيحيّة.

ومع إدراك «الجماعة» استحالة وصول ممثلها في المجلس، مغير سنجابة، إلى الرئاسة، عمد الأخير، بحسب مصادر في المجلس، إلى محاولة إقناع بعض الأعضاء السنّة بالترشّح مقابل درويش، واعداً إياهم بتأمين أكثر من 5 أصوات، إلا أنه لم يلقَ استجابة إلا من عضو المجلس هدى الأسطى التي كانت ترفض أساساً فكرة التزكية وتنوي الترشح مع تيقّنها مسبقاً من الخسارة.

وفيما تردد أن رفض التصويت لدرويش هو قرار قيادي، نفى سنجابة ذلك وأشار إلى إن الأسطى مدعومة من مجموعة «إرادة» (وهي جمعية تضم نحو 400 من رجال الأعمال السُنّة، غالبيّتهم «بيارتة»، ويدورون في فلك الجماعة وجمعية الإرشاد والإصلاح). وتردّد أنّ وفداً من «إرادة» زار محافظ بيروت القاضي مروان عبود قبل أيام وأبلغه رفضه تولّي درويش رئاسة البلديّة.

وبعدما حوّلت الأسطى جلسة الانتخاب إلى «مناظرة» بينها وبين خصمها استمرت أكثر من 40 دقيقة، مطالبة بإصلاحات وبأسلوب عمل جديد يختلف عن العهد السابق، لم تنل إلا صوتين (صوتها وصوت سنجابة)، مقابل 14 صوتاً لدرويش، فيما صوّت اثنان من أعضاء المجلس بورقتين بيضاوين، رجّحت مصادر أن تكون إحداهما لجوزيف طرابلسي المحسوب على التيار الوطني الحر، ولكن بقرار منه باعتبار أن التيار لم يتدخّل في عمليّة الانتخاب، كما أنّ العضو الثاني المحسوب عليه صوّت لدرويش. وتردّد أن الورقة البيضاء الثانية تعود إلى عضو المجلس عماد بيضون المحسوب على «الثنائي الشيعي» بعدما أصرّ نائب رئيس البلدية إيلي أندريا على أن يتراس البلدية أيلي أندريا على أن يتراس البيضون الجلسة كونه الأكبر سناً.

وبعد انتخابه، أكّد درويش لـ«الأخبار» أنّه «سيقوم بكل ما يلزم رغم الظروف المالية التي يمر بها لبنان ليكون عند حسن ظن أبناء بيروت»، مشدّداً على أنّه سيُحاول التعاون مع الجميع لتنفيذ مشاريع إنمائيّة تخدم العاصمة وأبناءها.

لينا...

تقرير

«انشقاق» في الزعامة السكافية في زحلة

(هيثم الموسوي)

فيما يخيّم هدوء بين القوى السياسية المتناحرة في زحلة، يتفاقم الخلاف العائلي بين رئيسة الكتلة الشعبية ميريام سكاف ضد الكتلة الشعبية، بل يعملون على محاربتي بابني» كما تقول لـ«الأخبار»، مشيرة أن «إلياس سكاف لا يبادل بهكذا معاملة». في المقابل، يشير جوزيف سكاف الذي انقطع التواصل بينه وبين والدته رغم أنهما لا يزالان يسكنان معاً، إلى «تمايز» بينهما في «مواضيع عدة»، نافياً أن يكون هناك أي «تحريض من أحد» ضد والدته. وقال سكاف الابن لـ«الأخبار» إنه يطالب بـ«حقوقي والقيم المالية المستحقة لي من بدلات ضمان الأراضي» التي له حصة فيها. وكذلك، إعادة فتح أبواب منزل الزعامة السكافية في زحلة، مشيراً إلى أن «منزل والدي مقفل منذ 13 سنة، وأريد إعادة فتحه ليستقطب كل أهالي البقاع كما كان على أيام جدي جوزيف ووالدي إلياس».

وعلى الرغم من تدخل كل من والد ميريام، النائب السابق جبران طوق، وشقيقها النائب وليم طوق، لاحتواء الخلاف والتمني على سكاف الابن عدم التطرق إلى موضوع الإرث، أوكل الأخير إلى المحامية ميريام جبر توجيه إنذارات إلى ضامني أراضي إلياس سكاف تطالبهم بإيداع موكلها حصته المالية، ما يعني عدم دفع كامل قيمة ضمان الأراضي لوالدته كما هو معمول به منذ وفاة الوزير السابق قبل ثماني سنوات.

الخلاف مثّل فرصة لسياسيين وإقرباء ممّن يريدون «الثأر» من رئيسة الكتلة الشعبية للاستثمار فيه. فرتّب داني الرشيد، أحد المقربين من الوزير السابق سليم جريصاتي، زيارات لسكاف الابن شملت بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للروم الملكيين الكاثوليك البطريرك يوسف العبسي في دمشق، وراعي أبرشية الفرزل وزحلة والبقاع للروم الملكيين الكاثوليك المطران إبراهيم مخايل إبراهيم، وعدداً من قادة الأجهزة الأمنية والعسكرية، ووزراء ونواباً حاليّين وسابقين. وتُرجمت «مَوْنة» جريصاتي، بحسب المصادر، انحيازاً من البطريرك والمطران لمصلحة الابن ضد والدته التي تتهم في مجالسها جريصاتي والرشيد بتحريض ابنها ضدها. وهو ما ينفيه جريصاتي تماماً، مشيراً إلى أنه لا يزور زحلة «ولم أفتح منزلي ولا أتعاطى في الشأن السياسي المحلي». فيما رفض الرشيد التعليق على «موضوع عائلي بإمكان ميريام تسويته وهي الوحيدة القادرة على إنهاء هذا الإشكال».

يشار إلى أن سكاف الابن بدأ أخيراً ينشط في المدينة بشكل مكثّف، فشارك أخيراً في إحياء خميس الجسد الذي يعتبر عيداً استثنائياً في المدينة، إلى جانب تلبيته دعوات إلى مناسبات عائلية واجتماعية. وهو تمكّن من اجتذاب قسم من أنصار الكتلة الشعبية الغاضبين من ميريام بعد إغلاقها منزل العائلة، وممّن يتّهمونها بإخماد حضور الكتلة سياسياً وشعبياً وفق ما أظهرته نتائج الانتخابات النيابية والبلدية الأخيرة. ويؤكد هؤلاء أن المدينة بحاجة إلى «زعامة شابة للحفاظ على إرث الوالد والجدّ». ويضاف إلى هؤلاء بعض الاقرباء الذين يختلفون مع ميريام عائلياً وسياسياً، في مقدمهم ميشال سكاف الملقّب بـ«ميمو»، وشانتال سكاف زوجة جده التي يزورها سكاف الابن دورياً في باريس ولندن، ويتردد أنها تنوي تجيير إرثها إليه لعدم وجود وريث لها. وتخشى مصادر زحلية من أن تؤدي التدخلات ومحاولات تأجيج الخلاف بين سكاف ووالدته إلى اغلاق هذا البيت السياسي إلى الأبد.

(الأخبار)

> **اتهامات لجريصاتي وأقرباء بتأجيج الخلاف بين سكاف وابنها**

تقرير

«استجواب» في «المهندسين»

جلسة هيئة المندوبين في نقابة المهندسين ليل اول من أمس، والتي تأخرت لأشهر من أجل التصويت على قطع حساب السنة الماضية وموازنة عام 2024/2023، لم تُقدّم أي جديد، باستثناء الاتفاق على جلسة ثانية الخميس المقبل، بعد اكتشاف «أخطاء حسابية في الموازنة وأرقام متضاربة فيها تجعل منها غير مكتملة»، إضافة إلى الأخطاء في قطع الحساب. وبدلاً من أن تكون الجلسة مخصصة لهذين الموضوعين، امتدّت لأكثر من 3 ساعات من دون نتيجة، وتحوّلت إلى حلقة «استجواب» و«استجواب مضاد» بعدما حضرها أمين المال السابق شارل فاخوري، رداً على الاتهامات التي تُساق ضده بالاختلاس و«الفرار» خارج البلاد. وكان فاخوري «نجم» جلسة المندوبين بعدما قرّر المواجهة وقدّم روايته المغايرة لرواية نقيب المهندسين عارف ياسين. الأخير اتهم فاخوري بارتكاب مخالفة قانونيّة لأنّ العهدة الماليّة كان يجب أن تُسلّم إلى مكتب التدقيق الداخلي بعدما سلّم الخزنة فارغة بموجب محضر تعهّد فيه بتسليم الفواتير.

في المقابل، قلب أمين المال السابق الأدوار لافتاً إلى أنّه تعرّض لـ«خديعة» من ياسين الذي لم يضع آلية واضحة لتسلم مبلغ الـ103 آلاف دولار منه، مشيراً إلى أنه أودع المبلغ لدى محاميه الذي كان يتواصل مع محامي النقابة، ليُفاجأ بإنذار موجه ضده. وأشار إلى دعوى قدّمها ضد النقابة ممثلة بياسين بعدما أودع مبلغ الـ103 آلاف دولار في عهدة النيابة العامة الماليّة، ملمّحاً إلى أنه يحضّر لسلسلة دعاوى سيُقدّمها ضد النقابة، ومؤكداً أنّ الملفات التي بحوزته لن يُظهرها إلا في القضاء.

وحمّل فاخوري مسؤولية الأخطاء الحسابيّة في قطع الحساب إلى أمين المال الحالي علي درويش، مؤكداً أنّ العجز لا يتعدّى الـ7 ملايين دولار كما أورد في قطع الحساب الذي أعدّه سابقاً، فيما أشار درويش إلى أنّ العجز يتخطّى الـ10 ملايين دولار. كما تحدّث فاخوري عن «إهمال» درويش الذي لم يأخذ بالأوراق الماليّة التي قدّمها له.

وكان لافتاً منع ياسين عرض الجلسة عبر الصفحة الخاصة للنقابة على «فايسبوك» كما جرت العادة، ما أزعج الكثير من المندوبين الذين قاموا بتصوير المداخلات التي جرت خلال الجلسة وتوزيعها على بعضهم البعض.

(الأخبار)

الضمان لا يدفع أكثر من 10٪ من كلفة الاستشفاء (مروان بو حيدر)

قضية

من 50 مليون دولار شهرياً في 2018 إلى 300 ألف دولار في 2023

بؤس تقديمات الضمان

يقول المدير العام للصندوق الوطني للضمان الاجتماعي، محمد كركي، في تقرير رفعه إلى مجلس الإدارة أخيراً، إن صندوق ضمان المرض والأمومة حقّق في الأشهر الخمسة الأولى من السنة الجارية وفراً بقيمة 672 مليار ليرة، إذ جرى تحصيل مبلغ 851 مليار ليرة مقابل إنفاق 150,7 مليار ليرة منها 30,5 مليار ليرة على تقديمات لأفراد (فواتير طبابة)، و120,1 مليار ليرة على تقديمات استشفائية (داخل المستشفى). وهذا يعني أن الوفر المقدّر في نهاية السنة سيبلغ 1600 مليار ليرة أو ما يعادل 18 مليون دولار نقداً أو 107 ملايين دولار وفق سعر الصرف المعتمد رسمياً.

هذه الأرقام مثيرة للدهشة، إذ كيف يمكن أن يحقّق صندوق المرض والأمومة «المكسور» منذ سنوات، وفراً تتغنّى به الإدارة أمام مجلس إدارة شبه معطّل؟ الإجابة تكمن في الآتي: التقديمات باتت شبه متوقفة في الصندوق، أي إن المضمونين والذين على عاتقهم لا يحصلون على الحدّ الأدنى من الرعاية الطبية.

فمجموع ما أنفق عليهم يبلغ 150,7 مليار ليرة، أي ما يعادل 1,69 مليون دولار بمعدل 338 ألف دولار شهرياً. وإذا قدّرنا أن هذه الوتيرة من الإنفاق ستستمر لغاية نهاية السنة الجارية، فإنها ستبلغ 4 ملايين دولار، أي ما يوازي 0,02% من الناتج المحلي الإجمالي المقدّر أن يبلغ 16,2 مليار دولار في نهاية السنة الجارية وفق صندوق النقد الدولي. في السابق، أي في عام 2018، أنفق ضمان المرض والأمومة نحو 915 مليار ليرة أو ما يوازي في ذلك الحين 610 ملايين دولار، أي ما نسبته 1,2% من الناتج في ذلك الوقت، أي إن حجم التقديمات سيتراجع من 610 ملايين دولار إلى 4 ملايين دولار. وهذا المسار الانحداري ورد في تقرير أعدّه خمسة أعضاء في مجلس إدارة الضمان (فضل الله شريف، رفيق سلامة، عادل عليق، أنطوان واكيم، غسان غصن) مشيرين إلى أن استمرار التقديمات الصحية بالوتيرة نفسها يعني أنها «في نهاية السنة ستبلغ 360 مليار ليرة، أي أقلّ من كلفتها الإدارية الموجودة في الموازنة والمحدّدة بنحو 370 مليار ليرة». ويضيف الأعضاء الخمسة، إن فرق تقديمات الطبابة والاستشفاء بين عامَي 2018 و2023 (بالدولار) انحدار بنسبة 161 درجة. أما إذا أخذ في الاعتبار ما ورد في مشروع موازنة 2023 التي تقدّر زيادة التقديمات إلى 6730 مليار ليرة، فإن «سرعة الصعود ستكون 19 درجة (ضعفاً)».

بهذا المعنى، يقول تقرير الأعضاء الخمسة: «أرقام التقديمات وإن كانت أرقاماً صادمة، فإن مجملها يذهب إلى مقدمي الخدمات وخصوصاً المستشفيات الذين تنصّلوا من التزام بتعرفات الصندوق الرسمية وفرضوا على المضمونين تعرفاتهم الخاصة التي وضعوها وفق مصالحهم. واحجمت المستشفيات عن استقبال المرضى قبل أن يسددوا سلفاً كامل فاتورة الاستشفاء، وأحياناً بالدولار النقدي».

ويستغرب الأعضاء الخمسة كيف تحقق الوفر في الضمان على أيدي المدير العام: «لم يرفق بمشروع الموازنة الدراسات والإحصاءات اللازمة لتوضيح كيف تأمّن الوفر في صندوق المرض والأمومة، وكيف تمكّن هذا الوفر من تغطية الديون المترتبة على هذا الصندوق، ومنها المبالغ المستلفة من أموال نهاية الخدمة، وقيمة استمارات المرضى المتراكمة من دون تصفية، وكيف تمكّن أيضاً من إعادة تكوين الاحتياط القانوني البالغ ما يزيد عن ألف مليار ليرة».

لا بل هناك ما هو أسوأ من ذلك، إذ إن زيادة التعرفات التي أدّت إلى ارتفاع التقديمات لتصبح في مشروع موازنة 2023 بنحو 6730 مليار ليرة «صدرت بصورة غير قانونية ولن تكون لها بالتالي الآثار الإيجابية المنتظرة. لقد اتخذ المدير العام لأمانة سر الصندوق مستعملاً صلاحيات مجلس الإدارة ثلاثة قرارات عدّل بموجبها: تعرفات غسل الكلى، التعرفات العائدة للأعمال الطبية والاستشفائية، وأسعار الأدوية». ويشير هؤلاء إلى أن «زيادة التعرفات الإدارية، ورئاستها، فحوّلتها من أدوات للتغيير والتعبير عن صوت الموظف إلى «مجالس وجاهة، لا من المضمونين ضمن تعرفة رسمية»، كما أن الفروقات بين الواقع الفعلي وبين ما ورد في الموازنة بالتزامن مع التعديل غير القانوني للتعرفات، أدّى إلى التمييز بين المستفيدين من الضمان فاصبحت فئات تحصل على تغطية أكبر من فئات أخرى».

(الأخبار)

> **المدير العام للضمان يتحدّث عن وفر بقيمة 672 مليار ليرة في الأشهر الخمسة الأولى من 2023**

تطوّر نفقات صندوق المرض والأمومة بحسب تقلبات سعر الصرف

السنة	مجمل قيمة التقديمات (ليرة لبنانية)	النفقات بالدولار (سعر الصرف السوقي بنهاية السنة)
2018	915	605
2019	846	400
2020	574	68
2021	520	18,8
2022	350	8
2023 (أول 5 أشهر)	150	1,68

تكريس الإفلاس

يشارك عدد من أعضاء مجلس إدارة الضمان الاجتماعي، مدير الضمان، في هدم ما تبقّى من الصندوق كأن هناك اتفاقاً تحت الطاولة بينهم وتبادلاً للأدوار في ظل عدم وجود لجنة فنية وبحضور مدير الظل، والقائد الفعلي للضمان، رئيس الهيئات الاقتصادية محمد شقير.

كذلك، تشارك قوى السلطة في مجلسَي الحكومة والنواب، بتعطيل أي عمل تطويري يتعلق بالضمان الاجتماعي في محاولة لإنقاذ أرباب العمل من تسويات نهاية الخدمة التي ستترتب عليهم، إذ يناقشون فقط مشروع قانون التحوّل من صندوق نهاية الخدمة إلى صندوق تقاعدي وتضمينه بنداً يلغي تسويات نهاية الخدمة التي يفترض أن يدفعها أصحاب العمل للمضمان والتي تقدّرها منظمة العمل الدولية بنحو 40 ألف مليار ليرة. التعطيل يشمل كل المحاولات الهادفة إلى تعزيز إيرادات الضمان المتصلة مباشرة بزيادة الأجور وبالحدّ الأقصى للكسب الخاضع للاشتراكات (حدود الأجر التي يتم إخضاعها للاشتراكات).

تقرير

1.5 مليار دولار سياحة اللبنانيين في الخارج

يقدّر رئيس نقابة أصحاب مكاتب السفر والسياحة جان عبود أن تفوق كلفة السياحة الصادرة من لبنان إلى الخارج، مبلغ 1,5 مليار دولار وأن تصل إلى المليار دولار في نهاية السنة الجارية. ورغم أن أرقاماً كهذه قد تبدو هائلة ومبالغ فيها، إلا أنّ التقارير الإحصائية التي يصدرها مصرف لبنان عن تفاصيل ميزان المدفوعات تدعم هذا الكلام، إذ تشير إلى أنه في عام 2022 بلغت كلفة السياحة الصادرة من لبنان 3,2 مليارات دولار، في مقابل عائدات السياحة الوافدة إلى لبنان بقيمة 5,1 مليارات دولار. ووفق توقعات صندوق النقد الدولي، فإنه في عام 2023 يتوقع أن تبلغ قيمة السياحة الصادرة نحو 3 مليارات دولار مقابل سياحة وافدة بقيمة 5,5 مليارات دولار. وفق تقديرات عبّود، فإن عدد المقيمين في لبنان الذين سافروا إلى الخارج بقصد السياحة، يُراوح ما بين 200 ألف مسافر و225 ألف مسافر من لبنان. وهذا الرقم لا يشمل أولئك الذين يسافرون عبر خطوط طيران الشرق الأوسط أو الرحلات الخاصة. ويلفت إلى أن عدد المسافرين على متن الرحلات الخاصة قد يبلغ 50 ألفاً، وأن شركة طيران الشرق الأوسط زادت عدد الرحلات إلى وجهات محدّدة يقصدها اللبنانيون أو المقيمون في لبنان بهدف السياحة مثل نيس. وهذه الوجهات تنطوي على أكلاف كبيرة، سواء ما يتعلق بتذاكر الطيران أو بالإقامة الفندقية فضلاً عن نفقات يومية كبيرة.

لكن الوجهة الأساسية للغالبية المقيمة في لبنان، ما زالت تركيا، تليها اليونان. تركيا مقصودة بوتيرة كبيرة لأن الأسعار فيها أرخص من أوروبا، وبالتالي فإن الشرائح الاجتماعية التي تذهب إلى هناك هي ليست مقتدرة بالمعنى الواسع، وذلك بعكس المقاصد الأكثر غلاء والأكثر كلفة التي ترفع المعدل الوسطي للإنفاق الفردي السنوي على السياحة في الخارج.

> **انتعاش في السياحة الصادرة في بلد يعاني من خسائر في قطاعاته المالية بقيمة 72 مليار دولار**

فبشكل عام، أصبح معدّل ما ينفقه السائح من لبنان يصل إلى 6 آلاف دولار، علماً أن هذا المعدل الوسطي لا يعكس الواقع والفروقات الهائلة بين مجموعات قليلة تنفق عشرات الآلاف الدولارات، وبين المجموعة الأكبر التي تنفق بضع مئات فقط. هناك شرائح لديها قدرات مالية هائلة بعكس قدرات أخرى تعتمد على مداخيل ظرفية ومحدودة.

رغم ذلك، يبدو أن أوروبا لم تعد مقصودة كثيراً من المقيمين في لبنان، ولا سيما بسبب «ارتفاع أسعار الإقامة الفندقية هناك والتي زادت كثيراً في آخر سنتين. ففي فترة جائحة كورونا انخفضت الأسعار كثيراً، ثم عندما فتحت الحدود والأجواء، بدأت ترتفع الأسعار بالتوازي مع موجة تضخّم عالمي، ما أدّى إلى ارتفاع الأسعار» يقول عبود.

في عام 2023 سيسجّل عدد المسافرين من لبنان بقصد السياحة انخفاضاً بنسبة 35% مقارنة مع 2018، إذ يشير عبود إلى أن الذين التحقوا بالسياحة الصادرة من لبنان بلغ قبل الأزمة نحو 350 ألفاً، إلا أنه في ذلك الوقت لم يزد إنفاقهم عن مليارَي دولار وفق التقارير التي ترد من منظمات دولية بهذا الخصوص.

ثمة تشكيك بهذه الأرقام، ولا سيما أن أرقام بند «خدمات السفر» التي ترد في حسابات الميزان الجاري الذي يصدره مصرف لبنان ويتبناه صندوق النقد الدولي، قد تبدو منفوخة جداً. وليس هناك من يملك أدنى فكرة عما يتضمنه هذا البند من معطيات تتيح لمصدري الأرقام تأكيدها. فمثلاً، كيف يمكن لمصرف لبنان أن يدقّق في إنفاق لبناني في الخارج إذا كان يستعمل حسابه الخارجي؟ وكيف يمكن معرفة ما أنفقه بالتحديد. عبود يحصر تقديراته بما ينفق من خلال سلّة عروض يحصل عليها السياح، سواء ما يتصل منها بتذاكر الطيران والإقامة. هناك أرقام خيالية تدفعها القلّة، وهناك أرقام قليلة تدفعها الغالبية. وفي المجمل إن مبلغ 1,5 مليار دولار يساوي 9% من الناتج المحلي المقدّر لعام 2023، أما إذا اعتمدنا على الرقم الوارد في بند «خدمات السفر»، فإن 3 مليارات دولار تساوي 18% من الناتج، وصافي البند بين الكلفة المدفوعة في الخارج، وبين عائدات السياحة الوافدة، سيبلغ في عام 2023 وفق تقديرات صندوق النقد الدولي نحو 2,5 مليار دولار، أي ما يعادل 15,5% من الناتج.

ويمعزل عن دقّة الأرقام ومدى نفخها، إلا أن الواقع يشير بوضوح إلى انتعاش في السياحة الصادرة في بلد يعاني من خسائر في قطاعاته المالية بقيمة 72 مليار دولار وسط شحّ في مخزون وتدفقات العملة الأجنبية تنعكس على جميع الخدمات الأساسية، مثل الكهرباء.

(الأخبار)

(هيثم الموسوي)

تقرير

الروابط على طريف الاتحاد العمالي: أداة للسلطة

فؤاد بزي

لم تترك السلطة أيّ سبيل للاعتراض على تصرّفاتها وتغوّلها على حقوق ومكتسبات الموظفين إلّا وسدّته. الروابط في ما مضى كانت أداة التغيير الحقيقي، تدرس الموازنات وقرارات الحكومة، وتضغط من أجل تعديلها لتتوافق مع مصلحة الموظف. لكن، عندما اكتشفت الأحزاب «قدرتها على فرض أجندات مغايرة وتغيير مسارات، قمعتها وعملت على تصفيتها بابشع الطرق، وحوّلتها إلى اتحاد عمالي عام لا يمثل أغلبيّة العمّال في لبنان»، يقول نقابيون.

للوصول إلى مشهد الاتحاد العمّالي العام، «عملت الأحزاب على إدخال الملتزمين بالأوامر الحزبيّة من الموظفين إلى الروابط لتعطيلها من الداخل». ثمّ أوصلتهم إلى الهيئات الإدارية، ورئاستها، فحوّلتها من أدوات للتغيير والتعبير عن صوت الموظف إلى «مجالس وجاهة، لا عمل لها سوى التطبيل لأركان الحكم، ومنع التظاهر والتحرّك أمام الوزارات، في حال كان الوزير ينتمي لنفس فريق سياسي ممثّل داخل الهيئة الإدارية».

الأمثلة كثيرة، والمخالفات بالجملة والمفرّق. أبرز الأمثلة رابطة موظفي الإدارة العامة الحالية، أو «رابطة بيانات» بحسب موظفين، إذ «تستمر بتمديد إضراب غير موجود على أرض الواقع». في الوقت الذي تعمل فيه كلّ الدوائر الحكومية من دون أيّ أثر لإضراب، أو تحرّكات مطلبيّة «تكتب بيانات كل 15 يوماً تجدّد إضراباً صورياً، ثمّ ينزل الموظف كاتب البيان، الداعي للإضراب إلى دوامه في اليوم التالي بشكل عادي».

«رابطة موظفي الإدارة العامة منتهية الولاية»، يؤكّد موظفون، و«رئيستها خرجت إلى التقاعد منذ سنوات. ولكن، الانتخابات معطّلة، بل ممنوعة كي لا يصل الموظف الفاعل إلى سدّة القرار». وأمام هذا المشهد، «تقف مديريّة الشؤون السياسيّة في وزارة الداخلية مكتوفة الأيدي، وهي المعنيّة بمراقبة عمل الروابط من ناحية الالتزام بالأنظمة الداخلية، والدعوة للانتخابات في حال المخالفة».

إلا أنّ الروابط المستقيمة من ناحية التمثيل والانتخاب، وضعها ليس أفضل حالاً. فروابط التعليم في القطاع العام (ثانوي، أساسي، مهني) تعاني من ذات المشكلة، غياب القدرة على الضغط، والارتهان للقرار الحزبي بشكل كامل. فروابط التعليم مثلاً، تضرب كلّ أسس العمل النقابي مع تغيّب مجالس المندوبين، وتضرب مقرّرات الجمعيات العموميّة، وصولاً إلى التفرّد بالقرارات، من دون القدرة على المحاسبة، أو التغيير. وخلال العام الدراسي الماضي انقسم التعليم بشكل عمودي على نفسه بين أقليّة التزمت قرارات الروابط، وبين أكثريّة من الأساتذة التزمت الإضراب، وعلى مستوى العمل النقابي الداخلي، فإن «أسسه مضروبة بشكل كامل»، إذ تعدد الهيئات الإدارية في الروابط إلى تغييب مجالس المندوبين، وتضرب بعرض الحائط مقرّرات الجمعيات العموميّة، ما يعطّل قدرة القواعد على المحاسبة أو التغيير، وصولاً إلى تفرّد بعض أعضاء الهيئات الإدارية بالقرارات بشكل شبه كامل. ومن أمثلة اضمحلال العمل النقابي، أنّه خلال العام الدراسي الماضي انقسم التعليم الرسمي، بمختلف فئاته، بشكل عمودي على نفسه بين أقليّة التزمت قرارات الروابط، وبين أكثريّة من الأساتذة التزمت الإضراب والتوقف عن العمل. وخلال العام الدراسي الماضي انقسم التعليم بشكل عمودي على نفسه بين أقليّة التزمت قرارات الروابط، أو التغيير. وخلال العام الدراسي الماضي انقسم التعليم الرسمي، بمختلف فئاته، بشكل عمودي على نفسه بين أقليّة التزمت

> **عملت الأحزاب على إدخال الملتزمين بالأوامر الحزبيّة إلى الروابط لتعطيلها من الداخل**

على الغلاف

«تلفزيون لبنان» ... وقائع اغتيال معلن

يوم دراماتيكي في حياة الشاشة الرسمية
هزّة قبل الإقفال الكبير

زكية الديراني

أقفل... لم يقفل! بين هذين القرارين اللذين صدرا تباعاً، ضاعت «الطاسة» أمس حول مصير «تلفزيون لبنان» الذي تأسّس عام 1959. فجأة، تصدّر خبر إغلاق التلفزيون عناوين الأخبار العاجلة، واجتاحت المرائي الصفحات الافتراضية، قبل أن يعود الكلام لاحقاً عن عودة بث الشاشة، كأنّ شيئاً لم يكن! وكان اللبنانيون قد أفاقوا على خبر إقفال «تلفزيون لبنان»، بناءً على قرار شفهي أبلغه وزير الإعلام زياد مكاري للمسؤولين في القناة. ترافق الخبر مع توقّف بثّ الشاشة بشكل كلّي. أتت خطوة مكاري بعد مرور أكثر من أسبوع على إعلان موظفي التلفزيون إضرابهم المفتوح لحين حصولهم على مستحقاتهم المكسورة منذ عام 2021، أي عندما أعلن مجلس الوزراء قبل عامين، منح زيادة على الراتب للعاملين في القطاعين الخاص والعام. لكنّ موظفي الشاشة الرسمية لم يحصلوا على أيّ مستحقات. وسبق الإضراب ارتفاع أصوات الموظفين الذين طالبوا بحقوقهم، ولكن من دون جدوى.

في هذا السياق، من يتابع أخبار «تلفزيون لبنان» في الأشهر الأخيرة، يعرف أنّ الشاشة غارقة في مطبّات مالية وإدارية يصعب الخروج منها. فالأزمة المالية التي تعصف بالبلاد منذ عام 2019، كشفت عن حجم الهدر والفساد الذي تعانيه الشاشة المحلية منذ أكثر من 15 عاماً. أضف إلى ذلك، غياب مجلس الإدارة منذ أكثر من 11 عاماً بسبب المحاصصات والصراعات الطائفية والحزبية.

بدأت قضية التلفزيون تتصاعد منذ أكثر من أسبوع عندما أعلن الموظفون عن إضرابهم الشامل حتى نيل حقوقهم المهدورة. هذه الخطوة لم يجر التعامل معها بجدية من قبل القائمين على التلفزيون، مع أنّ الإضراب كان الأول من نوعه منذ تأسيسه في عام 1959، بل تركت إدارة التلفزيون الوضع على حاله، متلكئةً في منح الموظفين مستحقاتهم ومؤجّلة البت في مواضيعه الحساسة. وبعد مرور أيام على الإضراب، قرر وزير الإعلام زياد مكاري وضع نقاط على الحروف، معلناً توقيف بثّ الشاشة.

> جاء قرار إقفال التلفزيون بعد مرور أكثر من أسبوع على الإضراب العام

يقول مكاري، في حديث سريع معنا، إنه لم يقفل «تلفزيون لبنان»، ولا نيّة له في الأساس للقيام بهذه الخطوة. ويعتبر هنا أنّ «الإعلام ضخّم الخبر. لو أردت إقفال التلفزيون لأقفلته، لكن الأمر ليس بيدي، بل يحتاج الى جلسة مجلس وزراء». وتابع: «يتكبّد «تلفزيون لبنان» خسائر مالية كبيرة، من ناحية المحروقات وفواتير الكهرباء. الموتيرات تعمل، ولكن لا موظفين يداومون في المبنى. أعرف أنّ حملة شنّت عليّ، لكنّني أنا آخر الواصلين الى «تلفزيون لبنان»». يختتم الوزير كلامه، مؤكداً أنه «متفائل بمصير التلفزيون»، رغم المشاكل التي تعترضه.

من جانبها، تشير ميرنا الشدياق، رئيسة «نقابة مستخدمي التلفزيون في لبنان»، في اتّصال معنا إلى أنّهم أعلموا شفهياً بتوقيف البث، لكنّ الموظفين لا يعرفون خلفيات ذلك القرار الذي أصدره وزير الإعلام. وعبّرت الشدياق عن حزن الموظفين وصدمتهم بالقرار، متسائلة: «لماذا جاءت هذه الخطوة، هل لأنّنا طالبنا بحقوقنا المهدورة؟».

رغم إعلان وزير الإعلام عن قرب عودة بثّ الشاشة، لا يخفي على أحد أنّ إقفال البث كان بمثابة تجربة قاسية قراها بعضهم بأنها الخطوة التي تسبق الإقفال النهائي في بلد فقدّ عموده الفقري منذ زمن طويل، حين بات لكل طائفة إعلامها الخاص، ودخل عصر الخصخصة وضرب القطاع العام.

قطب مخفية سياسية ومذهبية!

زينة حداد

بغض النظر عما حيل بالأمس من قرار بالتسكير ومن ثم عدم تسكير «تلفزيون لبنان»، فإنه عار على السلطة السياسية أن تفكّر، مجرد تفكير، في إقفال هذه المحطة الوطنية التي تحظى باحترام كبير في وجدان الناس، على الأقل، من سنّ الأربعين فما فوق. كانه دكانة في شارع معزول، فإذا تضاءل ربحُها المادي أو انقطع، فكّر المعنيّ بها في إقفالها وإراحة نفسه. لكنّ هل المشكلة اليوم هي في إضراب الموظفين أم في التأخير في دفع مترتبات مالية لهم في ذمة الدولة منذ سنة على الأقل؟ وقد قبض كل موظفي الدولة الزيادات منذ سنة، إلا موظفي «تلفزيون لبنان» الذين وُعدوا أكثر من عشر مرات خلال هذه السنة أنهم سيحصلون عليها، إنما من دون جدوى!

هناك قطبة سياسية، وهناك قُطبة مذهبية. القطبة السياسية بدأت من 15 عاماً في ترك المحطة بدون إنتاج برامج "بالمرّة"، وبصرف معاشات كانت تتأخر أحياناً عشرين يوماً. "مالنا ومال القديم؟ الفجور السياسي اندلع بين وزير الإعلام الأسبق ملحم رياشي، أول عهد الرئيس ميشال عون، وبين رئيس «التيار» جبران باسيل في مَن يعيّن رئيس مجلس الإدارة. كل الأسماء الأخرى للإدارة كانت جاهزة، ما عدا اسم الرئيس، وقد تشبّث كلٌّ برأيه. ومرّت سنتان ونصف السنة واستقالت الحكومة، فمات الموضوع. السياسة التي لا زرّ لها بالمنطق المهني والأخلاقي، استمرّت في المعاندة المتبادَلة بين الوزراء السابقين و«التيار»، لأنه كان يريد أن يأخذ هذا الموقع، والوزراء يرفضون، والسنوات تمرّ على المحطة من سيء إلى أسوأ، حتى وصول زياد مكاري الذي اصطدم بهذا الواقع. حاول معالجته بهدوء ومن دون صخب، وكاد أن ينجح في إقناع رئاسة الجمهورية ورئاسة الحكومة في حلّ مشكلة إدارة التلفزيون الوطني، لولا «همس» اللحظات الأخيرة التي استقالت الحكومة بعدها بأيام، فعُدنا إلى المربع الأول وانتقلت المشكلة إلى ما بين الوزير مكاري، و«الحارس القضائي» فبقيان لبّس الثوب الذي تدير التلفزيون. خلافات طويلة عريضة بين الوزير والمديرة، أدت إلى كف يد المديرة، ورجوع الموضوع إلى كنف مكاري منذ سنة تقريباً. وجاء موضوع الزيادات المالية لموظفي الدولة، وموظفي «تلفزيون لبنان» منهم، فنال كل لصرف الأموال. وتأخر الصرف مرة ومرتين وثلاثاً وعشراً حتى بلغ السيل الزبى بالموظفين وأعلنوا الإضراب الكامل حتى نيل الحقوق كاملة. بعد الإضراب، تسرّع الجدل بين وزارة الإعلام ونقابة الموظفين حتى يوم الأربعاء حين وعد الوزير النقابة بأنّ الأموال أصبحت جاهزة وسيقبضها الموظفون يوم الجمعة. ولأن الموظفين ملذوعون من الوعود السابقة، فقد أصرّوا على عدم فك الإضراب قبل أن تصبح مخصصاتهم في جيوبهم. هنا فشِلت الدولة، ببناها وهياكلها الهرمية، وبخطاباتها، نحو الشبكات الاجتماعية، بمبوعتها وتقلباتها وعنفها وذاتياتها مستوطنيها المستبدة، وعصبياتها. هكذا أطيح بما سمي بالرأي العام لصالح آراء انفعالية، متهوّرة، واصبح التلاقي حول ما يسمى بالمصلحة العامة مستحيلاً لصالح ما يسمى بالمصلحة المشتركة الموقتة والمتبخرة سريعاً. لذا هرول بعضهم وراح يطالب بإلغاء أجهزة الإعلام الرسمية وإلغاء وزارة الإعلام، وإلغاء الرقابة الخ. علماً أنّ رقابة الدولة أقل ضرراً وخطراً من رقابة «البيع داتا».

> توقيع الكاثوليكي كان الأكثر تأثيراً في التأخير في البت بالزيادات المالية

وها نحن نشهد صراعاً لا أفق له بين القوى السياسية والطائفية في لبنان. كل فريق يريد الدولة على صورته ومزاجه، بل حتى كل فرد فلن نفسه قادراً على أن يملي على أجهزة الدولة إرشاداته وتعليماته. وبالتالي بتنا نشهد البنى والهياكل التي كانت قائمة تذهب نحو مزيد من التحلل، وبالطبع تلفزيون لبنان أحد هذه الأجهزة. المشكلة الكبرى أننا نعيش إيقاعاً متسارعاً للأحداث والتقلبات، وبعدمنا الوقت لهضم معنى ما يجري حولنا. إنه التخبط بعينه، والبعض يتمترس عند أنانيّته ويقينه الأبدي المتحجر، وإن كان عملياً يعيش حالة من اللايقين القاتل، والكلّ يسهم من حيث يدري أو لا يدري في إفراغ لبنان كوطن من مضمونه.

* أستاذة في كلية الإعلام والتوثيق في الجامعة اللبنانية

قصّة ريادة لم تكتمل

نادين كنعان

مع استفاقة اللبنانيين أمس على خبر نيّة إقفال «تلفزيون لبنان»، غرق هؤلاء في حالة عارمة من الحنين إلى العصر الذهبي للشاشة الوطنية، بصرف النظر عن واقعها المأسوي والمطبّات التي طبعت رحلتها التي بدأت قبل 64 عاماً. وراح رؤاد مواقع التواصل الاجتماعي يستذكرون محطات مفتاحية ونجوماً وثنائيات درامية (هند أبي اللمع وعبد المجيد مجذوب، إيسي فرنيني وجورج شلهوب، محمود سعيد وسميرة توفيق، سمير شمص ونهى الخطيب...) رافقت سهراتهم، أيّام الدهشة الأولى أمام الصندوق الصغير!

من منطقة تلّة الخيّاط البيروتية، وُلد «تلفزيون لبنان» عام 1959 تحت اسم «شركة التلفزيون اللبنانية»، كجزء من القطاع الخاص الذي كان يحظى برعاية الرئيس كميل شمعون، في إطار «سياسة الحداثة والانفتاح على العالَمين العربي والمشرقي» الذي كان يسعى إليهما. يومها، كان للدولة حقّ رقابي على أخبار هذه المحطة وبرامجها، بموجب اتفاق مع وزارة الإعلام. أما المساهمون في الاستثمار، فكانوا فرنسيين بطبيعة الحال، في بلد كان لا يزال فيه للانتداب تأثير قوي عليه، على الرغم من انتهائه. هكذا، أبصر النور في لبنان أوّل تلفزيون في العالم العربي، رغم أنه سبقت ذلك بعام واحد تجربةُ بثّ تلفزيونية محدودة في العراق، لكنّها لم تدم طويلاً.

تحت مظلّة «شركة التلفزيون اللبنانية»، كانت هناك قناتان: التاسعة (فرنكوفونية) والسابعة (ناطقة بالعربية). الأخيرة اشتهرت بتقديم البرامج العربية الشعبية، وأطلقت الجيل الأوّل من الفنانين والنجوم اللبنانيين الذين استحالوا أيقونات، من بينهم «أبو ملحم»، و«أبو سليم»، وإيفيت سرسق...

في عهد الرئيس فؤاد شهاب عام 1962، افتتحت مجموعة من رجال الأعمال والمصرفيين محطة ثانية في الحازمية (قضاء بعبدا)، أطلقوا عليها اسم «تلفزيون لبنان والمشرق» (Télé-Orient)، جاءت على شكل استثمار بمساهمة أميركية ـ بريطانية هذه المرّة. وكانت هذه بداية التحوّل «من الفرنكوفونية إلى الأنغلوفونية في لبنان، وسط اهتمام الدول الغربية بالاستثمار في التلفزيون في لبنان، لأنّه بالنسبة إليهم يمكن لهذا البلد أن يشكّل منطلقاً لهم إلى العالم العربي، في زمن كانت فيه بيروت مركزاً تجارياً أيضاً»، يقول الإعلامي زافين قيومجيان لـ«الأخبار».

زافين الذي أصدر قبل سنوات كتاباً مرجعياً بعنوان «أسعد الله مساءكم... مئة لحظة صنعت التلفزيون في لبنان» (هاشيت أنطوان)، يلفت إلى أنه مع افتتاح «تلفزيون لبنان والمشرق» بدأ الصراع بين المحطتين: ««تلفزيون لبنان والمشرق» يهتمّ بالانفتاح على العالم العربي، فاعتمد العربية الفصحى واللهجة البدوية في برامجه... وبدأ صعود برامج الـ«بان أراب»، فيما خلقت أسطورة المسلسل اللبناني الذي يغزو العالم العربي ووُلد نجوم من أمثال هند أبي اللمع، ونهى الخطيب سعادة، وسميرة بارودي، وعبد المجيد مجذوب، ومحمود سعيد، وغيرهم».

انتشار هؤلاء في العالم العربي أسهم في تعميم الثقافة اللبنانية هناك، بما في ذلك الإنتاجات البدوية («فارس ونجود» الذي جمع سميرة توفيق ومحمود سعيد مثلاً)، كما استقطبت هذه المحطة أسماء عربية، مثل السوري دريد لحّام الذي أطلق أسطورة «غوّار الطوشة» من الحازمية.

إذاً، شهدت البلاد حينذاك منافسة بين شاشتين، إحداهما كلاسيكية وملتزمة بالرقابة العربية (لناحية الملابس والمواضيع...) في الحازمية، والثانية هي القناة السابعة في تلّة الخياط التي كانت تتمتع بحرّية أكبر لتكون «تجريبية ورائدة» على صعيد المواضيع. هذا ما يؤكده قيومجيان، مشيراً إلى أوّل قُبلة في التلفزيون في العالم العربي وأسيا، جمعت بين نضال الأشقر وفؤاد نعيم عام 1974 في «نساء عاشقات» (إخراج سمير نصري). أما المواضيع التي كانت تُطرح في الإنتاجات، فكانت ذات طابع محلي أكثر، كما في برامج «أبو ملحم» و«أبو سليم» وأنطوان غندور («أخوت شاناي» و«بربر آغا»...).

استمرّت المنافسة على أشدّها، إلى أن اندلعت الحرب في عام 1975. عندها، بسطت ميليشيات كلّ من المنطقتين سيطرتها على الشاشة العاملة في كلّ منهما، فتضرّر أصحاب التلفزيونات (القطاع الخاص) الذين أعلنوا انسحابهم في وقت أتى فيه موظفون جدد. وقعت محطة الحازمية تحت تأثير الأحزاب المسيحية المسيطرة هناك يومها (أمين الجميّل ثم ميشال عون)، بينما كانت محطة تلّة الخيّاط تحت تأثير القوى الوطنية والإسلامية. في بداية عهد الياس سركيس، بعد حرب السنتين (1977)، رأى الرئيس أنّه «تأكيداً على انتهاء الحرب، لا بدّ من توحيد الشاشة الرسمية لتكون ناطقاً باسم الشرعية اللبنانية».

وعبّر عن رغبته في أن يصبح شريكاً في التلفزيون وإبعاد الميليشيات المسيطرة»، وفق زافين. عندها، تأسّست شركة جديدة اسمها «تلفزيون لبنان». وكانت هذه المرّة الأولى التي تكون فيها الدولة شريكة في الإعلام المرئي في لبنان (51% من الأسهم في مقابل 49% موزّعة بين أصحاب محطّتي الحازمية وتلّة الخيّاط)، لغاية ذلك الوقت، لم تكن الدولة تملك إلا «الإذاعة اللبنانية» التي كانت شبه مقفلة بفعل الاقتتال الداخلي. حاول سركيس كثيراً العمل على إنجاح مساعيه لتوحيد الصفوف، غير أنّها باءت بالفشل مع استمرار اشتعال المدافع.

مع «انتفاضة 6 شباط» في 1984 وانقسام الجيش اللبناني، تكرّس الانقسام بين المحطتين: إحداهما صار اسمها «البرنامج الأوّل» (تقع في الحازمية ووضعها المالي جيّد، وتعرض إنتاجات أميركية وما شابه) والثانية «البرنامج الثاني» (تقع في تلّة الخيّاط وتعرض أعمالاً قديمة بنكهة عربية)».

> اشترت الدولة الأسهم من الحريري وصار التلفزيون مملوكاً لها

أمام هذا الواقع، وتحديداً في 1985، أنشأت «القوات اللبنانية» قناة «أل بي سي» لتكون «الناطقة باسم المنطقة الشرقية، بما أنّ تلفزيون الحازمية لا يعبّر عن كلّ المسيحيين، بل فقط عن أمين الجميل وحكومته وكانت هذه المرّة الأولى التي تكون فيها الدولة شريكة في الإعلام المرئي في لبنان (51% من الأسهم في مقابل 49% موزّعة بين أصحاب محطّتي الحازمية وتلّة الخيّاط)، لغاية ذلك الوقت، لم تكن الدولة تملك إلا «الإذاعة اللبنانية» التي كانت شبه مقفلة بفعل الاقتتال الداخلي. حاول سركيس كثيراً العمل على إنجاح مساعيه لتوحيد الصفوف، غير أنّها باءت بالفشل مع استمرار اشتعال المدافع.

في بداية التسعينيات، ومع وقوع أحداث مثل «اتفاق الطائف» و«حرب الخليج»، تعرّف اللبنانيون على شبكة «سي أن أن» والأقمار الاصطناعية، وصاروا يريدون أمراً مشابهاً. شهد هذا العقد فورة من القنوات التلفزيونية في بيروت والمناطق، واستمرت إلى أنّ تولّى رفيق الحريري رئاسة الحكومة في 1992، والذي اتضح أنّه اشترى في السنوات السابقة أسهم مالكي «الحازمية» و«تلة الخياط». وجوده على رأس السلطة التنفيذية وبدء عملية إعادة الإعمار واستحواذه على الأسهم التي تشكّل نسبة 49 في المئة، منحته أفضلية خلقت احتقاناً بينه وبين رئيس مجلس النواب نبيه بري ورئيس الجمهورية الياس الهراوي المعترضَين على تأثيره الكبير.

في هذا السياق، يشير زافين قيومجيان إلى أنّ «الترويكا الحاكمة بعد الطائف ارتأت بدء إعادة استعادة الشرعية من حلّ الميليشيات وجمع السلاح وتنظيم الإعلام المرئي والمسموع، عبر تقوية «تلفزيون لبنان»، في مقابل إقفال شاشات غير شرعية وغير مرخّصة». مع انهيار الاتحاد السوفياتي وسيطرة الثقافة الاستهلاكية وانتشار العولمة، عاش لبنان فورة التلفزيونات الخاصة غير الشرعية.

هكذا، ضخّ الحريري أموالاً ووفّر كل الإمكانات لـ«تلفزيون لبنان» ليكون محطة، تزامناً مع عمل وزارة الإعلام على وضع قانون إعلام لحلّ الفوضى الإعلامية خلال مدّة ستّة أشهر. لكن هذا لم يحدث «لأنّنا دخلنا في دوّامة المحاصصة». صحيح أنّ القانون قائم على المحاصصة، لكن أهميته تكمن في أنّه كان أوّل قانون للإعلام المرئي والمسموع في العالم العربي، كما وضع حدّاً لأزمة إعلامية كبيرة. ومع صدوره، اشترت الدولة الأسهم من الحريري وصار التلفزيون مملوكاً لها مئة في المئة.

في التسعينيات أيضاً، استطاع فؤاد نعيم الذي كان يرأس مجلس إدارة الشاشة الوطنية ويشغل منصب مديرها العام، بسياسته المرتكزة على صناعة أسطورة الدراما اللبنانية وتحويل المؤسسة إلى عامة كنموذج «هيئة الإذاعة البريطانية، خلق الموجة الجديدة من المحتوى المرئي. موجة تجسّدت في برامج بروح جديدة مثل «5 على 7»، واسكتشات كوميدية لشربل خليل بعنوان «تقرير»، وأعمال درامية («العاصفة تهبّ مرّتين» و«نساء في العاصفة»)، وغيرها أعادت العصر الذهبي لهذه المؤسسة، مع رولا حمادة وفادي إبراهيم وورد الخال وكارول عبود وغيرهم. ويرى زافين أنّ «صدور قانون الإعلام المرئي والمسموع أسقط «تلفزيون لبنان» كشاشة وطنية بسبب المحاصصة، وصارت الشاشات الخاصة تستقطب السياسيين وضربت المحطة الرسمية لأنّها لم تعد صانعة للخبر».

ومع دخول عالم البث الفضائي، صار «تلفزيون لبنان» متأخّراً عن باقي المحطات، وصار عائقاً أمام الدولة التي تموّله، وهو ما أدّى إلى توقيفه لأشهر عدّة بقرار من وزير الإعلام آنذاك غازي العريضي في 2001. غير أنّه لغاية الآن لا يزال «لزوم ما لا يلزم» في دولة يبدو أنّها لم تعد موجودة أساساً.

شهدت الشاشة أوّل قُبلة بين نضال الأشقر وفؤاد نعيم في مسلسل «نساء عاشقات» (1974)

فارس بويز: صهر المرحلة يتحدّث

أسعد أبو خليل *

تحدّث فارس بويز بإسهاب في مقابلات مطوّلة مع غسان شربل في جريدة «الشرق الأوسط» (والمقابلات مع غسان شربل تشترط عدم التطرّق إلى حقائق تزعج المصلحة السعوديّة العليا مع تفضيل لإيراد كل ما يمكن أن يزعج أعداءها وخصومها). والعناوين تركّز على خصوم السعوديّة وتغفل عن حلفائها. وفارس بويز هو من إفرازات مرحلة سيطرة النظام السوري في لبنان. والنظام السوري هو الذي انتقى إلياس الهراوي رئيساً، كما انتقى قبله رينيه معوّض (أصبح اللبنانيّون يستسهلون اتّهام النظام السوري بقتل أدواتهم في لبنان). وفارس بويز لم يدخل العمل السياسي إلا من باب القرابة: حالة مألوفة من صهر الرئيس عندما يصبح الأخير متنفّذاً (جرى ذلك في عهود عدّة بما فيها أخيراً عهد ميشال عون). جمال عبد الناصر لم يسمح لأشرف مروان بأي دور، لكن السادات انتقاه وأوكل إليه مهام (تجسّسيّة وغيرها) نكايةً بالرئيس الذي قضّ مضجعه بسبب شعبيّته وعالميّته. والد فارس بويز، النائب نهاد بويز، كان برلمانياً محترماً (كتلويّاً) نابذاً للطائفيّة. عرفنا فارس بويز أوّل ما عرفناه عندما انتُخب إلياس الهراوي رئيساً، وطفق يرسل بيانات إلى الصحف ممهورة بتوقيع «المحامي فارس بويز»، أي أن عمله في المحاماة هو الذي أدخله العمل السياسي. لكن فارس بويز صريح، كما منى الهراوي، حول طبيعة علاقة عهد الهراوي بالنظام السوري. فقط في الحلقات مع غسان شربل، يبرز بويز بصورة البطل القومي والوطني الذي يقارع النظام السوري وحيداً، من على صهوة جواد مطهّم. لكن، للأمانة، ليس بويز وحده في زعمه. معظم النوّاب والوزراء الذين تبوّأوا مناصبهم في زمن النظام السوري، والذين حفظوا طريق بيروت-عنجر عن ظهر قلب، يحاولون اليوم إقناعنا أن النظام السوري حاربهم، مع أنهم يزعمون (في محطات أخرى) أن النظام السوري هو الذي كان يختار النوّاب والوزراء. فؤاد السنيورة في شهادته أمام محكمة الحريري الدوليّة استفاض في الحديث عن معاناته في الوزارة كما عانى صديقه رفيق الحريري في رئاسة الوزارة. ومعاناة السجن لا تقلّ عن معاناة الوزارة ورئاسة الوزارة.

كيف انخرط فارس بويز في النيابة؟ يروي القصّة لغسان شربل. يحتاج إلى تسويغ لأن المقاطعة المسيحيّة لانتخابات 1992 كانت شبه تامّة، وفازت فيها مها الخوري عن مقعد في جبيل بنحو 40 صوتاً. فارس بويز لم يترشّح طوعاً. يقول إن رئيس أركان الجيش السوري، حكمت الشهابي، أجبره

> ذكريات بويز فيها الكثير مما يعاكس الصورة التي رُسمت عن رفيق الحريري بعد اغتياله

على الترشّح للانتخابات. لم يقل إن حكمت الشهابي هدّده، بل قال إنه أصدر له «شبه تهديد». لكن لماذا يحتاج النظام السوري إلى ترشيح فارس بويز الذي لم يكن معروفاً بومها خارج الزوق؟ رضخ فارس وأصبح نائباً. إنها معاناة رجل قارع النظام السوري، وحيداً. ويتحدّث بويز عن طبيعة الصراع في داخل النظام السوري حيث ابتاع رفيق الحريري لنفسه جناحاً خاصاً به بضمّ، فيما بضمّ، الفاسدين الثلاثة: خدّام والشهابي وغازي كنعان. وصحف المرحلة، بما فيها «الشراع»، نشرت يومها أن الحريري كان يدفع مرتّباً شهرياً أيضاً لإلياس الهراوي، لكن ذلك لم يرد في سلسلة فارس بويز يتذكّر. هو يقول إنه كان «من الوحيدين» الذين لم يستفيدوا من رفيق الحريري، لكن الاستفادة عمّت في صفوف عهد الهراوي. يقول إنه عارض الحريري بسبب الهيمنة لكنه عاد وتصالح معه، فقط بسبب مشاركة الرجلين في معاداة ومحاربة إميل لحّود.

ويتحدّث بويز عن إميل لحّود، وهو من غير طينة إلياس الهراوي، من كلّ النواحي وخصوصاً من ناحية النزاهة والترفّع عن إغراءات المال، من الحريري أو من غيره. يقول إنه لم يرد إميل لحّود لقيادة الجيش لأنه ضابط بحري «في بلد لا توجد لديه قوّة بحريّة». وهل للبنان قوّة جويّة؟ أو حتى بريّة؟ من الواضح أن بويز يريد أن يسدّد حسابات ضد لحّود، الذي يسهّل التعرّض له لأنه ليس محسوباً على دولة خليجيّة. ثم يعترض أن لحّود لم يخض «معارك فعليّة» في لبنان. معارك فعليّة مثل المعارك الفعليّة التي خاضها ميشال عون (وهو يذكر ميشال عون من باب المقارنة)؟ المعارك الفعليّة لضباط الجيش في حينه كانت حصراً المشاركة في الحرب الأهليّة، وإلى جانب ميليشيات اليمين الانعزاليّة. إذا كان إميل لحّود لم يشارك في مجزرة تل الزعتر (وهي شهدت مشاركة لميشال عون يومها) فإن ذلك يُشرّف إميل لحّود ولا يذمّه.

ويتحدّث عن التمديد لعمّه، إلياس الهراوي، بسلاسة لكن بطريقة مختلفة كلّيّاً عن تعاطيه مع التمديد لإميل لحّود. وبويز عارض تمديد لحّود بشجاعة يحسد نفسه عليها، لكن التمديد لعمّه العزيز كان من ضرورات النظام السوري بسبب تعاطي بويز البارع مع الاستحقاقات الدوليّة». يقول إن لحّود «أراح» سوريا، أي إن الهراوي وبويز اتّعبا سوريا. يمكن قياس المسألة بعدد زيارات الثنائي الهراوي-بويز لسوريا مقابل زيارات لحّود، الذي لم يكن يعرف أياً من قيادات النظام السوري عند طرح اسمه للرئاسة. أليس بويز هو صاحب شعار «وحدة المسار والمصير»؟ أليس الهراوي الذي كان يستنجد، مثله مثل رفيق الحريري، بالمخابرات السوريّة لتدعيم وجهة نظره في الخلافات بين الرؤساء؟ أمّا لحّود فكان له شرف طرد غازي كنعان من لبنان ومن الملف اللبناني برمّته. لم يجرؤ أي زعيم لبناني على معارضة مشيئة غازي كنعان من قبل. كان كل هؤلاء أدوات بيد كنعان الذي كان يتلذّذ، مثله مثل خلفه رستم غزالي، بإهانة السياسيّين اللبنانيّين. وهو يعترف أن لحّود لم يتعاطَ مع النظام السوري إلّا بطريقة غير مباشرة عبر جميل السيّد (ولم تكن العلاقة بين السيّد وبين لحّود علاقة ممتازة، عكس ما أوحى بويز).

(هيثم الموسوي)

فارس بويز لم يتعامل مع النظام السوري إلا بواسطة حافظ الأسد. هذه أصبحت لازمة في شهادة الذين كتبوا عن تجربتهم السياسيّة في زمن النظام السوري. الكلّ كان صديقاً شخصيّاً لحافظ الأسد، الذي لم يكن له أصدقاء البتّة. يقول بصفاقة إن النظام السوري فضّل إميل لحّود (الذي لم يكن مثل الهراوي يزرع طريق الشام ذهاباً وإياباً على مدى سنوات) لأنه يتلقّى الأوامر. وهل خالف الهراوي وبويز أوامر النظام السوري؟ هل هناك مثال واحد، غير البطولات الوهميّة التي حاكها بويز في أحاديث مجلس غسان شربل، عن معارضته للنظام السوري؟ وبويز يعترف دائماً أن الذي اختاره لوزارة الخارجيّة في عهد الهراوي لم يكن عمّه العزيز، بل حافظ الأسد. وهل كان الأسد يختار مَن لم يكن مطيعاً ومواليّاً له بالكامل؟ أم أنه اختارك لتقديره لممارستك مهنة المحاماة في لبنان؟ أم لأنك جريء وتُعارض النظام السوري كما رويتَ؟

يقول إنّ إميل لحّود كان بعيداً «عن الموضوع السياسي». هذا صحيح إذا كان يعني بالموضوع السياسي الخبث والنفاق والتلاعب والاستفادة الماديّة من أثرياء السلطة. ويقول إنّ المخابرات السورية رؤجت لترشيحه رئيساً لخلافة عمّه لأنه «لا يتلقّى تعليمات من أحد». هل يقول إنّ المخابرات السورية كانت تبحث عن رجال لا يتلقّون أوامر منهم؟ هل كانت المخابرات السورية تسعى إلى إنشاء جمهوريّة فاضلة في لبنان؟ ويسوق هذا الثناء على شخصه للقول إنّ إميل لحّود كان يتلقّى الأوامر. حسناً، لنقارن الثنائي الهراوي وبويز مع لحّود بالنسبة إلى غازي كنعان. مَن الذي اعترض عليه؟ الثنائي أم لحّود؟

والرجل معتد بنفسه كثيراً ويظهر هذا في وقفاته المنبريّة. يعوّض عن طلاقة تعوزها الفصاحة بتضخيم الصوت الجهوري وتفخيمه. يقول عن خطاب له في بروكسل: «والحقيقة أنه كان لهذه المداخلة وقع ممتاز». أثار الإعجاب. لكن إعجاب حافظ الأسد به (حسب روايته هو طبعاً) يزيده إعجابه بنفسه إعجاباً. من الواضح أن الأسد كان المُلهم له. يقول لشربل مذهولاً بنفسه: «كل هذه الأمور (أي إطلالاته ووقفاته على المنابر) كان حافظ الأسد يتابعها بحذافيرها. هل تصدّق أنه شاهد خطابي في مدريد ستّ مرات على الفيديو وكان في كل مرّة يشاهده يختار منه مقاطع، ويسألني عندما التقي به: "والله من أين أتيت بهذا المقطع؟"». يزهو بعدد زياراته إلى حافظ الأسد («التقيتُ بحافظ الأسد أكثر من ثلاثين مرّة وربما وصلت إلى الأربعين»). فيما يصنّف إميل لحّود بأنه مُوال لسوريا، مع أن عدد زياراته إلى سوريا كان الأقلّ عدداً مقارنة بأسلافه. زكّاه حافظ الأسد للرئاسة قائلاً لعمّه: «أثبت الأستاذ فارس فعلاً جدارة وحكمة».

وتحدّث عن أمر تعيينه في حكومة رفيق الحريري في عهد لحّود. لم يكن يتوقّع التوزير أبداً. كان يحضّر للمعارضة، حسب روايته. لكنه سمع أنه قد يُعيَّن وزيراً للبيئة فاعتبر ذلك «تحجيماً» له لأنه أكبر من البيئة (مع أنه «يحب» البيئة حسب ما أعلم غسان شربل، وهو يمارس حب البيئة في رحلات صيد دوريّة في رومانيا). وفاجأ بويز الجمهور بأنه يفهم في البيئة. يقول إنّ الحريري أصرّ عليه أن يصبح وزيراً في حكومته (كما أن حكمت الشهابي أصرّ عليه كي يصبح نائباً. إلحاح الجماهير لا يتوقّف). لكن الرواية الحقيقيّة عن توزيره مختلفة. جاء إلياس الهراوي (الذي ينام باكراً) إلى إميل لحّود في ساعة متأخرة من الليل وتوسّل من لحّود أن يعيّن الصهر العزيز وزيراً. بكى في توسّله وقال إنّ زوجته وابنته تلحّان عليه. رضخ لحّود، للأسف. لكن الحريري قال للحّود: لا توزّره. هذا يكرهك. ثم قال لبويز: أنا كنتُ أريدك وزيراً للخارجيّة لكن لحّود رفض (وبالفعل عبّر بويز عن خيبته للحّود لأنه تسلّم وزارة ليست على مقامه الرفيع).

كان وليد جنبلاط يريده رئيساً للجمهوريّة. لم يلمّح عليه أحد. ذكريات بويز فيها الكثير ممّا يعاكس الصورة التي رُسمت عن رفيق الحريري بعد اغتياله. يتّضح كم أنه كان أداة البتّة. يقول بصفاقة إن النظام السوري فضّل إميل لحّود (الذي لم يكن مثل الهراوي يزرع طريق الشام ذهاباً وإياباً على مدى سنوات) لأنه يتلقّى الأوامر. وهل خالف الهراوي وبويز أوامر النظام السوري؟ هل هناك مثال واحد، غير البطولات الوهميّة التي حاكها بويز في أحاديث مجلس غسان شربل، عن معارضته للنظام السوري؟ وبويز يعترف دائماً أن الذي اختاره لوزارة الخارجيّة في عهد الهراوي لم يكن عمّه العزيز، بل حافظ الأسد. وهل كان الأسد يختار مَن لم يكن مطيعاً ومواليّاً له بالكامل؟ أم أنه اختارك لتقديره لممارستك مهنة المحاماة في لبنان؟ أم لأنك جريء وتُعارض النظام السوري كما رويتَ؟

يقول إنّ إميل لحّود كان بعيداً «عن الموضوع السياسي». هذا صحيح إذا كان يعني بالموضوع السياسي الخبث والنفاق والتلاعب والاستفادة الماديّة من أثرياء السلطة. ويقول إنّ المخابرات السورية رؤجت لترشيحه رئيساً لخلافة عمّه لأنه «لا يتلقّى تعليمات من أحد». هل يقول إنّ المخابرات السورية كانت تبحث عن رجال لا يتلقّون أوامر منهم؟ هل كانت المخابرات السورية تسعى إلى إنشاء

* كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil

نظام اللامحاسبة

سعد الله مزرعاني *

يشكّل موضوع الإفلات من المحاسبة (أو انعدام المحاسبة)، ركناً أساسياً من أركان نظام «الكوتا» الطائفي الذي اختارته البورجوازية اللبنانية، برعاية أجنبية، أداةً لممارسة سلطتها وإدامة تلك السلطة وصولاً إلى تأبيدها: في مواجهة حقائق التاريخ ومتغيّرات الحاضر ومتطلبات المستقبل. وكذلك، في مواجهة الإخفاقات والفشل والعجز، والانهيار الشامل الذي يتواصل، قاتلاً ومدمّراً، منذ حوالي 4 سنوات إلى اليوم. من أجل خدمة هذا النظام، وبين وفي الممارسة (العُرف)، أو في صيغ من الترغيب والترهيب، أو من التحوُّط والتمييع والإجهاض... تباعاً، ودائماً، بمواكبة ورعاية خارجية، تبلور ظهور دويلات ضمن الدولة وعلى حساب فعاليتها ووظيفتها. المؤسسات الدينية التي برز دور بعضها مبكراً، كانت عاملاً تكاملياً مهماً في دعم وتبرير النظام، وفي ترسيخه. وهي باتت قوة أساسية، حتى بموجب القانون، في السياسة والإدارة والتشريع والتربية ومجمل البنية الفوقية عموماً.

في الصميم من كل ذلك كان يتأكد، باطّراد، دور وتأثير العصبيات الطائفية والمذهبية التي ظل استنفارها السلاح الأمضى، المجرَّب والفعّال، في إعادة الأمور إلى «نصابها» (!) إذا ما فرضت التطورات أو الأزمات الداخلية، أو الرياح الخارجية، مساراً طارئاً من خارج ما هو مقرر أو مقدّر. أمّا الإدارة، فقد سُخّرت بالكامل في خدمة «المنظومة» وأركانها الأساسيين على وجه الخصوص. وكذلك الأمر بالنسبة إلى القضاء، والأمن والأجهزة العسكرية جميعها. ولقد بُذل، في هذا السياق، جهد كبير، كانت الطائفية والتمذهب سلاحه الأساسي، لتعطيل دور وتأثير صيغ النشاط والتجمع والتنظيم والتمثيل الحديثة، بعد أن تعاظم حضورها وتأثيرها: الأحزاب والاتحادات والروابط والنقابات العمالية والتعليمية والطالبية واتحاداتها المهنية، وكذلك على مستوى نقابات الإعلاميين واتحادات الطلاب والشباب ولجان حقوق المرأة وصولاً إلى صيغ تجمُّع المغتربين في العالم وقاراته. وتم، أيضاً، استخدام القمع والصرف والسجن و«التفريغ» والتزييف. الثنائي رفيق الحريري الشهيد، ونبيه بري الشاهد و«الأستاذ» الدائم، لعبا الدور الأساسي بإشراف الراعي السوري (ما بعد «الطائف»)، لاستيعاب وتعطيل وقمع صيغ الاحتجاج والاعتراض والمطالبة، ولو تطلّب الأمر استخدام الضغوط والإغراءات وفتح السجون أمام متمرّدين!

في السياق نفسه تمّ الإجهاز على مؤسسات الرقابة ذات المنشأ الشهابي منعاً لفرض تقدّم الأكفياء على الأزلام والتابعين للمتحاصصين بمنفعة وولاء وعصبية. وهكذا تعطّلت بشكل شبه كامل مؤسسات الرقابة ومجلس الخدمة ومجالس التفتيش لتصدر لوائح الموظفين المحظوظين من «مصيلح» و«المختارة» و«قريطم»، ولاحقاً من «معراب» و«ميرنا الشالوحي». وليجري تعميم اعتماد القيد الطائفي ليس في الفئة الأولى أو ما يعادلها بحسب المادة 95، بل في كل الفئات والأسلاك والمراحل: في مخالفة فاضحة للدستور، وإمعاناً في تعطيل إصلاحاته المتواصل منذ إقرار وثيقة الطائف عام 1990 حتى الآن!

إنّ إلحاق كل مراكز النفوذ السياسي والأمني والاقتصادي والقضائي و و... بمنظومة المحاصصة قد وجّه الضربة القاضية إلى الدستور والقانون، وإلى الأساسي من شروط بناء دولة قانون ومؤسسات، ومعها كل أنواع المساءلة التي كان حضورها يتضاءل بتبلور وتعاظم دور «المنظومة» وبترسّخها. في بداية الستينيات كانت حملة «تطهير» تمّ بموجبها إقصاء عدد من كبار الموظفين، بينهم، كمثال، الراحل السيد زكي مزبودي. مزبودي ترشّح إلى الانتخابات على اللائحة البيروتية الأبرز برئاسة الزعيم الراحل صائب سلام، ونجح في دخول الندوة البرلمانية دون أي عائق! كذلك، لم يحاسب السنيورة رغم إدانته واتهامه وكان وزير دولة للشؤون المالية في حكومة الحريري الأب. لقد استمر وأصبح رئيساً للحكومة بعد اغتيال الحريري! قبله الرئيس أمين الجميل لم يُساءل بشأن ما اعتمده من تقليد بفرض 20% على كل الصفقات. لقد تكرّس الفساد وتغلغل جزءاً رئيسياً في بنية المحاصصة. وهو اقترن دائماً بالحماية المذهبية والدينية. نتيجة ذلك بتنا أمام معادلة أن المتهم هو الخصم وهو الحكم، وأن «حاميها حراميها» وأن النهب والفساد محميان بقوة نظام ومنظومة المحاصصة على حساب الدستور والقانون ومصالح البلاد والناس أجمعين!

مسيرة الحاكم رياض سلامة وصولاً إلى «حفلة» وداعه الاستفزازية، والتي نظّمها ممثّلو «المنظومة» في المصرف المركزي وخارجه، كل ذلك يشكّل تجسيداً رمزياً للإصرار على حماية الارتكاب والفساد، وعلى المضي فيه في الوقت نفسه: يا ملايين اللبنانيين المتضررين في لبنان والمهجر، بلّطوا البحر!

كتب المؤرّخ د. أسامة المقدسي في كتابه القَيّم الصادر عن «دار الآداب» بعنوان «ثقافة الطائفية» ص9: «من المؤكد أن من بين العوامل الحاسمة في تطور الحكم الطائفي (في العراق كما في لبنان منذ القرن 19)، ذلك التدخل المفرط الذي تمارسه القوى الغربية التي تقرأ الشرق قراءة استشراقية التحاصص قد وجّه الضربة القاضية إلى الدستور والقانون، وإلى الأساسي من شروط بناء دولة قانون ومؤسسات، ومعها كل أنواع المساءلة التي كان حضورها يتضاءل بتبلور وتعاظم دور «المنظومة» وبترسّخها. في بداية الستينيات كانت حملة «تطهير» تمّ بموجبها إقصاء عدد من كبار الموظفين، بينهم، كمثال، الراحل السيد زكي مزبودي. مزبودي ترشّح إلى الانتخابات على اللائحة البيروتية الأبرز برئاسة الزعيم الراحل صائب سلام، ونجح في دخول الندوة البرلمانية دون أي عائق! كذلك، لم يحاسب السنيورة رغم إدانته واتهامه وكان وزير دولة للشؤون المالية في حكومة الحريري الأب. لقد استمر وأصبح رئيساً للحكومة بعد اغتيال الحريري! قبله الرئيس أمين الجميل لم يُساءل بشأن ما اعتمده من تقليد بفرض 20% على كل الصفقات. لقد تكرّس الفساد وتغلغل جزءاً رئيسياً في بنية المحاصصة. وهو اقترن دائماً بالحماية المذهبية والدينية. نتيجة ذلك بتنا أمام معادلة أن المتهم هو الخصم وهو الحكم، وأن «حاميها حراميها» وأن النهب والفساد محميان بقوة نظام ومنظومة المحاصصة على حساب الدستور والقانون ومصالح البلاد والناس أجمعين!

مسيرة الحاكم رياض سلامة وصولاً إلى «حفلة» وداعه الاستفزازية، والتي نظّمها ممثّلو «المنظومة» في المصرف المركزي وخارجه، كل ذلك يشكّل تجسيداً رمزياً للإصرار على حماية الارتكاب والفساد، وعلى المضي فيه في الوقت نفسه: يا ملايين اللبنانيين المتضررين في لبنان والمهجر، بلّطوا البحر!

كتب المؤرّخ د. أسامة المقدسي في كتابه القَيّم الصادر عن «دار الآداب» بعنوان «ثقافة الطائفية» ص9: «من المؤكد أن من بين العوامل الحاسمة في تطور الحكم الطائفي (في العراق كما في لبنان منذ القرن 19)، ذلك التدخل المفرط الذي تمارسه القوى الغربية التي تقرأ الشرق قراءة استشراقية وطائفية ومغرضة». وكتب الرئيس سليم الحص، صاحب الخبرة الطويلة في السلطة والمعارضة، في مقدّمة كتابه «نحن..والطائفية»: «نحن من الذين يعتبرون الطائفية آفة لبنان المركزية...وهي كثيراً ما تشكل حاجزاً دون المحاسبة والمساءلة... فلا غرابة في القول، والحال هذه، أن الطائفية حصن الفساد والإفساد في المجتمع»!

* كاتب وسياسي لبناني

الميل الانقلابي

محمد سيد رصاص *

كان انقلاب العسكر في النيجر في يوم 26 تموز 2023 هو سادس انقلاب عسكري يحصل في القارة الأفريقية خلال ثلاث سنوات، بعد انقلابين في مالي (18 آب 2020 و24 أيار 2021) وانقلاب في غينيا كوناكري (5 أيلول2021) وانقلابين في بوركينا فاسو (24 كانون الثاني 2022 و30 أيلول 2022).

من يراقب المشهد في عاصمة النيجر خلال الأسابيع الماضية يلاحظ أن هناك تأييداً

> يبدو الآن أن الافارقة يعيشون هذا الميل الانقلابي الذي عاشه العرب في الخمسينيات والستينيات والنصف الاول من السبعينيات من القرن الماضي

جماهيرياً قوياً للانقلابيين يتمظهر من خلال تظاهرات في الشوارع أو تحشّدات في مهرجانات تقام في ملاعب كرة القدم. وواضح أنها غير منظّمة وأنها عفوية، وينزل فيها الفقراء والناس العاديون، وذلك في دولة لا تملك تاريخاً شمولياً عبر سلطاتها المتعاقبة ولا أحزاباً قوية، والعسكر الانقلابيون لا يملكون جهازاً للتحشيد وواضح أنهم حتى تفاجؤوا بحجم التأييد الذي لاقوه.

يمكن أن تذكّر نيامي، عاصمة النيجر، بالقاهرة في أعقاب انقلاب 23 يوليو 1952، والخرطوم في أعقاب انقلاب 25 مايو 1969، وطرابلس الغرب في أعقاب انقلاب الفاتح من سبتمبر 1969، عندما بان من خلال تظاهرات التأييد أن هناك قاعدة اجتماعية قوية لأقوى الانقلابات الثلاثة، ولم تصنعها الانقلابات أو تدفع بها، وهي، إمّا خلال نقمة فئات اجتماعية واسعة على مظالم العهد السابق للانقلاب، أو من خلال تأييدها لبرنامج الانقلابيين، قد اندفعت لكي تصبّ الماء في طاحونتهم. وفي الحالات العربية الثلاث المذكورة يمكن القول فقط عن الحالة المصرية إن الانقلاب العسكري قد أنتج ثورة إذا قسنا حجم التغيير الاقتصادي-الاجتماعي-الإداري-الثقافي الذي حصل في مصر ما بعد 23 تموز 1952.

هذا التأييد الاجتماعي لانقلابات ناتج عن ميل انقلابي يوجد عند فئات اجتماعية واسعة نتيجة لانسداد الطريق البرلماني -أو المدني- للتغيير، وعن أن الحكم البرلماني -أو المدني- لا يمثّل القوى الاجتماعية الصاعدة بل يمثّل قوى اجتماعية تريد المحافظة على الوضع القائم بحكم مصالحها وهي تسدّ الطريق نحو التغيير أو لا تستطيع التعبير عنه.

تأتي الدبابة هنا لكي تفتح الانسداد، ومن خلال سيطرة العسكر على الجهاز السلطوي للدولة يفتح طريقاً للتغيير، أو على الأقل لإزاحة قوى تعيق التغيير، أو ترتبط بقوى خارجية ليست لها مصلحة في تغيير الأوضاع القائمة وتطمئن وترتكز على القوى الحاكمة التي يطيح بها الانقلاب العسكري. في المثال المصري كان عبد الناصر يعبّر عن قوى اجتماعية، عند فلّاحي الريف والفئات الفقيرة في المدن، ضد تحالف من الإقطاع والرأسماليين الجدد تحت ظل حكم ملكي تتحكّم فيه بريطانيا المسيطرة عسكرياً على مصر وذلك بعد قليل من السنين تفصل عن هزيمة مذلّة للقوات المصرية في حرب فلسطين. هذا التلاقي بين الدبابة والشارع، أو أغلبية الأخير، ينتج ميلاً انقلابياً في المجتمع، يمكن أن يقود إلى ثورة، ويمكن أن يقود إلى فشل سلطوي تنتج عنه كوارث على مستوى البلد كما في حالتَي النميري والقذافي.

إذا عدنا إلى أفريقيا، فيمكن لمثال النيجر أن يعطي صورة عن كم أن تحليل لينين في عام 1916 في كتابه: «الإمبريالية أعلى مراحل الاستعمار»، ما زال طازجاً، وذلك في حالة هو سابع دولة في العالم من حيث ثروة اليورانيوم الخام، وهو المصدر الرئيسي لمفاعلات الطاقة النووية الفرنسية لإنتاج الكهرباء للداخل الفرنسي وبلدان أوروبية منها ألمانيا. فيما النيجر لا توجد فيها كهرباء بل تستوردها من نيجيريا، وهي دولة حيث يوجد اليورانيوم والذهب تُعَدّ من أفقر دول العالم، وتحكمها منذ الاستقلال قبل ستة عقود نخبة سياسية-عسكرية-اقتصادية-ثقافية مرتبطة بباريس وتدار من هناك مع وجود قوات فرنسية، فيما تعيش غالبية من المجتمع في الفاقة والفقر المدقع.

في مالي وبوركينا فاسو الوضع مماثل للنيجر، وكراهية الفرنسي والأوروبي الغربي من أغلبية سكان البلدان الثلاثة تتناظر مع كراهية النخب الحاكمة. في غينيا كوناكري الوضع مختلف قليلاً حيث فساد الحكم المدني للرئيس ألفا كوندي وتعديله للدستور من أجل أن يُنتخب لمرة ثالثة في عام 2020، زائد الأزمة الاقتصادية التي رافقت وباء «كوفيد-19»، قد ساهمت في تشجيع العسكر على الإطاحة به وهو ما لاقى تأييداً شعبياً كبيراً.

في حالتي مالي وبوركينا فاسو تمظهرت تلك الظواهر في نظامين عسكريين من ضباط شبان (أحدهم الكابتن إبراهيم تراوري قائد انقلاب بوركينا فاسو الأخير وهو من مواليد 1988) في نزعة عداء للفرنسيين مع طلب مالي بخروج القوات الفرنسية في صيف 2021 ومع طلب بوركينا فاسو أوائل العام الجاري خروج القوات الفرنسية وإلغاء معاهدة «المساعدة العسكرية الفرنسية». في الوجه الآخر لعملة العداء للفرنسيين هناك ميل نحو الروس وُجد عند عسكر مالي وبوركينا فاسو وليس صدفة أن يُرفع العلم الروسي في تظاهرات نيامي التي أعقبت انقلاب العسكر هناك. وفي القمة الروسية-الأفريقية الأخيرة في موسكو خُصص الرئيس الروسي فلاديمير بوتين لقاءين خاصين مع قائدَي المجلس العسكري في كل من مالي وبوركينا فاسو، فيما قال يفغيني بريغوجين، قائد «قوات فاغنر»، الكلمات التالية عن الكابتن إبراهيم تراوري: «لابن الشجاع لأرض وطنه الأم». والأرجح أن انقلابات مالي وبوركينا فاسو والنيجر ستجعل البلدان الثلاثة ساحة كبرى للمجابهة الأميركية-الروسية وأن الأميركيين سيستخدمون عاجلاً أو آجلاً قوات «المجموعة الاقتصادية لغرب أفريقيا» (الإيكواس)من أجل قلب الأوضاع في البلدان الثلاثة إن لم تنفع الحلول الدبلوماسية.

كتكثيف: في مقالات ثلاثة نُشرت في الشهر الأخير من عام 1968 بجريدة «الأيام»، دعا القيادي في الحزب الشيوعي السوداني أحمد سليمان إلى «الاعتراف بالقوات المسلحة كقوة مؤثّرة وكعامل فعّال في حياة البلد السياسية»، وذلك في ظل حكم برلماني بعد انتخابات 1965 التي كان فيها الحزب الشيوعي ثالث قوة برلمانية ثم قامت قوى سياسية مضادة بالتآمر وأصدرت قراراً من البرلمان بحظره. عارضه الأمين العام للحزب عبد الخالق محجوب وردّ عليه في الشهر اللاحق بمقال في جريدة «أخبار الأسبوع»، وعندما عرض عسكريون على الحزب الشيوعي السوداني الاشتراك في الانقلاب وقفت أكثرية المكتب السياسي ضد ذلك في اجتماع يوم 9 مايو 1969، ولكن وُجد شيوعيون قياديون أيّدوا المشاركة، ثم شارك الحزب بهذا الشكل أو ذاك في الانقلاب الفاشل للرائد هاشم العطا (19-22 يوليو 1971) ضد النميري. يعطي هذا المثال الشيوعي السوداني مؤشراً إلى وجود نزعة فكرية-سياسية نحو الميل الانقلابي عند أحزاب سياسية، وهو ما كان موجوداً بقوة عند عروبيين من اتجاهات مختلفة في حزب البعث وحركة القوميين العرب وعند فصائل ناصرية عديدة، وأيضاً وُجد ذلك عند شيوعيين عراقيين فكّروا في انقلاب عسكري ضد عبد الكريم قاسم في تموز 1959 وقامت موسكو بمنعهم من ذلك، وقبلهم عند شيوعيين مصريين في تنظيم «حدتو» شاركوا في انقلاب 23 يوليو 1952.

يبدو الآن أن الأفارقة يعيشون هذا الميل الانقلابي الذي عاشه العرب في الخمسينيات والستينيات والنصف الأول من السبعينيات من القرن الماضي.

* كاتب سوري

فلسطين

حملة «تطهير» في صفوف السلطة
عباس ينتظر التسهيلات: ماضون في ضرب المقاومة

سيواصل الاحتلال اللقاءات مع السلطة في شرم الشيخ بوساطة مصرية (أ ف ب)

غزة ـ رجب المدهون

في الوقت الذي تستعدّ فيه السلطة الفلسطينية للعودة إلى مسار المباحثات الأمنية مع الاحتلال، برعاية أميركية وإقليمية، ووسط توقّعات بإعلان حكومة بنيامين نتنياهو رسمياً عن مجموعة من التسهيلات الاقتصادية لصالح رام الله خلال الأيام المقبلة، أحال الرئيس الفلسطيني، محمود عباس، أغلب محافظي الضفة الغربية المحتلّة إلى التقاعد. ويأتي هذا القرار كخطوة جديدة على طريق إعادة ترتيب وتقوية الأجهزة الأمنية الفلسطينية، بما يمكّنها من تنفيذ الدور المطلوب منها في مواجهة المقاومة، واسترضاء إسرائيل والولايات المتحدة في الملفّ الأمني، الذي يعتبره عباس ورقته الرابحة خلال المباحثات المقبلة.

وأصدر «أبو مازن»، أول من أمس، مرسوماً رئاسياً بإحالة معظم محافظي المحافظات الشمالية (الضفة الغربية) والمحافظات الجنوبية (قطاع غزة) إلى التقاعد. وشمل المرسوم، في الأولى، كلاً من محافظي جنين، ونابلس، وقلقيلية، وطولكرم، وبيت لحم، والخليل، وطوباس، وأريحا والأغوار. وأمّا في الثانية، فطال كلاً من محافظي شمال غزة، وغزة، وخان يونس، ورفح. وبذلك يكون محافظا رام الله والبيرة، وسلفيت في الضفة الغربية، مستثنَيين من قرار عباس، فيما محافظ المنطقة الوسطى في قطاع غزة، عبد الله أبو سمهدانة، الذي توفّي عام 2020، لم يعيَّن بديل منه. وتبع هذا المرسوم مرسومُ رئاسي آخر يقضي بتشكيل لجنة رئاسية، تضمّ عدداً من الشخصيات القيادية ذات الاختصاص، لاختيار مرشحين لشغل المناصب الشاغرة، ثمّ إحالة قائمة المرشّحين إلى الرئيس لإصدار قرار بشأنها.

وبحسب ما علمته «الأخبار» من مصادر في السلطة، فإن خطوة عباس تلك تأتي «استكمالاً لتنفيذ مخطّط يهدف إلى استعادة قوة السلطة في الضفة الغربية، ويلقى دعماً أميركياً وعربياً». كما أنها تجيء، بحسب المصادر، بعد سلسلة اتصالات ولقاءات أجراها أمين سر اللجنة التنفيذية لـ«منظمة التحرير»، حسين الشيخ، ورئيس جهاز المخابرات الفلسطيني، ماجد فرج، مع مسؤولين أميركيين وعرب، تمّ التوافق خلالها على التجهيز للقاء جديد على غرار اجتماعات العقبة وشرم الشيخ. وكشفت المصادر أن عباس «أصدر توجيهات جديدة إلى الأجهزة الأمنية في الضفة الغربية بتكثيف جهودها لإنهاء حالات المقاومة التي ظهرت في عدد من مدن الضفة، وذلك بعد تعهّدات قدّمها للإدارة الأميركية أخيراً». وتترافق هذه التوجيهات مع «ضغط أميركي على حكومة نتنياهو لتمرير تحسينات اقتصادية تساعد السلطة على القيام بالدور الموكل إليها»، وفق المعلومات.

ومن جانب الاحتلال، كشفت مصادر عبرية أن دوائر صنع القرار الإسرائيلية تعكف، هذه الأيام، على إعداد خطة واسعة لدعم السلطة الفلسطينية، أمنياً وسياسياً واقتصادياً، سعياً لمنع انهيارها. وفي هذا الإطار، ذكرت صحيفة «يديعوت أحرونوت» العبرية أن الخطة تشمل، في شقّها الأمني، السماح للسلطة بحرية العمل داخل المناطق «أ»، وتقييد اقتحامات جيش العدو لتلك المناطق، ولا سيما أن الأجهزة الأمنية الفلسطينية تنشط بقوة في هذه الأيام ضدّ المقاومة في شمال الضفة. ومن ضمن التسهيلات التي يُراد من خلالها تعزيز صورة عباس أمام الفلسطينيين، الإفراج عن الأسرى من كبار السن والأطفال، ممّن شارفت محكومياتهم على الانتهاء، وتسليم جثامين الشهداء «غير المنتمين إلى فصائل مسلّحة، ومن غير منفّذي العمليات». أمّا في الشق السياسي، فأشارت «يديعوت أحرونوت» إلى

> ثمّة تشكيك في قدرة نتنياهو على إقناع شركائه بالموافقة على التسهيلات الاقتصادية لصالح رام الله

أن دولة الاحتلال ستواصل اللقاءات مع السلطة في شرم الشيخ بوساطة مصرية، وبحضور الأردن والولايات المتحدة، على أن يكون المنحى العام لهذه الاجتماعات أمنياً حصراً. وعلى الصعيد الاقتصادي، يدرس الأمن الإسرائيلي، وفق الصحيفة، استمرار «تجربة» السماح للفلسطينيين بالسفر عبر مطار «رامون» في النقب، وتطوير حقل غاز «غزة مارين» قبالة سواحل القطاع، بالتعاون مع مصر، وكذلك منح السلطة نصف عائدات رسوم المرور عبر معبر الكرامة.

ووصفت «يديعوت أحرونوت» التسهيلات المذكورة بـ«الاستراتيجية»، لافتةً إلى أنها «تهدف إلى مساعدة السلطة على التأقلم مع الواقع المالي الصعب، والتحدّيات الأمنية الملقاة على عاتقها، وخاصة في شمال الضفة». وكان قدّم منسّق أعمال حكومة الاحتلال، غسان عليان، ومستشار «الأمن القومي» الإسرائيلي، تساحي هنغبي، حزمة من المقترحات للمصادقة عليها لدعم السلطة، ومن بينها تأجيل تحصيل الديون المستحَقّة على الأخيرة سنة إضافية، وتحويل عائدات رسوم معبر الكرامة والتي تُقدَّر بنصف مليار شيكل إلى رام الله، بالإضافة إلى إقامة منطقة صناعية قرب الخليل. لكن الصحيفة شكّكت في قدرة نتنياهو على إقناع شركائه في الائتلاف الحكومي بالموافقة على تلك الإجراءات، وخاصة في ظلّ تهديد أحزاب المستوطنين بمعارضة المصادقة عليها.

من جهتها، حذّرت «الجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين» من أيّ عودة إلى إحياء مسار «العقبة - شرم الشيخ»، معتبرةً أن هذه العودة «ستلحق ضرراً بالغاً بالقضية الوطنية، بعد أن أثبتت التجربة المُرّة لهذا المسار، أنه شكّل غطاءً للاحتلال الإسرائيلي وجرائمه، وألقى على عاتق السلطة الفلسطينية مسؤولية الالتزام بالوظيفة الأمنية». وحذّرت الجبهة من الاستجابة للضغوط الأميركية على بعض الأطراف الإقليمية، بذريعة تخفيف حدّة التوتر في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وتعزيز التعاون الأمني مع دولة الاحتلال، وبناء حالة من الهدوء تساعد واشنطن على مواصلة مباحثاتها مع الرياض، في إطار مبادرة الرئيس الأميركي، جو بايدن، لتعميم حالة التطبيع في المنطقة.

أكثر المحافظين المقالين تجاوزوا ستّ التقاعد القانونية (أ ف ب)

«مجزرة» المحافظين
السلطة تبدّل جلدها

يوسف فارس

نفّذ رئيس السلطة الفلسطينية، محمود عباس، «مجزرة» بحقّ معظم محافظي محافظات الضفة الغربية وقطاع غزة؛ إذ أقال، ظهر أول من أمس، وبطريقة فجّة ومفاجئة، 12 محافظاً من أصل 16. الطريقة التي أقال فيها عباس محافظيه الأكثر خبرة وعمراً في إدارة شؤون المحافظات، تندّ عن رغبة في تقصد الإهانة والإذلال، وخصوصاً أن المرسوم نُشر عبر وكالة الأنباء الرسمية «وفا»، متضمّناً أسماء المحافظين المقالين، الذين سمعوا بقرار عزلهم من الصحافيين الذين بادروا إلى الاتصال بهم، من دون أن يُبلَّغوا رسمياً. وفي هذا الصدد، قال محافظ أريحا، جهاد أبو العسل، في تصريحات إلى وسائل إعلام محلية: «لم يكلّمنا أحد بشأن قرار الإحالة إلى التقاعد، ولم نبلَّغ به مسبقاً، ولا ندري ما هي الأسباب، وفوجئنا به من وسائل الإعلام»، فيما قال محافظ طولكرم، عصام أبو بكر: «علمنا بقرار الإقالة اليوم، ولا نعلم ما هي الأسباب، ونحن ملتزمون بقرار الرئيس». أما محافظ غزة، إبراهيم أبو النجا، فاعلن رفضه الطريقة التي تمّت فيها الإقالة، والجدير ذكره، هنا، أن المجلس الثوري لحركة «فتح» كان قد أوصى، في تموز 2021، بإجراء تغييرات واسعة في مناصب المحافظين والسفراء وحكومة محمد اشتية، لكن تلك التوصية بقيت من دون تنفيذ.

مثيرون للجدل

خلال السنوات الأخيرة، اقترنت أسماء بعض المحافظين المقالين بتصريحات وتصرفات أثارت جدل الشارع، وتسبّبت بموجة انتقادات واسعة في مواقع التواصل الاجتماعي. ففي 22 كانون الأول من العام الماضي مثلاً، طالب محافظ جنين، أكرم الرجوب، سلطات الاحتلال، بالتوقف عن اقتحام المخيم، وإعطاء الأجهزة الأمنية فرصة للتعاطي مع خلايا المقاومة الصاعدة هناك. وقال الرجوب في حديث إلى «إذاعة الجيش الإسرائيلي»: «يجب إعطاء الأجهزة الأمنية الفلسطينية فرصة للعمل، وعدم الاقتحام ليلاً ونهاراً وهدم البيوت وقتل الناس، ثم تطلبون منهم العمل. وفي مطلع تشرين الأول 2022، وصف محافظ نابلس، إبراهيم رمضان، أمهات الشهداء بـ«الشاذات»، وقال في تصريح إلى إذاعة «النجاح» المحلية: «الأم هي مَن تظهر الحنان والعطف، لكن هنالك أمهات شاذات ترسل أبناءها للانتحار، وتظهر لآخرين أنها (المناضلة)».

هذه ليست أمّا». آنذاك، ردّت جماعة «عرين الأسود» على تصريحات رمضان ببيان صحافي طالبته فيه بالاستقالة بقولها: «استقل واحفظ ماء وجهك وما قدّمته من سنوات في سجون الاحتلال، فكل شيء في هذا البلد مؤقت. الشهداء والأسرى وأمهات الشهداء دائمون، والباقي وهم وسراب». بدوره، كان محافظ أريحا، جهاد أبو العسل، أكثر ظرافة من سابقيه، حينما ردّ على مذيعة قناة «الجزيرة»، التي سألته عن موقف السلطة من الاجتياح الإسرائيلي لمحافظة أريحا ومخيم عقبة جبر، في مطلع شهر شباط من العام الجاري، بالقول بكل ثقة: «حتى لو ما كان عنا مقدرة فاضعف الإيمان نسبّ عليهم». أما محافظ الخليل، جبرين البكري، فارتبط اسمه بجريمة اغتيال الناشط السياسي نزار بنات، فيما تكرّر في مواقع التواصل الاجتماعي تداول صور له تظهره وهو يتنزه ويتناول البوظة في شوارع مدينة تل أبيب.

> معظم المحافظين المقالين مقرّبون من جهاز الأمن الوقائي ويحسبون على القيادي جبريل الرجوب

على أن ماخذ الشارع على محافظي الضفة، لم تكن حاضرة في حالة محافظي القطاع، الذين فرض عليهم واقع الانقسام دوراً محدوداً، اقتصر على حضور المهرجانات وتنظيم الزيارات الاجتماعية للأفراح وبيوت العزاء. ولذا، وجد كثير من المعلّقين على قرار الإقالة الجماعي، أن المستهدَف به محافظو الضفة، وأن أمثالهم في غزة ذهبوا مع الموجة.

ضخّ دماء جديدة

إلى جانب أن أكثر المحافظين المقالين تجاوزوا سن التقاعد القانونية، وحظوا بالتجديد مرات عدة، اعتبرت مصادر في السلطة الفلسطينية أن خطوة الإقالة هدفها ضخّ دماء جديدة في أوردة السلطة. إذ رأى عضو المجلس الثوري في حركة «فتح»، محمد اللحام، أن «المؤسسات العامة في معظمها أصابها التكلس، وفي حاجة إلى ضخ دماء جديدة شابة»، معتبراً أن الوضع الداخلي الفلسطيني يتطلّب «التغيير لرفع الهمّة، واستنهاض الوضع، ومعالجة كثير من التجاوزات في المجتمع الفلسطيني». لكن مصادر مطلعة في حركة «فتح» أعربت عن اعتقادها بأن الاعتراضات الشعبية على أداء المحافظين السيئ، ليست سوى مبرّر لتمرير هذا التغيير الكبير، لافتة، في حديث إلى «الأخبار»، إلى أن «معظم المحافظين المقالين مقرّبون من جهاز الأمن الوقائي، ويحسبون على القيادي جبريل الرجوب»، وأنه «يمكن التقدير أن هذه الخطوة جاءت في سياق التنافس الداخلي بين أقطاب السلطة، وأن الدافع الأول لتمرير قرار كهذا، في توقيت بالغ الحساسية، هو رئيس جهاز المخابرات الفلسطيني، ماجد فرج، الذي سيضع كل ثقله في تنسيب محافظين جدد، يدينون بالولاء لجهاز المخابرات العامة الذي يترأسه شخصياً».

أما الباحث السياسي مجد ضرغام، فرأى أن المحافظين المقالين استُهلكوا وظيفياً، وقد راكموا في خلال مسيرتهم الطويلة قدراً كبيراً من الأخطاء والسلوكيات السيئة، مقابل قدر محدود من الإنجازات. وأعرب ضرغام، في حديثه إلى «الأخبار»، عن اعتقاده بأن «السلطة تريد أن تبدّل جلدها ظاهرياً، من دون أن تغير سياستها الجوهرية، المتمثّلة في المحافظة على الخيار السياسي للسلطة، المعارض لأيّ برنامج مقاوم، وبالتالي الاستمرار في دورها الأمني في ملاحقة خلايا المقاومة ومحاولة تقويضها». وأضاف ضرغام أن «اللجنة التي أعلن عن استحداثها لانتقاء محافظين جدد، ستحرص من ناحية الشكل العام على انتقاء شخصيات تجمع بين الحضور الأكاديمي والخلفية الأمنية والسجل الخالي من الانتقادات الشعبية، للإيحاء للشارع والمانحين على حدّ سواء، ببدء صفحة جديدة تزيد من حضور السلطة شعبياً ودولياً».

وجدير بالذكر أن عبد الإله الأتيرة، وهو مستشار رئيس الحكومة محمد اشتية، كان كشف، في تصريحات صحافية، عن تجهيز قائمة بتغييرات واسعة ستطاول سفراء ووزراء بالإضافة إلى إعادة تشكيل الحكومة، فيما تحدثت مصادر صحافية عن تصاعد الخلافات بين اشتية وعباس، بعد تعمُّد الأخير تهميش الأول، وعدم اصطحابه إياه أخيراً إلى اجتماع الأمناء العامين للفصائل الفلسطينية في منتجع العلمين في مصر.

مسلسل التسهيلات المكرور يتجدّد: العدو يواصل الخداع

رام الله ـ أحمد العبد

ملأ رئيس وزراء العدو، بنيامين نتنياهو، الدنيا جعجعة عن نيّة حكومته تقديم تسهيلات اقتصادية للسلطة الفلسطينية لتقويتها ومنع انهيارها، استجابةً للضغوط الأميركية التي مورست عليه في هذا الإطار، من دون أن ترى رام الله طحيناً حتى اللحظة، في ما يشي بأن الأمر كلّه قد لا يعدو كونه حلقةً جديدةً من مسلسل دعائي مكرور. وبينما يدور الحديث عن نيّة نتنياهو ووزير حربه، يوآف غالانت، إقرار التسهيلات في الأيام المقبلة، بعيداً من موافقة مجلس الوزراء عليها مجتمعاً، حيث لا تزال تلقى معارضة من وزيرَي المالية بتسلئيل سموتريتش، و«الأمن القومي» إيتمار بن غفير، تعكس هذه الخطوة، في حال تحقّقها، استمرار التعامل الإسرائيلي مع السلطة باعتبارها وكيلاً خدماتياً مدنياً وأمنياً فقط، من دون الاكتراث بأيّ أفق سياسي معها، وهو ما كان جاهر به نتنياهو مجدّداً، بتأكيده للمرّة الألف رفضَه «حلّ الدولتين»، وقوله في حديث صحافي: «هذه لن تكون دولة فلسطينية، هذه ستكون دولة بسيطرة إيرانية (...) أنا أقول طوال الوقت إن الطريق الوحيدة التي يمكن أن يكون فيها اتفاق سلام نهائي مع الفلسطينيين في المستقبل، هي أن تبقى إسرائيل القوة الأمنية العليا في المنطقة، وإلّا فإننا سننهار، وهم سينهارون أيضاً».

بناءً عليه، قد يعلن نتنياهو عن جملة من التسهيلات الاقتصادية للسلطة بالفعل، لكنه لن يكون مضطرّاً لتنفيذها بالكامل، بل يستطيع المماطلة فيها أو إلغاءها تحت أيّ ذريعة، وحتى لو أُنفذت بشكل تامّ، فإنها ستكون من دون أثر بعيد المدى، ولن تشكّل تحوّلاً لصالح استقرار السلطة. ذلك أن إسرائيل تريد الأخيرة بوضعها الحالي: معلّقةً ما بين الحياة والموت، ومنتظرة ما يأتيها من مساعدات، في ما يبدو وكأنه محاولة لترويضها، وإنسائها أيّ أمل بالعملية السياسية التي لا تزال تتشدّق بها. والواقع أن هذا التكتيك يحظى بدعم من المؤسسة العسكرية الإسرائيلية، لاعتقادها أنه قد يسهم في تهدئة الأوضاع الأمنية في الضفة الغربية المحتلّة، ولجم عمليات المقاومة، والذي يشكّل المطلب الرئيس من السلطة، فيما مطالبها هي، والتي لا تفتأ تقدّم قوائم بها إلى الإدارة الأميركية في محاولة لاستدراج ضغوط على إسرائيل، ومن بينها وقف اقتحامات جيش الاحتلال للمدن، ووقف هدم المنازل في المناطق المصنّفة «ج»، ووقف الاستيطان في الضفة، ومواجهة إرهاب المستوطنين الممارَس ضد الفلسطينيين، لا تتوقّف تل أبيب حتى لقراءتها حتى.

> لن تؤدّي التسهيلات المنتظرة للسلطة، إلّا إلى تشديد قبضة الاخيرة الامنية في مواجهة المقاومة

وبالنتيجة، لن تؤدّي التسهيلات المنتظرة للسلطة، إلّا إلى تشديد قبضة الأخيرة الأمنية في مواجهة المقاومة، وتخفّف إسرائيل من بعض الضغوط الأميركية في سياق محاولتها تقديم «تنازلات» للبيت الأبيض يمكن تسويقها في مقابل اتفاق التطبيع المنشود مع السعودية. ولا تنكر السلطة حقيقة أن تلك التسهيلات محدودة وغير كافية، بل وسخيفة بحسب وصف البعض، كونها لا تقترب حتى مما تطلبه رام الله من خلال اتصالاتها الدائمة مع واشنطن، أو ما اتُّفق عليه في قمّتَي العقبة وشرم الشيخ، في وقت يُجري فيه على قدم وساق الترتيب لفقة ثالثة من هذا النوع. والحقيقة أن ما تنوي تل أبيب تقديمه ليس سوى حقوق سرقتها هي بنفسها، ومن بينها مثلاً قرض بقيمة 500 مليون شيكل ستسمح للسلطة بالتوقّف عن تسديده، فيما هو في الواقع قيمة ما تقتطعه إسرائيل من أموال المقاصة، والذي يخصّ رواتب الشهداء والأسرى. كذلك، تأتي الموافقة على تقاسم ضرائب المغادرين الفلسطينيين على معبر الكرامة بالمناصفة، بعد سرقة إسرائيل ملايين الشواكل طوال السنوات الماضية، بينما الحديث عن المنطقة الصناعية في ترقوميا قديم، ولم يسلك سبيله إلى التنفيذ إلى الآن.

على أن تلك الوقائع ليست مفاجئة أو مستغربة؛ إذ إن السلطة، ومنذ لحظة ولادتها، وضعت عنقها تحت المقصلة الإسرائيلية، وكبّلت نفسها بـ«اتفاقية باريس» الاقتصادية، وجعلت وجودها عرضة للابتزاز والضغط، وهو ما يتجلّى مثلاً في اقتطاع تل أبيب الملايين من قيمة الضرائب التي تجمعها نيابة عن رام الله عقاباً للأخيرة على توجّهها إلى المحافل الدولية، وتحويلها تلك الأموال أحياناً لصالح عملاء لإسرائيل، أو لمستوطنين قُتلوا في عمليات فدائية. وعلى رغم أن ما قدّمته تل أبيب لرام الله، دائماً، لم يكن سوى فتات، وهو ما ينسحب على الوضع الحالي، فإنها تضع مقابل ذلك أثماناً كبيرة، الأمر الذي يتكرّر اليوم بطلبها من واشنطن ممارسة «ضغوط على الفلسطينيين للعمل ضدّ الإرهاب»، وفقاً لما نشرته «القناة 13»، مساء (الثلاثاء)، كما أن خطوتها المنتظرة لا تعدو كونها جزءاً من البروباغندا المطلوبة في مواجهة تصاعد الانتقادات الدولية والحقوقية لها، على ضوء دعمها وتشجيعها لإرهاب المستوطنين.

في المقابل، فإن السلطة لا تزال تتمسّك بما تسمّيه «المشروع السياسي» الهادف إلى انتزاع حقّ الفلسطينيين في إقامة دولة لهم على حدود 1967، على الرغم من أن إسرائيل ألغت عملياً أيّ إمكانية لقيام هكذا دولة بتغوّلها الاستيطاني في الضفة. وأمّا التحرّك الأميركي - الإسرائيلي الآن لاستئنافها فليس سببه تبدّلاً في تلك الاستراتيجية، وإنّما تصاعد حالة المقاومة في الضفة، والتي فشل الاحتلال في القضاء عليها كما فشل في حصاره على غزة، وهو ما يستوجب اللجوء إلى أساليب أخرى بهدف احتواء الحالة المشار إليها، في ما يذكّر بالاتصالات التي انهالت على السلطة خلال معركة «سيف القدس»، ومن بينها واحد من الرئيس الأميركي، جو بايدن، بعد تجاهل دام أشهراً. وإذا كانت السلطة تحاول، في كلّ مرّة، تبرير إغراقها في «التنسيق الأمني» بتصدير مطالب تأمل تلبيتها، من مثل وقف الاقتحامات الإسرائيلية لمناطق «أ» الواقعة تحت سيطرتها الكاملة، والتي بسببها ترتفع انتقادات الفلسطينيين للأجهزة الأمنية واتّهاماتهم لها بعدم توفير الحماية لهم، ووقف هدم منازل الفلسطينيين في المناطق «ج» التي تمثّل 60 % من مساحة الضفة، وتوقّع تحت سيطرة إسرائيلية كاملة، مقابل تشجيع المستوطنين على البناء فيها، ووقف جرائم المستوطنين التي تصاعدت على نحو غير مسبوق في العام الجاري، فالأكيد، على ضوء المعطيات المتقدّمة، أن رام الله لن تتمكّن من نيل أيّ من تلك المطالب.

تكتيك نتنياهو يحظى بدعم من المؤسسة العسكرية الإسرائيلية (أ ف ب)

تقرير

أميركا - إيران: اتفاق محدود في خضمّ التصعيد

طهران ـ محمد خواجوئي

بينما كانت غالبية الأنظار مُتّجهة خلال الأيام الأخيرة نحو تزايد التصعيد بين إيران وأميركا، وسط تهديد وتوعّد كلّ منهما الآخر في الخليج، أعلن فجأة أن الطرفين توصّلا إلى صفقة تقضي بإفراج إيران عن 5 محتجزين أميركيين - إيرانيين مزدوجي الجنسية، مقابل الإفراج عن 6 مليارات دولار من الأرصدة الإيرانية المجمّدة. وتأسيساً على هذا الاتفاق الذي أعلنت عنه وسائل إعلام إيرانية

> اتفاق إطلاق سراح السجناء المحدود يشي بإمكانية إرساء نماذج مماثلة

وأميركية، ومن ثمّ سلطات البلدين مساء الخميس الماضي، فإنه سيتمّ إطلاق سراح كل من سيامك نمازي، وعماد شرقي، ومراد طاهباز، واثنين آخرين من مزدوجي الجنسية لم تُعلن هويتهما، على أن يتمّ في المقابل الإفراج عن 6 مليارات دولار من الأموال الإيرانية المجمّدة لدى كوريا الجنوبية. وقالت وسائل إعلام إيرانية إن هؤلاء السجناء الخمسة نُقلوا من سجن «إيفين» إلى فندق في طهران، وهو ما اعتُبر تمهيداً لوضع الاتفاق موضع التنفيذ، فيما تقول مصادر مطّلعة إن عملية مغادرة السجناء، إيران، ستستغرق عدة أسابيع، مرجّحة إتمامها في أيلول المقبل. وبناءً على الصفقة المُعلنة، فإنه من المقرّر أن تُحوَّل الأصول الإيرانية المفرج عنها من كوريا الجنوبية إلى حساب خاص في البنك المركزي القطري، بينما لن يكون بمقدور إيران الوصول إلى هذه الأموال بشكل مباشر، وسيقتصر استخدامها لها على شراء السلع التي لا تخضع للعقوبات الأميركية (الغذاء والدواء وبعض المستلزمات الطبية). كذلك، سيتمّ، بموجب الصفقة نفسها، الإفراج أيضاً عن مواطنين إيرانيين محتجزين لدى أميركا.

وللمحادثات التي الت إلى الاتفاق الحاصل، تاريخٌ طويل؛ إذ تعود انطلاقتها إلى ما قبل عامين ونصف عام، حين أجريت بصورة غير مباشرة وبوساطة عمانية وجهود قطرية. وانطلقت هذه المحادثات عام 2021 بالتزامن مع محادثات إحياء الاتفاق النووي، إلا أن طرفيها أعلنا مراراً أنه لا علاقة لها بالمحادثات النووية، وأنها تسلك مساراً منفصلاً. وعلى رغم توقف هذه الأخيرة منذ نحو عام، إلا أن إيران وأميركا تمكّنتا من طيّ ملف محادثات الإفراج عن السجناء من ذوي الجنسية الإيرانية الأميركية المزدوجة، بتوصّلهما إلى صفقة نهائية في هذا الخصوص. وتأتي تلك الصفقة بينما تصاعدت التوترات خلال الأسابيع الأخيرة بين إيران وأميركا عقب تكثيف الوجود العسكري للأخيرة في الخليج في وجه ما اعتبرته «احتواء التهديدات الإيرانية للملاحة البحرية الدولية»، والذي لم يمنع الطرفين، في النهاية، من إتمام خطوات، وإن كانت صغيرة، لخفض التصعيد، لا بل الاتفاق يمكن أن يسهم في تعزيز حظوظ «الاتفاق المؤقّت والمحدود».

لن يكون بمقدور إيران الوصول إلى الأموال المجمّدة بشكل مباشر (أ ف ب)

وكانت تبلورت فكرة الاتفاق المذكور قبل نحو ستة أشهر، بعدما تضاءلت الآمال بإمكانية إعادة إحياء الاتفاق النووي، وتمحورت تلك الفكرة حول إبرام توافقات ذات مدة محدودة وفي شأن موضوعات محدّدة، وبالتالي التحرك نحو تحقيق ضرب من «الانفراج». والجدير ذكره، هنا، أنه قبل نحو ثلاثة أشهر، قدّمت أميركا اقتراحات للجانب العماني تنص على الإفراج عن مبالغ من الأرصدة الإيرانية المجمّدة، مقابل توقف طهران عن التخصيب بنسبة تزيد على 60%، والسماح لها ببيع نفطها في الأسواق العالمية بصورة أسهل. إلا أن الفترة الزمنية لهذا الاتفاق المقترح بدا أنها أخذت في الاعتبار موعد الانتخابات الرئاسية الأميركية المقبلة عام 2024، كونها تتيح لكلا الطرفين التراجع عنه من دون تحمّل أثمان باهظة. وأريد من وراء الاقتراح أن تطمئن أميركا إلى عدم وصول برنامج إيران النووي إلى مستوى تصنيع القنبلة النووية في المستقبل القريب، وفي الوقت ذاته أن تقوم إيران بإعادة تأهيل اقتصادها المتأزّم من خلال الحصول على جزء من أرصدتها المجمّدة. وبحسب المصادر المطّلعة، فإن إيران لم تقدّم في تلك الفترة جواباً واضحاً على الاقتراح الأميركي، قائلة إنه قيد الدرس. وفي وقت لاحق، رفض الطرفان إجراء محادثات بشأن إبرام «اتفاق مؤقّت».

في كلّ الأحوال، الاتفاق على الإفراج عن السجناء هو نوع من «الاتفاق المحدود»، وقد يكون من شأنه أن يعزّز من جاهزية الطرفين لإرساء نماذج مماثلة، تكون بمنزلة مُهدّئ لإدارة الأزمة، وعلى وجه التحديد تلك المتعلقة بالبرنامج النووي. ويتساوق ذلك مع ما أوردته، أمس، صحيفة «نيويورك تايمز» من أنّ الإعلان عن صفقة تبادل الأسرى بين الولايات المتحدة وإيران قد يزيد التعاون الدبلوماسي، وصولاً إلى اتفاق نووي بين الطرفين. وفي السياق نفسه، ذكر موقع صحيفة «يديعوت أحرونوت» العبري أن مسؤولين إسرائيليين رفيعي المستوى في المؤسسة الأمنية والعسكرية الإسرائيلية قالوا إنّ «الصفقة هي جزء من التفاهمات الأوسع بين البلدين».

اليمن

صنعاء ترصد «توسّعاً» بحرياً أميركياً
حاضرون للمعركة «الأطول»

صنعاء ـ رشيد الحداد

رصدت القوات البحرية التابعة لصنعاء، في خلال الأيام الماضية، مرور عدد من القطع البحرية الأميركية في المياه الدولية في البحر الأحمر. وبحسب مصادر مطّلعة تحدّثت إلى «الأخبار»، فإن «عشرات القطع البحرية الأميركية عبرت من الممرّ الدولي المقابل لسواحل اليمن الغربية، قادمة من قناة السويس، في طريقها نحو الخليج العربي». وكشفت المصادر أن «قوات خفر السواحل التابعة لصنعاء نشرت زوارق بحرية على بعد ميلَين بحريَين من الممرّ الملاحي الدولي، وذلك لرصد أيّ اختراق أميركي للمياه الإقليمية اليمنية»، مضيفة أن «زوارق بحرية قامت بتنفيذ دوريات مكثّفة» على امتداد مناطق سيطرة حركة «أنصار الله»، التي تسيطر على 18 جزيرة في البحر الأحمر، «لرصد أيّ تحرّكات معادية». وفي أوّل تعليق رسمي من صنعاء على تلك التطوّرات، أكّد قائد قوات الدفاع الساحلي، اللواء الركن محمد القادري، أن قواته «تراقب القوّة الأميركية منذ دخولها إلى قناة السويس»، مؤكداً «جاهزيتها للردّ والردع لدى أيّ اقتراب من مياه اليمن الإقليمية». ووصف القادري، في تصريح نقله موقع الجيش اليمني الأربعاء، «التواجد العسكري للقوات الأميركية والصهيونية في البحر الأحمر وباب المندب» بأنه «استفزازي»، محذراً من أن «لدى البحرية اليمنية من القدرات والمفاجآت ما يردع العدو»، ومشيراً إلى «(أننا) عملنا خلال الهدنة وخفض التصعيد على بناء وتطوير قدراتنا بشكل غير مسبوق».

وفي الاتجاه نفسه، أعلن وزير الدفاع في حكومة الإنقاذ، اللواء الركن محمد ناصر العاطفي، خلال ترؤسه اجتماعاً أول من أمس لقادة القوات البحرية، أن «اليمن يعمل جاهداً على امتلاك قوة بحرية ضاربة تكون أشد عزماً وأقوى تأثيراً وبوسائل وأساليب تضمن فرض السيادة البحرية على المياه الإقليمية اليمنية الكاملة»، موجّهاً بـ«رفع الجاهزية القتالية والعسكرية للقوات البحرية والدفاع الساحلي إلى مستويات تمكّنها من تنفيذ أيّ مهام عسكرية توجبها مقتضيات معركة حماية السيادة البحرية للجمهورية اليمنية». وحذّر من أن «أيّاً كانت تبريرات القوى الغربية، فإن ذلك لا يعطيها الحق في التدخل في السيادة اليمنية أو فرض نفوذها على مياهنا الإقليمية». وكانت صنعاء استبقت التحرّك الأميركي بالتحذير، على لسان نائب وزير خارجيتها حسين العزي، من أنه «في حال اقتراب القوات الأميركية من المياه الإقليمية، فستبدأ المعركة الأطول والأكثر كلفة»، والتنبيه إلى أن «التواجد العسكري الأميركي في البحر الأحمر وباب المندب يتهدّد الملاحة الدولية، وينذر بانفجار الصراع في أهمّ المضائق الملاحية العالمية».

من جهته، أفاد مصدر مطّلع في صنعاء، «الأخبار»، بأن «القوات الأميركية عزّزت تواجدها وخصوصاً في جزيرة ميون الاستراتيجية»، موضحاً أن «هذا التواجد كان بدأ منتصف العام الجاري، وتمّ تعزيزه أخيراً بفرقاطة عسكرية وعشرات العناصر». ووفقاً للمصدر، فإن قوات أميركية تقوم بنشر دوريات من حين إلى آخر في الممرّ الملاحي الدولي في البحر الأحمر وباب المندب، وإن هناك قطعاً بحرية أميركية تنتقل من فترة إلى أخرى من ميون إلى القاعدة التابعة للبحرية الأميركية في جيبوتي. وتكمن أهمية ميون (المسمّاة بريم أيضاً) في كونها تشرف على الممرّ الذي تسعى واشنطن إلى التحكّم به، وهي وقعت تحت سيطرة الإمارات منذ عام 2016، حيث عمدت أبو ظبي إلى تهجير أكثر من 200 أسرة من سكانها خلال السنوات الماضية، إلا أن الوجود الإماراتي هناك بات رمزياً الآن. إذ وفقاً لأكثر من مصدر، فقد تسلّم الأميركيون الجزيرة منتصف العام الجاري، فيما تمّ نقل ما تبقّى من عناصر تابعة لأبو ظبي إلى مدينة المخا الساحلية، على رغم أن الإمارات كانت أنشأت، العام قبل الفائت، مدرجاً لطيران عسكري في ميون، واستحدثت عدداً من العناصر الخاصة بالجند، واستغلّت المرفأ الواقع جنوب غربي الجزيرة التي أغلقتها بشكل كامل وحوّلتها إلى منطقة عسكرية. والجدير ذكره، هنا، أن التواجد الأميركي الأكبر يتركّز في جزيرة حنيش الكبرى، حيث أقامت واشنطن مركز تتبّع للسفن، وغرفة عمليات بحرية، ولا تزال تغلق مرتفعات واسعة من الجزيرة، موكلة مهمة خفر السواحل إلى قوات مشتركة موالية للإمارات والسعودية.

> القوات الأميركية عزّزت تواجدها خصوصاً في جزيرة ميون الاستراتيجية

وبالتزامن مع إعلان الولايات المتحدة نشر ثلاثة آلاف جندي أميركي بمعية سفينتَي إنزال برمائي وهجوم في البحر الأحمر الذي يطلّ اليمن على أجزاء واسعة منه، أعلن عضو المكتب السياسي لحركة «أنصار الله»، علي القحوم، في سلسلة تغريدات على «تويتر»، أن «صنعاء تراقب عن كثب التدفّق المستمر للقوات الأميركية، وإعادة التموضع في مناطق العند وخور عميرة في لحج، إضافة إلى جزيرة ميون، ومحافظات حضرموت وسقطرى والمهرة على الساحل الشرقي». وحذر القحوم من ما اعتبره «عملاً شيطانياً يستهدف اليمن والمنطقة برمّتها»، معتبراً أن «التدخل الأميركي الأخير يستهدف السيطرة على باب المندب»، مؤكّداً أن «صنعاء لن تقف متكوفة الأيادي أمام المؤامرة التي تحاك ضدّ اليمن والمنطقة».

الغرب يتلطّى خلف «إكواس»: التدخّل العسكري في النيجر مؤجّل

محمد عبد الكريم أحمد

لم تنجح مقاربة «الجماعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا» (إكواس) في التوصّل إلى حلول وسط مع قادة الانقلاب في النيجر، على الرغم من التفويض الذي حصلت عليه من الولايات المتحدة وفرنسا منذ الساعات الأولى من وساطتها. ويأتي ذلك وسط تقارير عن انقسامات حقيقية بين أعضاء المجموعة حول مسألة التدخّل العسكري خصوصاً،

> أبدت نيجيريا، منذ وقوع الانقلاب نهاية تموز الماضي، قدراً كبيراً من التحمّس للتدخل العسكري، وهو ما يبدو مفهوماً في ضوء اعتبارات عدّة أهمّها طول حدودها المشتركة مع النيجر شمالاً، وتخوّف نظام الرئيس النيجيري الجديد، بولا تينوبو، من تداعيات الأزمة في النيجر على دول جوار أخرى أهمّها تشاد وبنين، ممّا يعنيه من تقليص غير مسبوق منذ عقود من النفوذ الغربي المطلق في إقليم الساحل ودول غرب أفريقيا.

منذ نهاية المهلة التي وضعتها لإعادة الرئيس المعزول، محمد بازوم، إلى منصبه. وعلى الرغم من هذا الانقسام، خرجت قمة «إكواس»، التي انعقدت في 10 آب، بتوصيات أبقت التدخل العسكري لـ«استعادة الديموقراطية في النيجر»، خياراً مطروحاً، ودعت إلى تجهيز «قوة استعداد» لنشر عناصرها داخل هذا العملية، من دون تحديد موعد العملية أو سقفها الزمني أو حجمها.

قمة «إكواس»: إملاءات غربية

سبقت قمّة «إكواس» الأخيرة، زيارة لفيكتوريا نولاند، الى نيامي (الخارجية الأميركي)، إلى نيامي المشهد، في وقت سُجّل فيه تراجع في حدّة لهجتها، بقولها إن الأمر يرجع إلى المجموعة لاتّخاذ القرار المناسب حول «كيفية استعادة النظام الدستوري في النيجر». وفي هذا الإطار، يمكن اعتبار مخرجات قمّة «إكواس»، والتي أبقت خيار التدخّل العسكري على الطاولة، استجابةً لإملاءات غربية واضحة، بالتزامن مع تصاعد القلق الغربي من احتمالات نجاح الانقلاب، وما يعنيه من تقليص غير مسبوق منذ عقود من النفوذ الغربي المطلق في إقليم الساحل ودول غرب أفريقيا.

سيفت قمة «إكواس» الأخيرة، زيارة لنائبة وزير الخارجية الأميركي، فيكتوريا نولاند، الى نيامي (أ ف ب)

نيجيريا وقيادة التدخل العسكري الإقليمي

أبدت نيجيريا، منذ وقوع الانقلاب نهاية تموز الماضي، قدراً كبيراً من التحمّس للتدخل العسكري، وهو ما يبدو مفهوماً في ضوء اعتبارات عدّة أهمّها طول حدودها المشتركة مع النيجر شمالاً، وتخوّف نظام الرئيس النيجيري الجديد، بولا تينوبو، من تداعيات الأزمة في النيجر على دول جوار أخرى أهمّها تشاد وبنين، ممّا يعنيه من تقليص غير مسبوق منذ عقود من النفوذ الغربي المطلق في إقليم الساحل ودول غرب أفريقيا.

مشابه، لكن من زاوية طول فترة حكم الرئيس الحالي، بول بيا، منذ عام 1982)، فضلاً عن إخلال انقلاب النيجر بالترتيبات الاقتصادية والأمنية التي كان قد تمّ الاتفاق عليها بين بازوم وشركائه الدوليين (بما في ذلك شركات الطاقة والتعدين الدولية). وعلى الرغم من تمتّع نيجيريا بجيش نظامي كبير (يقترب عديده من 230 ألف جندي)، فإنها لم تستطع مجابهة التحديات الداخلية التي فرضها الإرهاب وشبكاته على البلاد، في أحدث مواجهاته منذ نحو عقد ونصف عقد، مجابهة حاسمة، ما يثير تساؤلات حول قدرتها على الدفع بقوات كافية إلى التدخّل الحاسم والسريع. لكن وفق بعض التقارير، فإن دول «إكواس» اتّفقت على تكوين قوة قوامها نحو خمسة آلاف جندي، توفّرها مجتمعةً. وفي حال نجاح المجموعة في إرسال قوة بهذا الحجم الكبير نسبياً، تحت غطاء جوّي فرنسي (ودعم لوجستي من قبل القوات الألمانية والإيطالية في النيجر، بغضّ النظر عن موقف القوات الأميركية الذي يظلّ رهن اللحظات الأخيرة)، فإن المعركة في النيجر ستكون مفتوحة ومحفّزة لصراع إقليمي أوسع نطاقاً، ولا سيما إذا ما التزمت مالي وبوركينا فاسو بتعهّداتهما بالتدخل لصالح المجلس العسكري الانقلابي في نيامي. لذا، يبدو حرص أبوجا على إشراك أكبر عدد من دول «إكواس» في صنع قرار التدخل العسكري، مستهدفاً في المقام الأول حشد غطاء شرعي لتحرّكها، بغضّ النظر عن مجمل التداعيات السلبية لهذا التدخل على دول غرب أفريقيا، وخاصة في ملفّي الإرهاب والتشرّد الداخلي.

ماذا بعد؟

بدا لافتاً غياب الاتحاد الأفريقي عن ملف الأزمة في النيجر، ما يؤشّر إلى إطلاق يد «إكواس» في التصرّف، مع ضمان تجنيبها أيّ مساءلة قارّية. واكتفى الاتحاد، عقب قمة المجموعة (11 آب)، بالدعوة إلى الإفراج عن بازوم، وحضّ المجتمع الدولي على تنسيق جهوده في هذا الصدد. ومع توارد تقارير مكثّفة عن التنشيط الفعلي لقوة استعداد «إكواس»، وتحذيرات قادة المجلس العسكري في نيامي من امتداد «الحرب» خارج النيجر، فإنه يبدو أن الأيام القليلة المقبلة ستحمل في طيّاتها تطوّرات حاسمة، ستكون تبعاتها، إذا ما نحت منحى التدخّل، بالغة الخطورة في إقليم ظلّ مصنّفاً واحداً من أفقر أقاليم العالم لعقود. كما أن تحصّل «إكواس» على دعم غربي وتحصين إقليمي أفريقي، سيدفعها إلى استسهال التدخل لتحقيق ما تعتبره «استعادة للديموقراطية والنظام الدستوري» في النيجر، في ما يمثّل إطلاقاً جديداً لسياسات الاعتداء العسكري تحت غطاء «أخلاقي»، لا يستقيم مع الواقع القائم في دول الإقليم، سياسياً واقتصادياً واجتماعياً.

سوريا

«داعش» يضرب شرقاً وشمالاً: انتعاشة بدعم أميركي؟

الحسكة ـ ايهم مرعي

شنّ عناصر من خلايا تنظيم «داعش» هجومَين مسلّحَين استهدفا مواقع وآليات تابعة للجيش السوري والقوات الرديفة له في محافظتي الرقة ودير الزور، في خلال فترة زمنية لم تتجاوز الـ48 ساعة، ما يشي بسعي التنظيم لإعادة ترتيب نفسه، واستعادة جزء من نشاطه العسكري في البادية، بعد فترة من الانحسار شبه التام لعملياته في المنطقة. وكان «داعش» الذي شنّ عمليات عدة في موسم قطاف الكمأة في مثلث محافظات الرقة ودير الزور وحماة وصولاً إلى حمص، في شهرَي آذار ونيسان، انخفضت وتيرة هجماته، إثر شنّ الجيش السوري حملات تمشيط واسعة في المنطقة، مكّنته من القضاء على عدد من خلال التنظيم، وتدمير آليات ومصادرة أسلحة.

إلا أنه بعد حوالى أربعة أشهر من الهدوء النسبي في البادية، استعاد «داعش» زمام المبادرة الهجومية، من خلال شنّ هجوم على حاجز للجيش السوري في بلدة معدان عتيق على الحدود الإدارية بين محافظتَي الرقة ودير الزور، تزامناً مع مرور باص مبيت للقوات الرديفة، ما أدى إلى استشهاد عنصرين، وإصابة آخرين. وتعمّد «المرصد السوري» المعارض، كعادته، تضخيم الهجوم، من خلال ادّعاء استشهاد 10 عناصر وسيطرة التنظيم على البلدة لساعات، مع تدمير عدد من الآبنية. لكنّ الادّعاءات هذه، سارعت مصادر أهلية وميدانية متقاطعة إلى نفيها، في حديث إلى «الأخبار»، مؤكدةً أن «الوضع عاد إلى طبيعته سريعاً، مع استشهاد عنصر من الجيش وآخر من القوات الرديفة، وبعض الخسائر المادية». وفي اليوم التالي لهجوم الرقة، شنّ «داعش» هجوماً مشابهاً على باص مبيت تابع للجيش السوري، بالقرب من المحطة الثانية المعروفة باسم «T2»، جنوب شرق بادية الميادين في ريف دير الزور الشرقي، ما أدى إلى سقوط 25 شهيداً، وإصابة 7 آخرين.

وتأتي هذه الهجمات بالتوازي مع إعلان التنظيم تعيين الزعيم الخامس له، «أبو الحفص الهاشمي»، كخلفٍ للرابع «أبو الحسين القرشي»، الذي قُتل في عملية عسكرية تركية في بلدة جندريس في ريف حلب الشمالي. ومن هنا، يبدو أن التنظيم يريد التأكيد أن قدراته العسكرية الهجومية لا تزال قائمة، وذلك من خلال تنفيذ عمليتَين ناجحتَين بالاعتماد على أسلوب «الذئاب المنفردة»، الذي كان بدأ اتّباعه بعدما نفّذت الاستخبارات الأميركية والبريطانية عمليات عدّة نقل لسجناء «داعش» في سجون «قوات سوريا الديموقراطية - قسد»، مطلع الصيف الحالي، ما يعزّز احتمالية قيامها بتهريب أعداد إضافية منهم في اتجاه البادية الخاضعة لسيطرة الجيش السوري. أيضاً، تبرز هذه التطورات في وقت تسعى فيه الولايات المتحدة إلى تنفيذ مخطّط جديد لها، من خلال العمل على نقل عدد من عناصر الفصائل المسلحة المدعومة من تركيا إلى منطقة التنف وتدريبهم هناك، في ظلّ فشل «جيش سوريا الحرة» في زيادة عديد قواته، والذي لا يتجاوز الـ300 عنصر فقط.

كانت وتيرة هجمات «داعش» انخفضت إثر شنّ الجيش السوري حملات تمشيط واسعة في المنطقة (أ ف ب)

وفي السياق، تلفّت مصادر ميدانية، في حديث إلى «الأخبار»، إلى أن «التصعيد الروسي - الأميركي الأخير في سوريا، تركّز في معظمه في منطقة التنف ومحيطها، نتيجة تأكيدات روسية عن وجود دعم أميركي جديد لعناصر تنظيم داعش في منطقة الـ55 كم وحثّهم على شنّ هجمات على الجيش السوري، انطلاقاً من هذه المنطقة»، معتبرةً أن «المعلومات الروسية أثبتت صحّتها اليوم من خلال التصاعد الملحوظ في هجمات التنظيم في مناطق سيطرة الجيش السوري، مع اختفائها بشكل شبه تام في المناطق الخاضعة للنفوذ الأميركي». وتتوقّع المصادر أن «تلجأ واشنطن إلى زيادة الدعم غير المباشر لهذه الخلايا، لتنفيذ مخطّط الضغط على الجيش السوري والروس والإيرانيين في البادية التي تربط سوريا والعراق، إلى حين تجهيز القوات التي تعمل على إنشائها في المنطقة»، مؤكدةً أن «الجيش السوري وحلفاءه سيقطعون الطريق حتماً على هذه المشاريع، من خلال البدء بعمليات تمشيط تهدف إلى القضاء على أيّ تواجد لخلايا داعش في المنطقة».

قضية

انتفاضة الكرة الأفريقية «ترعب» كبار أوروبا

تستمد كرة القدم الافريقية شعلة انتفاضتها من حركات مقاومة الاستعمار الحاصلة أخيراً، فبعد الظهور اللافت للرجال في كأس العالم 2022، حققت اللاعبات الافريقيات نتائج جيدة ضمن «مونديال» السيدات أيضاً، في دلالة واضحة على نجاح محاولات القارة للنهوض بالقطاع الرياضي

حسين فحص

لطالما شهدت الرياضة الأفريقية تناقضاً بنيوياً على الصعد كافة، بشكل لافت للقارة السمراء أسساً لمختلف الفرق العالمية، وتحديداً في كرة القدم. ومع ذلك، تفشل المنتخبات الوطنية في البروز على الساحة الدولية. لم يفز أي منتخب أفريقي ببطولة كبرى. وفي الغالب، انتهت أغلب الأحلام عند أعتاب الأدوار الأولى. عوامل عديدة أدت إلى ذلك، أبرزها الفساد المستشري في الاتحادات الوطنية للقارة السمراء،

حققت المنتخبات الافريقية رجالاً وسيدات نتائج لافتة ضمن كاس العالم

دون الاهتمام اللازم للنهوض بالرياضة.

قضايا عديدة طالت مسؤولين مختلفين في أفريقيا سابقاً، وانسحبت الشبهات حول اللاعبين أنفسهم بعد ثبوت قضايا تزوير أعمار في الفئات الشبابية، كما حدث في قضية الكاميرون عندما أسقطت 32 لاعباً من تشكيلة المنتخب الوطني للرجال تحت 17 عاماً إثر الفشل في اختبارات الأهلية العمرية، ومن قبله استبعاد منتخب نيجيريا تحت 17 عاماً من تصفيات كأس الأمم الأفريقية لنفس السبب عام 2016.

هي عناوين عريضة تكررت مع مرور السنوات، حتى طبعت صورة هذه القارة في الأذهان لأي محاولة ارتقاء رياضية أفريقية. ومع ذلك، بدأت القارة السمراء تنتفض شيئاً فشيئاً في وجه المشكّكين، سيراً على خطى الانتفاضة الحاصلة في وجه الاستعمار أخيراً.

نتائج لافتة حققتها المنتخبات الأفريقية، رجالاً وسيدات، ضمن الاستحقاق العالمي الأهم في كرة القدم. في مونديال قطر مثلاً، وصل منتخب المغرب إلى نصف نهائي البطولة للمرة الأولى في تاريخ القارة السمراء، بالتوازي مع تحقيق نتائج إيجابية متفرّقة لعدد من المنتخبات، وهو ما انسحب إلى «مونديال» السيدات أيضاً، حيث تجاوزت ثلاثة منتخبات دور المجموعات هي: جنوب أفريقيا، نيجيريا والمغرب، على حساب منتخبات أخرى ذات تصنيف أعلى.

استمر غياب الألقاب، لكن النتائج الإيجابية اللافتة أخيراً تؤشر إلى حركة نهوض قد ترفع منتخبات القارة السمراء على منصات المسارح العالمية مستقبلاً.

(باتريك هاميلتون - أ ف ب)

ربما من بوابة الرياضة، حصل ذلك في أكثر من استحقاق، آخرها بطولة كأس الأمم الأفريقية، عندما اشتبه برشى حكام أفارقة لتخريب الحدث، وخاصةً أنه يأتي غالباً في منتصف مسابقات كرة القدم الأوروبية الكبرى، وهو ما يمتعض منه دائماً مسؤولون بارزون في اتحادات أوروبا.

ومن الإنجازات النوعية التي حققتها القارة السمراء أخيراً، إقناع العديد من اللاعبين البارزين ضمن عالم المستديرة في تمثيل بلدهم الفريقي الأمّ، أملاً بتحسين أداء اللاعبين المحليين ورفع جودة المنتخب تباعاً. إضافة إلى ذلك، أصبح هناك اهتمام أكثر بتنمية المواهب المحلية في المدارس ومحاولة تسهيل التدرج قبل الاحتراف، توازياً مع تحسين الأكاديميات والمنشآت الرياضية، مثل أكاديمية محمد السادس في المغرب.

رغبة رئيس الاتحاد الكاميروني لكرة القدم، صامويل إيتو، في القضاء على تلاعب السنّ في كرة القدم للشباب ودعوته الدائمة لمكافحة الفساد الداخلي و«المدسوس» تعكسان جديّة محاولات النهوض، وهي مرحلة معالجة تعرفها أغلب الاتحادات الأفريقية.

لا شك بأن القارة السمراء تمتلك مواهب كروية من الطراز الأول. يعكس ذلك انتشار اللاعبين الأفارقة في أكبر الأندية العالمية، من دون إغفال فوز القارة بسبع بطولات لكأس العالم تحت 17 عاماً (غانا مرتين ونيجيريا خمس مرات)، مع تتويج غانا أيضاً بكأس العالم تحت 20 عاماً نسخة 2009. إنجازات لافتة يأمل القيّمون سحبها إلى المنتخبات الوطنية. الأمر مرتبط بالاستمرار في مكافحة الفساد بالدرجة الأولى مع العناية بالمواهب الشابة.

النتائج الإيجابية ليست صدفة ولم تأتِ عبثاً. محاولات إصلاح حثيثة قامت بها أكثر من دولة أفريقية في الفترة الأخيرة، سعياً لتعبيد الطريق أمام النجاح. وتوالياً، أعيدت هيكلة الاتحادات منعاً لانتشار الفساد. مساعٍ جدّية للنهوض لاقت معوّقات من «مستعمري الرياضة» الذين أرادوا تكبيل الكرة الأفريقية لوقتٍ أطول، فتصاعدت الشبهات حول رشى أوروبية لاتحادات القارة السمراء، ومن خلفها لاعبون وحكام بهدف إبقاء الصورة الراسخة عن «تخلف» الكرة الأفريقية. ترافق الأمر مع تهويل إعلامي كبير للصورة، أملاً بإحكام السيطرة على بعض البلدان،

متابعة

نهائي بطولة الأندية العربية: النصر يصطدم بالهلال

يبحث النصر بقيادة هدافه المخضرم البرتغالي كريستيانو رونالدو عن لقبه الأول في بطولة الأندية العربية في كرة القدم، عندما يلاقي اليوم السبت (الساعة 18:00 بتوقيت بيروت) على ملعب مدينة الملك فهد الرياضية في مدينة الباحة، نادي الهلال، غريمه التقليدي في العاصمة الرياض وحامل لقب 1994 و1995.

وستسدل هذه المباراة الستار على البطولة التي انطلقت في 27 تموز الماضي واستضافتها السعودية في مدن أبها والطائف والباحة. اختبرت خلالها الأندية السعودية التي تمثلت في نصف النهائي عبر الهلال والنصر والشباب، نجومها العالميين الجدد.

ويسعى الفريقان إلى ضمان لقب معنوي رغم الإرهاق جراء الاستعدادات لموسم الدوري السعودي الذي انطلق أمس الجمعة، بمشاركة 18 نادياً للمرة الأولى (16 الموسم الماضي). ويحقّ لكل منها الدفع بثمانية أجانب.

وفي البطولة العربية حقق النصر بداية متقلبة، بتعادله مع الشباب بدون أهداف، ثم فوزه على المنستيري التونسي (4-1) وحجزه بصعوبة بطاقة ربع النهائي بتعادل متأخر مع الزمالك (1-1) حمل توقيع رونالدو (38 عاماً)، القادم في كانون الثاني الماضي بصفقة مقدّرة بـ400 مليون يورو لموسمين ونصف.

في الأدوار الإقصائية، لعب رونالدو، أفضل لاعب في العالم خمس مرات، دوراً رئيساً في بلوغ النادي "العالمي" النهائي، بإقصاء الرجاء المغربي حامل اللقب من ربع النهائي (3-1)، ثم سجّل هدف فوز متأخر من نقطة الجزاء أمام الشرطة العراقي، ليتصدر ترتيب الهدّافين (4)، أمام الفرنسي كريم بنزيمة، أفضل لاعب في العالم لعام 2022 والقادم بصفقة خيالية أيضاً إلى صفوف نادي اتحاد جدّة السعودي.

وإلى جانب رونالدو، نجم ريال مدريد الإسباني ومانشستر يونايتد الإنكليزي السابق، تعاقد النصر الذي يشرف عليه البرتغالي لويس كاسترو مع المهاجم السنغالي ساديو مانيه، لاعبي الوسط الكرواتي مارسيلو بروزوفيتش والعاجي سيكو فوفانا والظهير الأيسر البرازيلي أليكس تيليس، وهو سيفتقد لخدمات مدافعه عبدالله مادو بداعي الإصابة.

ويستهل النصر مشواره في الدوري السعودي مع الاتفاق الإثنين المقبل، في بحثه عن تحسين وصافة الموسم الماضي وراء الاتحاد، فيما يلعب الهلال مع أبها.

الهلال يبحث عن رأس حربة

في المقابل، كانت بداية الهلال أكثر تعثراً، فتعادل مع أهلي طرابلس الليبي بدون أهداف، ثم خسر مع السد القطري (2-3) في الدقيقة الأخيرة. واحتاج فريق المدرب البرتغالي جورج جيزوس للاعبيه الجديدين الصربي سيرغي ميلينكوفيتش - سافيتش والبرتغالي روبن نيفيش، للفوز على الوداد المغربي (2-1) وضمان التأهل. لكن في ربع النهائي، لم يجد صعوبة في تخطي الاتحاد جدة ونجومه الجدد (3-1)، بأهداف سافيتش وسالم الدوسري والبرازيلي مالكوم، ثم أقصى مواطنه الشباب (3-1) في نصف النهائي رغم إكماله المباراة بعشرة لاعبين منذ الدقيقة 25 إثر طرد حارسه عبدالله المعيوف الذي سيكون موقوفاً في النهائي.

ورغم تسجيله ستة أهداف في مباراتين في الأدوار الإقصائية، لمح مدرّب الهلال جيزوس إلى حاجته لمهاجم جديد، علماً أن "الزعيم" ارتبط اسمه بضمّ الصربي الكسندر ميرتوفيتش من فولهام الإنكليزي.

وشارك الحارس الدولي محمد العويس في التدريبات الجماعية للهلال، الخميس، بعد ساعات من انضمامه إلى بعثة الفريق في الطائف، وذلك بعد تعافيه من إصابة تعرض لها قبل المغادرة إلى أبها لخوض دور المجموعات.

فاز الهلال الاتحاد جدة في نصف النهائي (أ ف ب)

لاليغا

مباراة صعبة لريال مدريد في افتتاح الدوري

يبدأ نادي برشلونة الإسباني غداً الأحد حملة الدفاع عن لقبه كبطل للدوري عندما يواجه خيتافي (الساعة 22:30 بتوقيت بيروت). وفي ذات اليوم يلعب فياريال مع ريال بيتيس (الساعة 20:30)، فيما يحل جيرونا ضيفاً على ريال سوسييداد (الساعة 18:30).

واليوم السبت يلتقي ريال مدريد مع أتليتيك بيلباو (الساعة 22:30 بتوقيت بيروت)، فيما يلعب لاس بالماس مع ريال مايوركا (الساعة 20:30) وسيلتا فيغو مع أوساسونا (الساعة 18:30).

وتختتم الجولة يوم الاثنين بلقاء أتليتيكو مدريد مع غرناطة (الساعة 22:30).

حول العالم

السوبر الالماني: لقاء كلاسيكي بين بايرن ميونيخ ولايبزك

يستضيف ملعب أليانز آرينا في بافاريا مباراة الكأس السوبر الألماني بين بايرن ميونيخ ولايبزك (اليوم الساعة 21:45 بتوقيت بيروت).

ويفتقد لايبزك للاعب وسطه أمادو هايدارا بسبب إصابة في ربلة الساق تعرض لها يوم السبت الفائت، فيما يلعب البايرن بتشكيلة مكتملة.

وتقابل الفريقان في كأس السوبر الموسم الماضي، وانتهى اللقاء بفوز كبير لبايرن (5 . 3). وفي حال فاز

الفريق البافاري اليوم أيضاً، فإنه سيكون قد أحرز اللقب 4 مرات متتالية.

الدوري الإنكليزي: قمّة مرتقبة بين ليفربول وتشيلسي

تنطلق اليوم السبت منافسات اليوم الثاني من الجولة الأولى لبطولة الدوري الإنكليزي الممتاز لكرة القدم. ويستضيف آرسنال نظيره نوتينغهام فوريست (الساعة 14:30 بتوقيت بيروت) على ملعب الإمارات في العاصمة لندن، فيما تُقام 4 مباريات الساعة 17:00، فيُلتقي إيفرتون مع فولهام، وشيفيلد يونايتد مع كريستال بالاس، وبورنموث مع وستهام وبرايتون مع الوافد الجديد لوتون تاون. ويختتم اليوم بلقاء نيوكاسل يونايتد مع آستون فيلا (الساعة 19:30).

أما غداً الأحد فيلعب برينتفورد مع

توتنهام (الساعة 16:00) على أن تكون قمة الجولة الساعة 18:30 بين تشيلسي وليفربول. هذا وتختتم الجولة يوم الاثنين بلقاء مانشستر يونايتد مع ولفرهامبتون (الساعة 22:00). وقبل انطلاق الجولة الأولى وافق نادي ليفربول على صفقة قياسية بريطانية تبلغ 110 ملايين جنيه استرليني (140 مليون دولار) للتعاقد مع الدولي الإكوادوري موسيس كايسيدو لاعب الوسط الدفاعي في برايتون، بحسب ما أفادت أمس الجمعة وسائل إعلام محلية.

◄ إعلانات رسمية ►

إعلان

من أمانة السجل العقاري في صور
طلب عبدالله أديب لموكله محمد عبد النبي عامر سند بدل ضائع للعقار 2414 قانا.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري في صور
حسين خليل

إعلان

من أمانة السجل العقاري في صور
طلب محمد طبوش لموكله فادي حسن سلامه سند بدل ضائع للعقار 559 دردغيا.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري في صور
حسين خليل

إعلان

من أمانة السجل العقاري في صور
طلب عباس محمد درويش أبو خليل لموكله الدكتور سلام أحمد أبو خليل سند تمليك بدل عن ضائع للعقار رقم 529 من منطقة القليلة العقارية.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري في صور
حسين خليل

إعلان

من أمانة السجل العقاري في صور
طلب أحمد قصير لموكله حسين علي فردون سند بدل ضائع للعقار 534 العباسية.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري في صور
حسين خليل

إعلان

من أمانة السجل العقاري في صور
طلب أحمد شعبي لموكله علي قاسم كفل سند بدل ضائع للعقار 561 حنويه.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري في صور
حسين خليل

إعلان

من أمانة السجل العقاري في صور
طلب علي زين وكيل صبحية بسما وكيلة رضا محمد حدرج بصفته ولي جبري عن ولديه مهدي وهادي رضا حدرج سندين بدل ضائع للعقار 975 بازورية.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري في صور
حسين خليل

إعلان

من أمانة السجل العقاري في صيدا
طلبت زينب محمد فواز سندات بدل ضائع بالأصالة بالعقارين 282 و221 قاقعية الصنوبر ولموكلها علي محمد فواز بالعقارين 282 قاقعية الصنوبر.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري
باسم حسن

إعلان

من أمانة السجل العقاري في صيدا
طلب حسن علي ناصر الدين شهادة تأمين بدل ضائع خاصة العقار 22/584 مية ومية.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري
باسم حسن

إعلان

من أمانة السجل العقاري في صيدا
طلب أحمد علي محمد بصفته مشتري سندات بدل ضائع للعقار 346 الصرفند بإسم علي محمود همام وخديجه أحمد صغير.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري
باسم حسن

◄ مبوّب ►

مطلوب لشركة حطيط العالمية للتجارة والمقاولات مندوب مبيعات يمتلك خبرة ممتازة في الأدوات الصحية كافة لا تقل عن 10 سنوات.
الاتصال على الرقم: 03/645666

استراحة

كلمات متقاطعة 4378

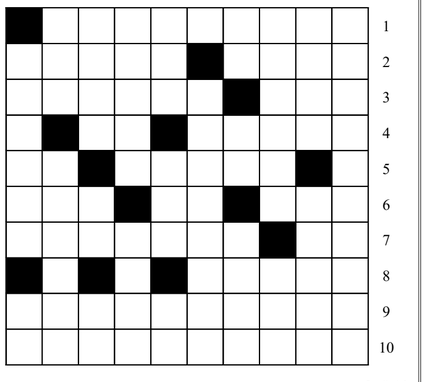

أفقيا

1- مبنى وزارة الدفاع الأميركية – 2- موقد النار – مدينة مغربية – 3- سهُل – نسبة الى مواطن من بلد أسيوي – 4- مدينة فرنسية – نعم بالأجنبية – 5- شجر طيّب الرائحة – للمساحة – 6- أحرف متشابهة – صرخة بالأجنبية – تقال على الهاتف – 7- بواسطتي – بلدة لبنانية في قضاء بشري – 8- مدينة عراقية – 9- من أهم الشوارع في باريس – 10- مدينة أميركية في ولاية إيداهو

عمودياً

1- أحد متصرفي جبل لبنان – 2- مقود الفرس – مدينة يونانية في مقدونيا – 3- مدينة سورية – فقرة – 4- صات الضفدع – للتعريف – برج إيطالي – 5- أغنية لمحمد عبد الوهاب – 6- طمأنينة وسلام – واظب في الطلب – للتمني – 7- إسم يُعرف به حيوان الغرير – عموم الشعب – 8 إبن آوى بالعامية – للتفسير – حديقة حيوانات بالأجنبية – 9- عذبَ – المفوّض – 10- من خطباء روما القديمة – حرّك

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- البردوني – 2- عين داره – مد – 3- موز – معيق – 4- ان – دس – قنصل – 5- ار – دبق – 6- امس – لوماير – 7- ليوتي – قلاع – 8- ر ر – عسير – نو – 9- سيول – اور – 10- لسان الحال

عمودياً

1- أعمال الرسل – 2- ليون – ميريس – 3- بنز – اسو – وا – 4- رد – در – تعلن – 5- دامس – ليس – 6- ورع – او – يال – 7- نهيق – مقروح – 8- قنديل – را – 9- صبيان – 10- سد القرعون

sudoku 4378

5		6				9	3	
		4		3		2		
9	8				5			4
		9						
2		8		9		4	6	
	6					8		
		5		6			1	2
	1			5	9	3		
		7		2	4		8	9

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أو عمودي.

حل الشبكة 4377

6	7	4	1	9	5	3	2	8
3	5	2	6	7	8	1	9	4
1	8	9	3	2	4	6	7	5
9	4	7	8	5	1	2	3	6
5	1	3	2	6	9	4	8	7
2	6	8	7	4	3	9	5	1
4	9	6	5	8	2	7	1	3
8	2	1	4	3	7	5	6	9
7	3	5	9	1	6	8	4	2

مشاهير 4378

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

شاعر شعبي وصحافي مصري (1893- 1961). من أشهر شعراء العامية في مصر

1+11+3+7+8 = عاصمة عربية ■ 5+6+10+9+2 = نهر فرنسي ■ 5+4+2+3 = حاكم إمارة

حل الشبكة الماضية: روجيه غارودي

إعداد نعوم مسعود

البلاد

حكاية عين الحلوة: اللاجئون إلى الخيام؟

زاهر أبو حمدة

أرض طينيّة شبه فارغة. سكانها قليلون في أسفل جبال تحيطها، وبما أن البحر أمامهم، اعتاشوا على ركوب أمواجه وصيد أسماكه. عُرفت بعين الحلوة لأن فيها عيناً غزيرة المياه وحلوة المذاق. تغيّر

وكأنّ من يريد تشويه صورة وسمعة المخيم أراد أن يقول: من هذا المخيم خرج فدائيون وتقدّموا نحو وطنهم بالعمليات الفدائية، ليتحوّل إلى «بانيو إرهابيين»؛ فالمطلوب هو تدمير المخيم فقط

ذلك بعد نكبة شعب فلسطين عام 1948. ارتحل إليها في بادئ الأمر خمسة آلاف لاجئ. بعد ستة أشهر ارتفع العدد إلى ثمانية آلاف. وعند سنوية النكبة الثانية أصبحوا 20 ألفاً بسبب الولادات الجديدة وقدوم الباحثين عن مأوى. ليصبح مخيم عين الحلوة: عاصمة الشتات.

■■■

بحث اللاجئون عن ذويهم وأبناء بلداتهم وقراهم. فتجمّع أهالي بلدة حطين، لوبية، وصفورية، وسكنوا جنوب المخيم. أهالي الزيب، المنشية، عمقا، غوير أبو شوشة، ونمرين، نصبوا خيامهم غرب المخيم.

أمّا في شرقه وشماله، فأهالي الطيرة، الرأس الأحمر، السميرية، الصفصاف، عكبرة، وطيطبا. وعائلات أخرى من قرى ومدن في شمال فلسطين سكنت في أنحاء متعددة من المخيم. نقلوا معهم مهاراتهم وطقوسهم اليومية وكذلك خلافات أيام البلاد. لكن «المصيبة تلمّ»، فتكاتف اللاجئون اجتماعياً وإغاثياً. فمن أخرج معه أموالاً من فلسطين لم يسكن في المخيمات. هكذا هي الطبقية بأبهى صورها، فالمخيم للفقراء فقط. أمّا ميسورو الحال في عين الحلوة، فلم يقبلوا بخيام الصليب الأحمر الدولي ووكالة غوث وتشغيل اللاجئين (الأونروا)، فاشتروا الطوب والصفيح وبنوا مسكناً داخل المخيم على أمل أن تكون التغريبة لأسابيع ومن ثم يعودون من دون إذلال. وحينها من كان لديه سرير ينام عليه، يطلق عليه مصطلح «الزنغيل» أي أنه يملك مألاً. مضحك الأمر حين تفكر فيه: إنه مجرد سرير وعليه فراش.

■■■

كانت الخيام في الشتاء تبدو وكأنها حواكير صغيرة، بينها قنوات مشتركة لتصريف المياه خارج المخيم ثم إلى البحر، وتُحاط بستار ترابي لا يتعدى ارتفاعه 30 سم لكي يصدّ عنهم ماء المطر. وفي الصيف يشبك اللاجئون خيامهم بحبال ليدخل الهواء إليها وكذلك لنشر الغسيل، وهنا يعود الناس لمعرفة من «الزنغيل»: من يملك أكثر من غير غير الموزّع من «الأونروا» فهو في قمة الرفاهية.

وبدأ كل واحد يزرع أمام خيمته، أي في أقل من متر مربع واحد، بعض الخضر لتساعدهم في تحسين طعام المعلبات من «الأونروا»، وبنت الوكالة مرافق صحية بدائية من الزنك كمراحيض مشتركة للنساء وأخرى للرجال. وانتشات مدرسة ابتدائية عبارة عن خيمة كبيرة، ووظّفت لها معلمين من المخيم بأجور شهرية. كما أقامت مستوصفاً صحياً، وكان الطبيب سوري الجنسية والممرضون فلسطينيين. وشرع بعض اللاجئين بشراء خيام لاستعمالها كدكاكين لبيع المواد الأولية والسجائر وبعض الصحف.

■■■

منذ البداية، اجتمع نفر من كبار السن والشيوخ في المخيم وانتخبوا الحاج جمعة الأنصاري مختاراً لهم. وكان شيخاً في الخامسة والستين من عمره، وجاء لاجئاً من قرية الخصاص شمال فلسطين حيث اجتاحتها العصابات الصهيونية عام 1947 واستشهد 10 أشخاص منها. كان الأنصاري يمثّلهم لدى السلطات اللبنانية ويقضي بينهم بالحق ويُعرَف بهم ويشهد على زواجهم وطلاقهم وميلادهم وموتهم ويصادق على وثائقهم، بعد اعتماده من وزارة الداخلية اللبنانية. وبنى اللاجئون مسجداً متواضعاً، حاراً جداً في الصيف وبارداً قارساً في الشتاء، وسمّوه «مسجد عمر». وفرشوه بالحصير وسقفوه بالطين وزرعوا أمامه الرياحين والنعناع. وشغّل اللاجئون بعض الدكاكين لممارسة بعض الأعمال اليدوية كالحدادة والنجارة وتصليح الجزم وبوابير الكاز وبيع الحبوب. وفتح بعض الشباب دكاكين للخدمات كالكواء والسباكة والحلاقة. وكان الحلاقون يختنون الأطفال الذكور بعد صلاة الجمعة من كل أسبوع. وفتح نصرالله الشرقاوي فرناً لبيع الخبز وأطلق عليه اسم «الرغيف الذهبي»، وافتتح أكثر من شاب محالّ للعصير والحلويات ومطاعم لبيع الفول والحمص والفلافل. وكان أهالي صيدا يأتون إلى المخيم لأكل «القدسية» و«المسبحة». ومع الزمن بدأ سكان المخيم يكتفون ذاتياً فلا يضطرون لطلب ما يريدون من سلع وخدمات من خارج المخيم. وهكذا بدأ التواصل بين أهالي المخيم ومدينة صيدا. فعاشروهم واتجروا معهم وناسبوهم وتعاطفوا معهم سياسياً. وخرج جزء كبير من شباب المخيم للعمل في صيدا ولا سيما في صيد الأسماك. ومنهم من ذهب إلى بيروت وعاد بالبضائع وتوسّع في التجارة، فأصبح عين الحلوة جزءاً تجارياً من صيدا ونواحيها. ولكنّ فلسطينيي المخيم ظلوا بعض الشيء عن باب المقهى، ويرفع العكاوي صوت الراديو لكي يسمعن البرنامج. وكُن كثيراً ما يبكين وينتحنن عندما يسمعن صوت قريب أو حبيب يناديهن من خلف الحدود.

أمّا مقهى «القهوة المُرّة»، فكان مكاناً رئيسياً ومركزاً لمختلف نشاطات المخيم، فيه أكثر من 20 طاولة من خشب السقالات و70 كرسياً من القش. وكانت المناقشات السياسية والاجتماعية تدور فيه، والمواعيد تتم به. وكثيراً ما شهد المقهى مناقشات سياسية حادّة بين فئات متضاربة الأهواء، أدّت إلى التضارب بالكراسي وقلب المقهى على رأس رواده.

■■■

قصفت طائرات الاحتلال مخيم عين الحلوة قبل عام 1962 وبعده، كردّ على عمليات الفدائيين ممن عملوا تحت راية حركة «فتح»، حيث نشأت كفكرة عام 1955، وبدأت خلاياها تتكوّن في خلال العدوان الثلاثي على مصر عام 1956 ثم تبلورت كتنظيم سري في عام 1958. في المقابل، كان فدائيون يناضلون وينفّذون هجمات تحت راية «حركة القوميين العرب»، وقتها أصبح لها أعضاء وأنصار أكثر من «فتح»، وسُمّيت في البداية «شباب الثأر» ثم انبثقت منها «هيئة مقاومة الصلح مع إسرائيل». واعتُبرت نشرة «الثأر» الصادرة في عام 1949 أول نشرة للمقاومة الفلسطينية. وأصبح مخيم عين الحلوة هدفاً للهجمات الإسرائيلية من وقت إلى آخر، وكلما اشتد هجوم الفدائيين عليهم في جنوب لبنان. فقرّر شباب المخيم بناء ملاجئ متفرقة تحت أرض المخيم، وأحاطوها بأكياس من رمل شاطئ صيدا. وعلّقوا في داخلها الفوانيس، وكتب بعض الحزبيين على جدرانها عبارات وطنية تتحدّى الإمبريالية الأميركية والصهيونية. بعد ذلك تحوّل المخيم إلى ساحة حرب، كما عبّر عنها الشهيد ناجي العلي، في رحمة في فيلمها التسجيلي. لتعود المعارك فيه وعليه بحرب المخيمات ومواجهات شرق صيدا، حتى أتى اتفاق الطائف لإنهاء حرب لبنان، وما تبعه من تغيرات في في الإقليم والعالم من ثورة في إيران وحربها مع العراق، وانهيار جدار برلين، وسقوط الاتحاد السوفياتي، والأهم كان مؤتمر مدريد واتفاق أوسلو.

■■■

تغيّر عين الحلوة كما تغيّر العالم. فشل مشروعٌ ونهض آخر. فتغيّرت الأيديولوجيات والتوجّهات. فليس مستغرباً أن يتحوّل الشيوعي إلى إسلامي سلفي وسط حرب أفغانستان، ويبدّل اليساري أفكاره نحو اليمين، ولا سيما مع ظهور حركتَي «حماس» و«الجهاد الإسلامي». ومن دون مقدّمات، ظهرت تنظيمات إسلامية بتوجّهات مختلفة، منها الإخواني والسلفي الدعوي والجهادي، فلا مشكلة بتدمير النصب التذكاري لابن المخيم ناجي العلي، وبدل صور جمال عبد الناصر وياسر عرفات وجورج حبش تُعلّق صور عبدالله عزام وأسامة بن لادن وسامر السويلم (سيف الإسلام خطاب) وشامل باسيف. هنا اختلفت المرجعيات ولها أدواتها الجديدة. وكانت النقطة الفاصلة حين أسّس هشام شريدة، بعدما كان في حركة «فتح» وشارك في معركة مغدوشة الشهيرة، تنظيماً أسماه «عصبة الأنصار»، وتبنّق عنه لاحقاً تنظيمات أخرى. وبدّل اسمه من الفدائي أو المناضل إلى الشيخ والأمير المجاهد. إنها حقبة التسعينيات، ومرحلة هدوء لبنان وإعادة الإعمار، إلا أن المخيم لم يهدأ بين اغتيالات واشتباكات، وتحويله إلى صندوق بريد بين الأطراف الفلسطينية واللبنانية والإقليمية. وتأثر أبناء المخيم بكل ما يحدث في العالم، ولأن البيئة خصبة لكل التجاذبات وجسم المخيم «لَبّيس» لكل ما يمكن أن يحتمله أو لا يحتمله، حوّلته السلطات اللبنانية المتعاقبة إلى بؤرة أو جزيرة أو إلى «بانيو» (حوض استحمام) يجتمع فيه كل المطلوبين للقضاء. هذا «البانيو» مطوّق من كل الاتجاهات وبجدار عالٍ وبكاميرات وأبراج مراقبة وجنود بكامل عتادهم على مدار الوقت، ولذلك يطلق أهالي المخيم على وضعهم وكأنهم في «غوانتانامو» أو «جلبوع». إنه سجن على مساحة كيلومتر مربع وفيه أكثر من 80 ألف نسمة. ومع ذلك يمكن للمخيم أن يصدّر مقاتلين بأقتناع أو حسب الطلب إلى الخارج، وكذلك أن يستقبل مطلوبين. وذلك بمعرفة من يطوّق المخيم وأجهزة أمنية محلية وربما دولية.

■■■

صحيح أن كل تنظيم فلسطيني لديه أتباع في المخيم، وكذلك التنظيمات العابرة للجنسيات والحدود. ويمكن أن يظهر تنظيم جديد، أو ينشقّ عن آخر. ويبقى عين الحلوة فلسطيني التوجّه والانتماء. لكنّ الصراع أكبر منه دائماً، ولطالما كان أهله ضحية رسائل، وكأنّ من يريد تشويه صورة وسمعة المخيم أراد أن يقول: من هذا المخيم خرج فدائيون وتقدّموا نحو وطنهم بالعمليات الفدائية، ليتحوّل إلى «بانيو إرهابيين»؛ فالمطلوب هو تدمير الشخصية الفلسطينية وليس حجارة المخيم فقط. هنا وجب التفكير... من هو القائل ومن هو المنفّذ؟ وبسهولة تامة يمكن مقارنة ما كُتب لنهر البارد أو اليرموك أو فلسطيني العراق وليبيا أن يُقرأ في عين الحلوة. لذلك، صيرورة المخيم منذ تأسيسه تفيد بأن الأجداد حوّلوا الخيام إلى معسكرات تدريب، ويجب على الأحفاد أن يعودوا إلى الخيام الأولى، ويحمل كل لاجئ خيمته ويقطع البحر أو يموت بواقعه، وفي الحالتين يجب أن ينسى حق العودة. هذه الخيمة معنوية أكثر منها مادية، فمن يريد تشتيت اللاجئين إلى أبعد نقطة عن بلادهم يعرف أن من يتحكّم بمصير المخيم ليس الفلسطينيون فقط، إنما جهات معروفة ومجهولة. ولعلّ اللاجئين يرفعون الصوت يوماً: لن نكون ضحية مستمرّة.

تصوير علي حشيشو

ماذا يفعل التكفيريّون بيننا؟

مطر عدوان

إنّ أبلغ ما يمكن أن يوصف به مخيم عين الحلوة للاجئين الفلسطينيين، هو «الدجاجة التي تبيض ذهباً للجميع»، ومن هنا يمكن أن ينطلق التفكير في أي حدث في هذا المخيم.

ليس مهمّاً من يدير المخيمات، لكن المهم ان لا يبقى بيننا من يقتل اهله في لحظة حاسمة، ويأخذنا إلى تدمير مخيم آخر بعد مخيم نهر البارد

فلا يمكن أن يحدث في المخيم حدث وليس هناك من يستفيد منه.

هذا المخيم، الذي تعود الذاكرة معه إلى جلال كعوش، وإلى النساء اللواتي أعدن إعماره بعد اعتقال رجالهن، ليس سهلاً اليوم القبول بما آل إليه، أو يراد له أن يكون أداة لتنفيذ أجندات مختلفة حسب الجهات المشغّلة. والفكرة الأخيرة لا تعفي الموجودين في المخيم من الذنب الذي يقترفونه بحق الأهالي في المخيم.

في المخيم العدد الأكبر من الفلسطينيين، وقلة من المناضلين العرب الذين قاتلوا يوماً مع الثورة الفلسطينية، ولم يتركوا مواقعهم، ولم يتركوا أهلاً لهم، فعاشوا في المخيم. بينما هناك قوى أخرى فيها من الفلسطينيين والعرب ممن يستعملون الدين لتنفيذ برامجهم، والتي ليس من ضمنها تحرير فلسطين، بدليل أنهم لم يقاتلوا في فلسطين. لكن بعضهم حين تركوا تنظيماتهم الفلسطينية في ثمانينيات القرن الماضي، قاتلوا إسرائيل في مواجهات مختلفة. إلا أن قوى أخرى متشدّدة، انحرفت بوصلتها نحو الأجهزة والأجندات والاستخدام في كل مكان، لتحريك ملف هنا، أو إيصال رسالة إلى هناك.

وبينما تقاتلهم قوات «الأمن الوطني» أو «فتح»، تبقى جهات فلسطينية أخرى متفرّجة، تقدّم الإدانات وأحياناً المساندة المعنوية، وربما المادية، بينما لا تشترك في قتال من في قناعات بعضهم أننا جميعاً «كفّار» وقتالنا وقتلنا «واجب شرعي».

ظهرت هذه القوى المتشدّدة في المخيم عبر السنين، ولم تتوقف عن التمدّد، وهنا يجب لوم القوة التي تسيطر تقريباً على كل المخيم، وهي «فتح»، عن أسباب سماحها لهذه الحالة بالتمدّد، وسؤالها عن أسباب سماحها بذلك، أو الإفصاح عن عدم قدرتها بوقف هذا التمدّد، وبالتالي طلب المساندة من باقي القوى الفلسطينية الحريصة على الحفاظ على المخيم ووجود الناس فيه. لكن في حالتنا، التي ليس فيها من سال ولا من لام ولا من بحث ولا من استفهم، فقال على الملأ عن المصيبة التي تحيق بمخيمنا هذا ومخيماتنا عموماً، ولبنان بأسره، فلنتوقع أكثر وأكثر من الأحداث والقتل والدمار.

في المعركة الأخيرة التي حدثت في «عين الحلوة»، وفي معركة 2017، كانت المواجهة مع قوى يقال إنّ بعضها يناصر «داعش» أو «جبهة النصرة»، إن صح ذلك أو لم يصح، الأسئلة التي تبرز وتتعلق بوجود هذه الظاهرة، أساسية، وهو إلى متى ستبقى هذه القوى المتشدّدة موجودة في المخيم؟ ولماذا لا يؤخذ القرار بحسم وجودها؟ هل لأنها محمية؟ أم لأن «دم المسلم على المسلم حرام!»؟ من الممكن التفكير وفتح المجال للتفكير عميقاً في المفاهيم التي سمحت وتسمح بوجود هؤلاء في وسط من اللاجئين الفلسطينيين الذين ليس لديهم ماوى غير المخيم، على الأقل حتى تتحقق عودتهم إلى بلادهم.

الأسئلة التي وردت في الفقرة الأخيرة، إجاباتها قد لا تكون واضحة ومباشرة، لكنها ممكنة وسهلة في آن، وقد أشير إليها في البداية، تلك المتعلقة بالأجندات والاستعمال من قبل الأجهزة المختلفة. أمّا بخصوص «فتح» التي عادة ما تجد نفسها في المواجهة وحيدة لتتحمل كل النتائج في ما بعد، فعليها على الأقل أن تضع الكل الفلسطيني أمام استحقاق الوجود الفلسطيني في اللجوء، وخطر مثل هذه الأحداث على هذا الوجود الضروري، طالما أن مدن وقرى هؤلاء اللاجئين لم تُحرَر. هذا على الرغم من أن هناك بعض الآراء التي تعتبر أن «فتح» في لبنان تعمل ضمن حرام!»؟ من الممكن التفكير وفتح المجال للتفكير عميقاً في المفاهيم التي سمحت وتسمح بوجود هؤلاء في وسط من اللاجئين الفلسطينيين الذين ليس لديهم ماوى غير المخيم، على الأقل حتى تتحقق عودتهم إلى بلادهم.

الأسئلة التي وردت في الفقرة الأخيرة، إجاباتها قد لا تكون واضحة ومباشرة، لكنها ممكنة وسهلة في آن، وقد أشير إليها في البداية، تلك المتعلقة بالأجندات والاستعمال من قبل الأجهزة المختلفة. أمّا بخصوص «فتح» التي عادة ما تجد نفسها في المواجهة وحيدة لتتحمل كل النتائج في ما بعد، فعليها على الأقل أن تضع الكل الفلسطيني أمام استحقاق الوجود الفلسطيني في اللجوء، وخطر مثل هذه الأحداث على هذا الوجود الضروري، طالما أن مدن وقرى هؤلاء اللاجئين لم تُحرَر. هذا على الرغم من أن هناك بعض الآراء التي تعتبر أن «فتح» في لبنان تعمل ضمن أجندة السلطة الفلسطينية، وأنها تعمل من أجل إنهاء ملف اللجوء الفلسطيني. وعلى فرض أن هذا الأمر صحيح، إلا أن حركة «فتح» و«منظمة التحرير» تتصرفان عكس ذلك -رغم تلمّس انعكاس الخلل التنظيمي في «فتح» على أدائها- وتعمل على تعزيز صمود اللاجئين الفلسطينيين بالمقدّرات التي توفر لهم في لبنان، وتبلغ نحو عشرة ملايين دولار شهرياً موزعة في ملفات مختلفة، منها صندوق الضمان الذي يستفيد منه الكل الفلسطيني تقريباً، وصندوق الطلبة الذي يستفيد منه أي طالب فلسطيني في لبنان لاستكمال دراسته الجامعية، وغيرها من الأمور.

والكلام الأخير ليس دفاعاً ولا انحيازاً إلى «فتح» على الإطلاق، إلا أن الحالة الفلسطينية في لبنان تُبنى على الشائعات أكثر منها على المعطيات والمعلومات، وهذه المصيبة مسؤولة عنها السفارة و«منظمة التحرير» و«فتح» التي لا توفّر جسماً إعلامياً وناطقاً رسمياً يتكلّم باسمها؛ ففي أحداث عين الحلوة الأخيرة، كان على المهتم أو المتابع، أن يتلقّف الأخبار من هنا وهناك، وهذه الـ«هنا» وهذه الـ«هناك» هما من ضمن مجموعات «واتساب» يديرها من يديرها، ويرسل فيها ما يصله من معلومات صحيحة ومفبركة أو محرّفة أو مخرجة عن مضمونها، أو مستدعاة من أحداث أو بلدان أخرى. في حين أن السهل البسيط، هو وجود ناطق رسمي، ومنصة إعلامية محترمة وموازنة تنقل الخبر الصحيح.

وبالعودة إلى تكوين مخيم عين الحلوة، ومآلاته، فإنّ الفلسطينيين في لبنان، يستحقون ما هو أفضل، من كرامة وأمان وحرية، وهذا لن يحدث، طالما أن عوامل فلسطينية في الداخل قادرة على التغلغل في أوساط اللاجئين الذين يحتاجون إلى العمل والمال والإيمان بأن هناك ظهراً يمكنهم الاستناد عليه وقت الشدة. إلا أنهم في كثير من الأحيان يشعرون أنهم «مثل السيف فردا». وخصوصاً، قد يُفهم مما سبق، أنه موقف لصالح حركة «فتح». للدقة، الموقف الدقيق هو انحياز تام إلى أهالي مخيم عين الحلوة وباقي المخيمات. فليس مهمّاً من يدير المخيمات، لكن المهم أن لا يبقى بيننا من يقتل أهله في لحظة حاسمة، ويأخذنا إلى تدمير مخيم آخر بعد مخيم نهر البارد. إذاً فلتكن إدارة المخيمات لـ«حماس» أو «الجهاد» أو «الشعبية» أو «الديمقراطية»، أو فلتُجرَ انتخابات في المخيمات لاختيار من يديرها، لكن على من يتولّى هذه المسؤولية أن يحفظ كرامة شعبنا، ويحفظ أمانه وحياته.

البلاد

خسروا جنى حياتهم

رشا ابراهيم

صباح الخميس (3 آب)، وبعد انتهاء المعارك، بدا مخيّم عين الحلوة، جنوبي لبنان، ولا سيما الشارع الفوقاني منه، وكأنه مشهد مقتطع من فيلم سينمائي يروي حكاية مدينة ستالينغراد السوفياتية. هكذا كان، ولا يعرف إلى متى سيبقى على هذه الحال، بسبب المعارك التي أسفرت، حسب بيان لـ«الأونروا» يوم 5 آب نشرته في موقعها الرسمي، عن «مقتل 12 شخصاً، من بينهم مدني واحد. وقد أصيب أكثر من 50 شخصاً بجروح وأجبر حوالى 2000 لاجئ من فلسطين على الفرار من منازلهم». في حين أشارت «الأونروا» في تقرير سابق يوم 3 آب إلى أن المعارك أدّت إلى «مقتل 13 شخصاً وجرح أكثر من 60 آخرين». المعارك، التي اندلعت في المخيم منذ مساء السبت 29 تموز الماضي وحتى مساء 3 آب الجاري، أدّت إلى تدمير الكثير من منازل اللاجئين وممتلكاتهم.

«نكبة مرة أخرى»

«أنا أعيش النكبة مرة أخرى!» قالت الحاجة فتحية خاطر (81 عاماً)، تعبيراً عن حالة النزوح من بيتها الذي اضطرت إلى تركه وقد تدمّر بسبب المعارك. بعض أهالي حي الطوارئ أيضاً رووا كيف غادروا منازلهم تحت الرصاص والقذائف.

محمد الخطيب، الذي كان له الحصة الأكبر من الخسائر، يقف قرب بيته ومحله، بعد أن احترقا، ويقول: «الفاجعة كبيرة، لا أعرف من أين أبدأ بمعاينة الخسائر، كنت أملك سوبر ماركت أعيش منها وأولادي الأربعة، أمّا الآن خسرت كل شيء، لم يعد لدي شيء».

مثل محمد، حكاية مريم ناصر التي تحدّثت بحسرة عن بيتها الذي تدمّر بالكامل تقريباً، وكان إعصاراً قد ضربه: «بداية لم أتعرّف إلى بيتي، أكوام من الإسمنت والأسلاك الكهربائية وقطع من الجدران، هذا كل ما تبقّى من بيتي. لم يتركوا لي شيئاً للذكرى حتى، هذا البيت الذي استغرق من عمرنا 5 سنوات حتى بنيناه أنا وزوجي، لم يعد موجوداً». كذلك، أحمد يوسف، لم يعد بيته موجوداً، كان عبارة عن أربعة طوابق، معظمها لم تعد صالحة للسكن، تحتاج إلى تصليحات كثيرة ليس لدى يوسف الأموال اللازمة لها.

بيت العروس

كانت مريانا الخطيب (اسم مستعار) تستعد لزفافها في 8 آب الجاري. لم تتزوج مريانا، ستتأخر انتقالها إلى بيت زوجها. وُجدت الفتاة العشرينية واقفة منحسرة أمام المنزل الذي كان يفترض أن يكون «عش الزوجية» قرب حي الطوارئ. البيت احترق وتدمّر جزئياً. وضعت مريانا «جهاز» العرس فيه، ورتّبته قبل يومين فقط من بدء المعركة: «إنها الحرب، لم تُبقِ لي شيئاً، كنت قبل يومين هنا مع خطيبي نرتب منزل الزوجية استعداداً لزفافنا. عملت أنا وخطيبي حتى استطعنا تأمين مستلزمات البيت، والآن أتت النيران، وتحول تعب السنين إلى كومة رماد». تضيف: «عندما علمت بامتداد المعركة إلى حي الطوارئ، هرعت مسرعة إلى بيتي لإخراج ما أمكن من جهازي، لكن أمي منعتني. حالة من الصدمة والذهول سيطرت علينا عندما علمنا أن فرحتي بأن يجمعنا بيت واحد، لكن قذيفة من أحد الأطراف اغتالت فرحنا وحلمنا».

خسائر مادية... ونفسية

عاد بعض تجّار حي حطين إلى «الصفر» تقريباً، فقد خسروا محالهم التجارية وبضاعهم، وبعضهم بات الآن ينتظر التعويضات. مصطفى خطاب وإخوته، كبقية الباعة، كانوا يبيعون الأدوات الكهربائية. التهمت النيران كل شيء. مثلهم عمران دحابرة، يقول: «أنا لا أملك مصدر رزق آخر، وخسارتي تفوق الـ 100 ألف دولار».

لم تقتصر الخسائر على الماديّات، فهناك أضرار نفسية كبيرة وقعت على الجميع، الصغار والكبار. وعمّا قريب سيبدأ فصل الشتاء، وستفتتح المدارس، وهناك عائلات ستبقى فعلياً بلا مأوى لائق وإنساني، وبعضها عاد إلى المخيم ولم يجد بيته صالحاً للسكن، فاضطر إلى الخروج مجدداً والسكن عند الأقارب أو في المساجد. الجميع ينتظرون أمرين: أن لا تتجدّد المعارك، وأن تأتي التعويضات.

تصوير
علي حشيشو

... ولجوار المخيم نصيب

محمد أبو الخير

ليل السبت (29 تموز)، وقبل اندلاع الأحداث الأخيرة في مخيم عين الحلوة، كنّا خارج المنزل لزيارة أحد الأقارب. أضاء الهاتف، وإذ بخبر اغتيال شاب من آل فرهود في المخيم، لم يفد الخبر بأكثر من ذلك. لكن أسئلة كثيرة تسارعت في رأسي، كما تسارعت الأخبار على منصات التواصل الاجتماعي.

مباشرة قرّرنا الذهاب إلى المنزل، مساء، يفيد بأن عائلة فرهود ستدفن ابنها ظهر الأحد. طمأنني هذا الخبر، ونقل طمأنينتي إلى أسرتي وإخوتي القادمين من دول الاغتراب، فقد عاشوا سابقاً حرب تموز. ظننت أن الأمر سينتهي كما كل مرة، عند الدفن. لكن ما حصل في ظهيرة الأحد، حرّك الأمور إلى ما هو سيّئ، اغتيل قائد «الأمن الوطني» الفلسطيني العميد أبو أشرف العرموشي ومرافقوه. وبدأت بعدها أصوات الرصاص والقذائف. وانقسم الشارع «السوشل ميدياوي» إلى اصطفافات وتحليلات وشائعات.

اشتدّت المعارك، وشُلّت الحركة التقليدية في جوار المخيم، فالقصف وصل إلى مناطق في صيدا. نزلت من بيتي إلى مستشفى الهمشري الذي أجاوره، فاستمعت إلى حكايات الناس. فجأة، وصلت فتاة تبكي، وتسأل عن شقيقها، كانت بجانبي امرأة قالت: «يا حرام هاض أخوها واحد من مرافقي العرموشي، أخوها مات وهي مش عارفة». وفي الأثناء، سمعنا أصوات قذائف أخرى، كأنها مرّت فوق رؤوسنا. بعد ساعة وصلت العديد من الإصابات، بعضها طفيفة وبعضها خطيرة.

وأنا واقف في ساحة المستشفى أراقب واوثّق، سمعت امرأة تقول: «شكلنا رح نام بالشارع»، فردّت ثانية «خلو الجيش يفوت ويريحنا». وكانت هذه الأحاديث تأتي متقطّعة، فالوجوه كلها على الهواتف، للاطمئنان على الأهل والأصدقاء، ولمتابعة الأخبار وأبعد من المحيط أيضاً.

في عصر ذلك اليوم، أتى إلى منزلنا نازحون من منطقة الراس الأحمر، من معارف والدتي منذ أن قبعوا سوياً في الملجأ إبّان الاجتياح الإسرائيلي للبنان. وفي مساء هذا اليوم، سقطت قذائف أخرى قرب «الهمشري» وخرقت شظاياها زجاج النافذة التي كنت أجلس قربها في بيتي جوار صديقة أمي، ولولا رحمة الله لكنت مصاباً أنا والسيدة التي هربت من الموت في المخيم.

جمعت أختي أغراضها، وأحضرت جواز سفرها، وطرحت فكرة مغادرة المنزل، فهذه شظية أرعبتنا، فما بال من بقوا في المخيم، كيف يأكلون وينامون. لم نخرج من المنزل، وقرّرنا الابتعاد عن النوافذ والتسليم بقدر الله.

ومع سماع أصوات الرصاص والقذائف، وصل خبر إلى صديقة أمي غيّر ملامح وجهها تماماً، عرفت أن بيتها في المخيم تضرّر جرّاء الاشتباكات. حاولنا التخفيف عنها، فقالت: «والله زهقنا فوق ما نحنا نازحين، بخربولي البيت كل مرة بيتنا بتدمر، مين بدو يساعدني كله بيوعد».

بعد ثلاثة أيام، أُعلن عن هدنة، فعادت بعض العائلات لتفقّد الأضرار. لم نطل الهدنة، وخُرقت، وعادت المعارك أشدّ من بدايتها. انفجرت عدة قذائف مدوّية، الأولى فوق مسجد الموصلي، ما استدعى نقل النازحين إلى مدارس «الأونروا» داخل صيدا، والثانية فوق سطح البناية التي أسكنها، والثالثة عند أول الشارع، والرابعة فوق منطقتنا أي «مشاريع الهبة». هذا القصف، دفعنا للنزول إلى مدخل البناية، وأولاد إخوتي بدؤوا بالصراخ خوفاً من الأصوات الرهيبة. قضينا ليلة قاسية بكل ما للكلمة من معنى.

شيء واحد أثلج قلوبنا بعد الأحداث المؤسفة، هو نتائج الطلاب في مدارس «الأونروا»، والتي كان فيها أعداد كثيرة من الناجحين. فبين صور الدمار ومشهد التفوّق، واقع تراجيدي واحد، يتكرر دوماً، هو أن المعاناة لا بد أن تنتج نجاحاً في يوم من الأيام.

> حاولنا التخفيف عنها، فقالت: «والله زهقنا فوق ما نحنا نازحين، بخربولي البيت كل مرة»

بعد ورود خبر عن اشتباكات بين حي الصفصاف وحي البركسات. منزلي في منطقة الفوار القريبة من مخيم عين الحلوة في صيدا. وخلال عودتنا أنا وأسرتي، شاهدت ما بات معتاداً، نزوح الناس إلى مسجد الموصلي الذي يبعد بضعة أمتار عن مدخل المخيم. كان الخوف على وجوه الأطفال، والانتباه والحذر على وجوه أهلهم. كانوا يهربون من موت محتمل.

مرّت ليلة الأحد هادئة نسبياً، باستثناء خبر ورد عند العاشرة

تل الزعتر: الأرض محاصرةً في المستقبل

أحمد مفيد

«قالوا إن الزعتر لا ينبت إلا فوق التل... وتحت التل
واسأل عنه الريح تذل
إن الزعتر يختصر الزمن فينبت في الماضي
والحاضر والمستقبل
إن الزعتر يمحي كل حدود الأرض فينبت في الماء
والصحراء
وعرفت لماذا رائحة الزعتر أقوى من كل روائح هذا
العصر المتخن في الليل» (1)

في منطقة صناعية في الشمال الشرقي من مدينة بيروت، تأسس مخيم تل الزعتر للاجئين الفلسطينيين عام 1950، وبعد سنوات قليلة تأسس إلى جانبه مخيم جسر الباشا، لتصبح المخيمات المحيطة في بيروت، هي مخيم تل الزعتر، وجسر الباشا، وبرج البراجنة، وشاتيلا. نشأ «تل الزعتر» و«جسر الباشا» في منطقة صناعية تمثل ثقل المعامل والمصانع في بيروت، حيث كانت المنطقة تضم، إلى جانب اللاجئين الفلسطينيين، طبقة عاملة لبنانية التي في معظمها كانت قادمة للعمل في ظروف قاسية من الجنوب اللبناني. عمل سكان المخيمات في المصانع القريبة في ظروف بالغة الصعوبة إلى جانب العمّال اللبنانيين، وهذا ما شكّل أساس التناقض بين سكان المنطقة الفقيرة المعدمة وملاك هذه المصانع ومحيطها فيما بعد. بعد عقدين من الزمن في بداية السبعينيات، بلغ عدد سكان المنطقة 25 ألف نسمة نصفهم فلسطينيون والنصف الآخر من اللبنانيين وفي معظمهم عمّال في المنطقة المجاورة (2).

في 13 نيسان 1975، وبذريعة تعرّض بيار الجميل زعيم حزب «الكتائب» لمحاولة اغتيال، قامت مجموعة مسلحة تابعة لـ«الكتائب» بارتكاب مجزرة مروعة بحق 27 فلسطينياً في طريق عودتهم إلى مخيم تل الزعتر من احتفال أقيم في مخيم شاتيلا غرب المدينة، وسيعرف فيما بعد هذا الحدث، بـ «بوسطة عين الرمانة». سيشكّل فاصلاً في تاريخ لبنان المعاصر، حيث سيصير هناك ما قبل البوسطة وما بعدها. لمركزية هذا اليوم، الذي أعلنت فيه «الكتائب» وما تمثّله من قوى يمين رجعي من خلال مجزرة ضد مدنيين، بدء حرب محو وإلغاء مستمدة من العقيدة الصهيونية القائمة على الإبادة، ضد الوجود الفلسطيني في لبنان وضد القوى الوطنية اللبنانية المتحالفة مع الشعب الفلسطيني.

وكان مخيم تل الزعتر وجسر الباشا والنبعة نقطة انطلاق لهذه الخطة الفاشية، لوجودها في المنطقة الشرقية من بيروت التي تعتبر منطقة خاضعة بالقوة العسكرية لليمين اللبناني (3). بعد أحداث بوسطة عين الرمانة لم يكن بمقدور القوى الفاشية الهجوم عسكرياً على المنطقة التي مثّلت موقعاً متقدّماً للمقاومة الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية رغم رغبتها في ذلك، فاكتفت بالحصار وبقطع وبمنع دخول المواد الغذائية والطبية والعسكرية ومنع تنقّل السكان. وبعد عام من الحصار والتجويع، وحين تبدّلت موازين القوى بانشقاق الجيش اللبناني وانضمام قسم كبير منه إلى القوات اللبنانية بما يملكه من جنود مدربين وآليات ومدرعات ودبابات وأسلحة مدفعية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى حصول تناقض دام بين منظمة التحرير الفلسطينية والنظام السوري، والذي سيسفر عنه تحالف النظام السوري مع اليمين اللبناني. هذه العوامل كانت كفيلة ببدء الهجوم الإرهابي (4).

في صباح 17 حزيران 1976، بدأت القوات الفاشية هجومها على تل الزعتر، في هذا اليوم سقط على المخيم ما يزيد عن 8000 قذيفة كانت كفيلة بهدم أو تخريب مجمل منازل المخيم المكوّنة من الطوب والصفيح، وقطع الكهرباء والماء والطرق وقتل وجرح مئات الضحايا من المدنيين العزّل. اعتمدت القوات المهاجمة، منذ اليوم الأول، على كثافة النيران وإلحاق خسائر مادية وبشرية كثيرة. الهدف الأساسي من الهجوم كان الإبادة للمخيم وساكنيه، وإظهار كل الحقد والعنصرية والوحشية التي في قلبهم تجاه السكان، عبر القتل بشتّى الطرق والتنكيل والتمثيل بالجثث وباستخدام طرق بشعة والتركيز على استهداف المدنيين. تذكر إحدى الناجيات من مجزرة تل الزعتر، وهي فاطمة فرج سعيد، كيف أن القوات الغازية تعمّدت استهداف المدنيين وارتكاب المجازر واستهداف الملاجئ. وتذكر أنه في منطقة «غاليري متى» كان هناك ملجأن، تسلّلت قوة من «الكتائب» إليهما وقامت بإبادة كاملة لكل مَن فيهما. واحد من الملاجئ، كان فيه 75 شخصاً، أطفال ونساء وشيوخ ورجال، تم اقتحامه وإبادة كل من فيه بأبشع الطرق، بالرصاص والمتفجرات والبلطات والفؤوس! ومن ثم قاموا بسرقة الممتلكات، الأموال، ساعات اليد والذهب (5). وتذكر فتاة أخرى من مخيم جسر الباشا مشاهد القتل والإعدامات والاغتصاب والسرقة، حيث رأت أمّها تقتل أمامها، وأختها كاد يتم اغتصابها. استمرت هذه المشاهد الدموية لأكثر من 53 يوماً من الصمود الأسطوري للأهالي والمقاتلين أمام آلة الإبادة التي قتلت ما يزيد عن 3000 إنسان خلال هذه الأيام (6). ومن المهم أن نتساءل هنا، كيف استطاع المخيم الصمود؟

منذ اليوم الأول من الهجوم الكثيف على المخيم المحاصر، أدرك سكان المخيم أن الصمود والدفاع عن المخيم والقتال حتى الموت هو أفضل الخيارات، فكل مشاهد التنكيل كانت ترشدهم لذلك، ولو كان هناك سبيل لتدخّل منظمة التحرير وفك الحصار الممتد منذ أكثر من عام لحصل قبل المعركة. وما زاد من تأكيد خيارهم بأن الموت أفضل من الاستسلام، رؤيتهم للإعدامات التي تعرّض لها حتى مَن خان المخيم وسلّم سلاحه من مقاتلي «الصاعقة». يروي محمد حامد، أحد المقاتلين في تل الزعتر، أنه كان في بيت أحد الأصدقاء يقومون بتحضير الشاي عندما سمعوا بأن هناك هجوم من «الكتائب» على المخيم، فتحرّكوا بسرعة وكانوا أربعة مقاتلين فقط، حيث قاموا بكمين متقدّم، أربع مقاتلين قاموا بصد ما يزيد عن سبعين مقاتلاً (7).

لم تكن مواجهة مقاتلي تل الزعتر، رغم ضعف تسليحهم وتدريبهم وقلة مواردهم ونقص الإمدادات الطبية والغذائية، تمر بسهولة. وعند كل معركة كانت القوات المهاجمة تحاول من خلالها التقدّم أو سحب جثث أو رفع علم أو احتلال حارات ومواقع كانت تتكبّد خسائر كبيرة ومرهقة. وهذا لأن المعركة لم تكن معركة تقليدية، مقاتلين ضد مقاتلين، بل كانت مجموعات إرهابية ضعيفة العقيدة وكثيرة التسليح. تقاتل مجتمعاً محاصراً متماسكاً، فما إن بدأت المعركة حتى تحوّل كل المجتمع إلى مجتمع مقاومة. هناك مجموعة من المقاتلين هدفهم الدفاع عن المخيم وتنفيذ العمليات ضد العدو وردع تقدّمه، ومجموعة أخرى هدفها تدريب الفدائيين والفدائيات الجدد، وأخرى حماية المدنيين والمرافق والمستودعات. والمستشفى المحاصر والقريب من مركز الاشتباكات، تم تحويله إلى 14 نقطة داخل المخيم من إسعاف واستقبال وطوارئ وعيادات، ولم يكن هناك سوى أربعة دكاترة، أمّا الباقي فهم ممرضون ومسعفون ومتطوعون لنقل الجرحى (8).

وكان اشتداد الحصار يعني اشتداد تماسك السكان ببعضهم البعض، فحتى الطعام الذي كان مفقوداً، ولم يتبقّ منه سوى العدس، أصبح فعلاً جماعياً، في الحارات والملاجئ تقوم النساء بتجميع ما تبقى من المونة من عدس وطحين وزيت والطبخ لكل الموجودين. وكان أصعب فعل هو تأمين المياه للشرب ولعلاج الجرحى، وهناك العشرات من الرجال والنساء والفتيات والفتية ارتقوا شهداء وهم في طريقهم لتأمين المياه. وهكذا كل السكان، كان لهم دور في صناعة الصمود. هذا الصمود الذي شكّل المادة الخام والدرس الأوّل لصمود المقاومة اللبنانية والفلسطينية إلى يومنا هذا.

أعادتنا الأحداث المؤسفة في مخيم عين الحلوة قبل أيام إلى حقيقة الدور الذي تؤديه الرجعية العربية والفلسطينية -الممثلة بقيادة السلطة الفلسطينية والبرجوازية التجارية المتحالفة مع إسرائيل- في محاولاتها الدائمة إشعال لبنان ومحاصرته بمعارك جانبية وفتن كتعبير عن موقعها التصفوي من المقاومة. فالرجعية الفلسطينية تنظر بعين الإعجاب للرجعية اللبنانية، وقد تعلّمت منها دروساً عدة.

* كاتب فلسطيني

> هذا الصمود الذي شكّل المادة الخام والدرس الأوّل لصمود المقاومة اللبنانية والفلسطينية إلى يومنا هذا

(ضياء العزاوي)

هوامش:

(1) **الفيلم الوثائقي «تل الزعتر» لجان شمعون ومصطفى أبو علي وبينو ادريانو، 1976.**
(2) **هاني مندس، منى السعودي (إعداد فني)، تقديم محمود درويش، «الطريق إلى تل الزعتر» (بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية - الإعلام الموحد، منظمة التحرير الفلسطينية، 1977) 30.**
(3) **الفيلم الوثائقي «تل الزعتر» لجان شمعون ومصطفى أبو علي وبينو ادريانو، 1976.**
(4) **نجيب أبو حيدر، «مدرسة الصمود والإقدام في تل الزعتر» (بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية - الإعلام الموحد، منظمة التحرير الفلسطينية، 1976)، 33.**
(5) **هاني مندس، منى السعودي (إعداد فني)، تقديم محمود درويش، «الطريق إلى تل الزعتر» (بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية - الإعلام الموحد، منظمة التحرير الفلسطينية، 1977) 12-13.**
(6) **المرجع السابق، 7.**
(7) **المرجع السابق، 17.**
(8) **المرجع السابق، 14.**

الأخبار
al-akhbar
السبت 12 آب 2023 العدد 4983

المفكرة

«زوايا بيروت» تؤدي إلى مونو

■ في إطار الفعاليات الدورية التي تنظّمانها سوياً، تدعو جمعيّتا «السبيل» و«تراث بيروت»، يوم الخميس المقبل، إلى حضور لقاء خاص لقراءة كتاب «زوايا بيروت» (دار الحديث الكتانية ـ 2018) للمؤرّخ اللبناني عبد اللطيف فاخوري (الصورة) في «المكتبة العامة لبلدية بيروت» في مونو. يتخلّل النشاط أيضاً حواراً مع الكاتب وتوقيعاً للعمل الذي يضيء على تاريخ زوايا بيروت التي ضمّتها العاصمة اللبنانية منذ القدم في مختلف أحيائها. وكان الكاتب قد التفت إلى هذه الفكرة بعدما أرّخ المفتي عبد اللطيف فتح الله زيارة الشيخ عبد الرحمن الكزبري إلى بيروت من خلال ديوان ذكر فيه المقامات والزوايا. وقبل ذلك، اطّلع الكاتب على وثائق من سجلات محكمة بيروت الشرعية، منها ما يعود إلى عام 1843، تُحدّد مواقع زوايا بيروت وخصائصها العمرانية والمدنية.

قراءة وتوقيع كتاب «زوايا بيروت»: الخميس 17 آب (أغسطس) 2023 ـ الساعة السادسة والنصف مساءً ـ «المكتبة العامة لبلدية بيروت» (مونو ـ الأشرفية). للاستعلام: 01/664647

سيمون القندلفت: قصّتي مع الخشبة

■ يستقبل «معرض كتاب إهدن» بدورته السادسة عشرة (لغاية 20 آب/ أغسطس الحالي) المسرحي اللبناني سيمون القندلفت (الصورة)، يوم الثلاثاء المقبل، ليشارك الحضور تجربته المهنية الممتدة من المسرحي الرائد منير أبو دبس (1932 ـ 2016) وصولاً إلى فرقة «الديوان» المحلية. وفي هذا اللقاء الذي يديره الكاتب جان هاشم،

يتحدث القندلفت عن مشواره المسرحي الذي قطعته عليه الحرب الأهلية، ليترك الخشبة عائداً إلى بلدته زغرتا (شمالاً).

لقاء مع سيمون القندلفت: الثلاثاء 15 آب 2023 ـ الساعة السابعة مساءً ـ «ساحة الميدان» (إهدن ـ شمال لبنان).

العالم كسوبرماركت

بوك مخلوف

هواء، ماء، نار وريشة خفيفة من حرير تدغدغ الرغبة لإبقائها مُتربصة مُستثارة. اللمس، البصر، السمع، الشم والتذوّق باتوا حواسّ استهلاكية، بل ديكتاتورية، من شأنهم تعويم منسوب الاشتهاء وشحنه من دون إشباعه مهما لهث اللسان ملحّاً على طلبه. الرغبة في حالة إرجاء دائمة: إن تحققت تخبو وتنطفئ، فيخصى وجود الراغب. العالم من نسب «الحكماء السبعة» يعلم كل هذه الأسرار ولا ينفكّ عن تقديم نفسه كسوبرماركت. عدا عن رهان العالم - الرابح دوماً - على ذلك النقص (الميتافيزيقي) الذي لا يمتلئ، فقد مسخ الواقع إلى ما يشبه الفاصل الإعلانيّ. أصبح شراب الكوكاكولا يقدَّم بداعي العطش بيد أن الكولا لا يروي الظمأ، بل يزيده.

أنا داخل هذه السوبرماركت وكذلك أنت. ماذا تريد؟ جمجمة أينشتاين؟ معروضة للبيع. صورة بجانب مارلين مونرو؟ تعال إلى متحف الشمع. هوية جديدة؟ حمّل تطبيق فايسبوك. مهما يخطر لك، وسيخطر لكَ الكثير، سرعان ما ستجده منتصباً أمامك، يبرق ويلمع وينتظرك، وكأن فانوساً سحرياً سقط بين يديك وهو جاهز ليقدم لك ما تريد. ستبقى الرغبة متّقدة، ملتهبة، مشتعلة، لكنك لا ترغب حقاً في القبض على ما تريده لأن التجوّل بين السلع وإمعان النظر إلى الرفوف مسلٍّ وعصري ويثير البهجة، هكذا تصحّ مقولة «أنا أرغب، إذاً أنا موجود» أن تكون الكوجيتو الجديد.

بعضهم ذهب بعيداً وأرتأى أن يكون موضع الشهوة. فإذا كان الوشم لغة الجسد الفصيحة، فقد حدث ذات مرة أن ذاع وشم الباركود على الرقبة وتحولت إلى صيحة رائجة؛ هناك من قرر أن يتماهى مع السلعة، أن يشبه السلعة، بل أن يكون سلعة. في الإقامة الجبرية داخل السوبرماركت الكبيرة التي نسكنها، كل السلع معروضة للطلب والبيع. الرقبة التي يتسمرّ عليها الرأس مسلّعة أيضاً. لنا حديث، في عدد إنّما هذا، عن تمظهر العالم كسوق لا ينضب، وعن الهراء الذي نمارسه تماشياً مع هوية العصر، وعن بعض التجارب والأفكار التي قد تبدو، للوهلة الأولى، يوتوبيات حالمة ولكنها تبقى رغبات ضرورية للعيش.

لقراءة ملحق «إنما»

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

■ رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
■ مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

■ المدير الفني
صلاح الموسى

■ المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

■ الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
■ التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 666314/ 01 ـ 828381 / 03
■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar

السبت 12 آب 2023
العدد 4983 السنة السابعة عشرة
Samedi 12 AOÛT 2023 nº 4983 17ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

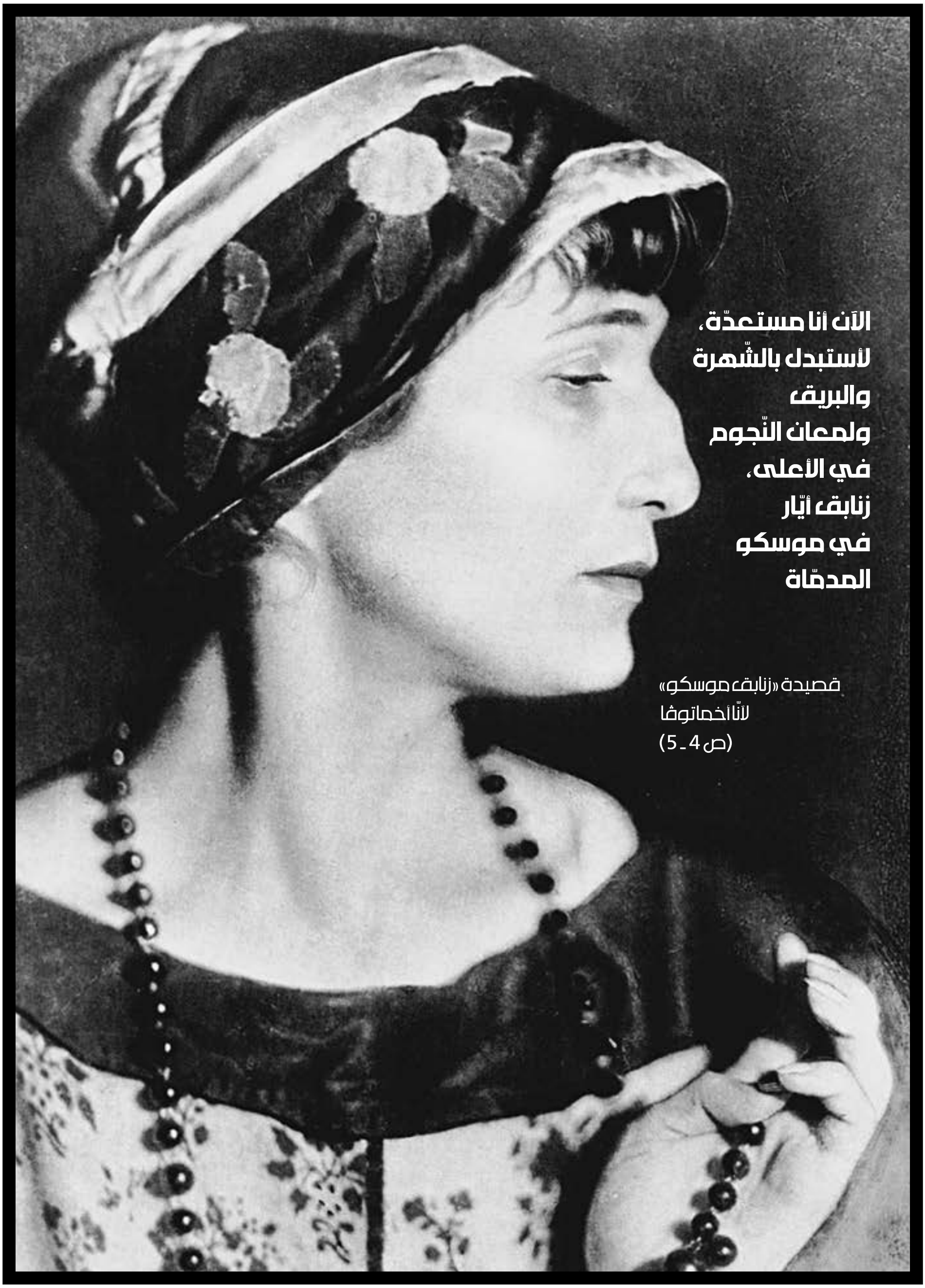

الآن أنا مستعدّة،
لأستبدل بالشّهرة
والبريق
ولمعان النّجوم
في الأعلى،
زنابق أيّار
في موسكو
المدمّاة

قصيدة «زنابق موسكو»
لآنّا أخماتوفا
(ص 4 ـ 5)

ملف

من إيزيس وكلكامش إلى كربلاء

أدب الفجيعة ومراثي الأبطال: كل امرئ يبكي شجوه

لا يزال أدب الفجيعة والرثاء والتفجّع على الموتى ولا سيما الأبطال والفرسان منهم يُلهب مخيلة شعوب الأرض قاطبة. ويغني فولكلورها وتراثها وطقوسها. من الملاحظة المفتاحية لهيرودوت في كتابه «وصف مصر»: «أما كيف يقيمون (أي المصريون) الاحتفال لإيزيس في مدينة فوسيريس فتراهم جميعاً رجالاً ونساءً يضربون صدورهم بعد أن يقدموا الأضحية تعبيراً عن الحزن. وهم يكونون عشرات الآلاف من البشر. أما من أجل مَنْ يضربون صدورهم فإنه يكون من غير اللائق أن أقوله. أما الغرباء. فإن هؤلاء يفعلون أشياء أكثر من ذلك حيث أنهم يجرحون جباههم بالسكاكين». مرورا برثاء كلكامش لصديقه انكيدو في الملحمة السومرية الخالدة. ومراثي هيكتور في الإلياذة. وشعر الفجيعة في الأدب العربي الجاهلي والإسلامي. وليس أخيراً الشجن الكربلائي وطقوسه التي يقول فيها الباحث العراقي فاضل الربيعي في كتابه «المناحة العظيمة»: «كما يعلمنا التاريخ، فإن طقوس البكاء القديمة هذه، المستمرة والمتوارثة، كانت تأخذ طابع الحزن الشديد على الإله الشهيد تموز في كل أرجاء الإمبراطورية، وحيث انتشرت بيوت البكاء التي تُروى فيها قصة استشهاده البطولي، والمثير للاهتمام في نطاق هذه الفكرة، أن مجالس العزاء الحسينية التي ظهرت في العراق الحديث، سوف تتبدى في مرآة التاريخ، امتداداً ثقافياً لبيوت البكاء القديمة على تموز». نستعرض في هذا الملف أدب المناحة العظيمة ونكتشف الخيط اللاقط الذي يجمع أحزان البشر على اختلاف ثقافاتهم ودياناتهم. حيث «كل امرئ يبكي شجوه، ونام الخلي عن بكاء الشجيّ»

اختيار وتنسيق: محمد ناصر الدين

عباس الموسوي ـ «معركة كربلاء» (نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ـ زيت على كانفاس ـ 175,4 × 341,6 × 5,7 سنتم) متحف بروكلين

■ نواح إيزيس على أوزيريس

تعال إلى بيتك/ أنت يا من لم يعد له أعداء/ أيها اليافع الجميل/ تعال إلى بيتك لكي تراني/ أنا أختك التي تحبها/ لا تبتعد عني أيها اليافع الجميل/ أنا لا أراك/ ومع ذلك قلبي يصبو إلى لقياك/وعيناي تلتمسان رؤياك/ما أروع أن أتأملك/ تعال إلى من تحب/ أنت يا من لم يعد قلبه يخفق/ لا تبتعد عنيّ/ الآلهة والناس اتجهوا بوجوههم نحوك/ وكلهم يبكونك معاً لأنهم يرونني/ أناديك وأبكيك بحرقة/ حتى أنه (بكائي) يُسمع في السماء/ ولكن ألا تسمع صوتي؟/ أنا أختك التي كنت تحبها في الأرض/ وما كنت تحب أي امرأة سواي/ أنت يا من أحببت الضوء/ لا تذهب في الظلام/ أنت يا من أحببت صخب الحياة ونزقها/ لا تذهب للعزلة يا أخي/ آه يا أخي.

(المصدر: بردية مصرية فرعونية في متحف برلين)

> مجالس العزاء الحسينية التي ظهرت في العراق الحديث، سوف تتبدى في مرآة التاريخ، امتداداً ثقافياً لبيوت البكاء القديمة على تموز (فاضل الربيعي)

■ رثاء كلكامش لصديقه انكيدو

يا أنكيدو إنّ أمك ظبية وأبوك حمار الوحش، وقد رُبيتَ على رضاع لبن الحمر الوحشية لتندبك المسالك التي سلكتها في غابة الأرز

وعسى ألا يبطل النواح عليك ليل نهار وليبكك شيوخ أوروك، ذات الأسواق وليبكك الإصبع الذي أشار إلينا من ورائنا وبازكنا

فيرجع صدى البكاء في الأرياف وليندبك الدب والضبع والنمر والفهد والأيل والسبع

والعجول والظباء وكل حيوان البرية

ليندبك نهر «أولا» الذي مشينا على ضفافه

وليبكك الفرات الطاهر الذي كنا نسقي منه

ليبكِ عليك محاربو أوروك ذات الأسوار

وليبكِ عليك من أطعمك بالغلّة

ومن مسح ظهرك بالزيت المعطر ومن سقاك الجعة

ولتبكِ الزوجة التي اخترتها

وليبكِ عليك الإخوة والأخوات.

(المصدر: ملحمة كلكامش، ترجمة طه باقر)

■ هيلين ترثي هكتور في الإلياذة

وتظهر بعد ذلك هيلين غارقةً في أحزانها
وتسيل الدموع حرّى مدرارة من عينيها الباهرتين
كحبات من اللؤلؤ المنثور، وتصيح مولولة:
واه يا أعزّ صديق، يا من حبّتك الآلهة بأنبل خُلق وأرجح عقل وأشجع سيف
الآن وقد مضت في التعاسة عشر سنوات منذ أن أتى بي باريس إلى شواطئ طروادة
يا ليتني متّ قبل أن تحملَ تلك الروح القدسية
على إغواء قلبي السهل الرقيق
كلماتك الرقيقة بلسمُ لجرحي، من أجلك أنا حزينة
ولفقدك أرثي لحالي، أنا السبب في المآسي التي نلقاها
فأمر به أفرسياب أن للمصير الذي صرنا إليه حين يبكيني يعدلوا به عن الطريق إلى سفح بعض للأبد
هو كذلك جاءت ابنته مضرّجة الوجنّات الآن وبعد رحيلك لم يبقَ صديق لهيلين بنجيع العبرات، فأجهشت إليه بالبكاء سأظلّ أجوب شوارع طروادة الواسعة والعويل وقالت: أيها الملك، إن سياوخش هائمة منبوذة
هاجر من أجلك أباه، وترك من ربّاه، وفارق إذ يهجرني أهلها كما يمقتني بنو أمّي.
ديارَه، وباعد أشياعه وأنصاره، واتّخذك (المصدر: «مسارات الأدب الغربي من هوميروس إلى ملاذاً ومفزعا، فما الذي صبّرك بإراقة دمه عصر النهضة» لأحمد فقيه)
مولعاً؟ لكنه استولت عليه القسوة، فأمر أن يضجعوه على التراب، وذبحوه بخنجر تناوله الجلاد في طشت من الذهب. قال صاحب الكتاب: وإنهم لمّا سكبوا دمه نبت منه النبت المعروف الذي يسميه العجم بخون سياوشان. وهو الذي يسمى في بلاد العرب دم الأخوين. وهو الآن يُجلب إلى أطراف البلاد من ذلك المكان.

(المصدر: كتاب «الشاهنامة» للفردوسي، ترجمة الفتح بن علي البنداري)

■ نواح الأصنام على الإله تموز

وقد ادعى أهل زمان بنبوشاذ أن جميع سكان الآلهة والأصنام ناحت على بنبوشاذ بعد موته، كما ناحت المليكة والسكان كلها على تموزي، وأن الأصنام، زعموا، اجتمعت من جميع أقطار الأرض إلى بيت الأشكول ببابل فقصدوا كلهم هيكل الشمس إلى صنم الذهب الأعظم المعلق بين السماء والأرض، خاصة وأن صنم الشمس قام وسط الهيكل وقامت أصنام الأرض كلها حوله، أولها ممّا يليه أصنام الشمس في جميع البلدان، ثم أصنام القمر، ثم أصنام المريخ، ثم أصنام عطارد، ثم أصنام المشتري، ثم أصنام الزهرة، ثم أصنام زحل، فجعل صنم الشمس ينوح على تموزي والأصنام تبكي، وصنم الشمس يعدد على تموزي ويذكر شرح قصته، والأصنام تبكي كلها منذ غروب الشمس إلى طلوعها آخر تلك الليلة، ثم طارت الأصنام راجعة إلى بلدانها، وأن صنم تهامة المسمّى نسراً، عيناه تدمعان وتجريان الدهر كله وإلى الأبد منذ تلك الليلة.

(المصدر: كتاب «الفلاحة النبطية» لابن وحشية النبطي)

■ رثاء سياوخش في الشاهنامة

وأما أنا فستُقطع رأسي بغير جُرم، ويراق دمي بلا ذنب. فأغادر على الأرض طريحاً بلا تابوت ولا كفن، غريباً عن الأهل والوطن، ثم (مخاطباً زوجته) حرس أفرسياب ويخرجونك حافية حاسرة (...) ثم أمر أفرسياب بوضع السيف في أصحاب سياوخش، فاشتعلت بينهم نار الحرب في ذلك الفضاء، وتواردوا حياض الموت توارد الإبل في مشارع الماء، وكان الإيرانيون زهاء ألف فارس فقتلوا خلقاً كثيراً من الأتراك حتى صار الأمر إمرا، وغمرتهم أمواج الفناء غمراً. وجُرح سياوخش في مواضع عدة من بدنه، وفارق ظهر فرسه، وقاتل ساعة راجلاً. ثم أسروه وأتاه رجل من الأعداء فشدّ عليه، ووضع غلاً على عنقه. فساروا بالشاب الغرير راجلاً، ولم يراقبوا الله فيه أجلاً ولا عاجلاً، وتوجهوا به نحو مدينته التي بناها. فأمر به أفرسياب أن يعدلوا به عن الطريق إلى سفح بعض الجبال ويقطعوا هناك رأسه. ..فبينما هو كذلك جاءت ابنته مضرّجة الوجنّات بنجيع العبرات، فأجهشت إليه بالبكاء والعويل وقالت: أيها الملك، إن سياوخش هاجر من أجلك أباه، وترك من ربّاه، وفارق ديارَه، وباعد أشياعه وأنصاره، واتّخذك مولعاً؟ لكنه استولت عليه القسوة، فأمر أن يضجعوه على التراب، وذبحوه بخنجر تناوله الجلاد في طشت من الذهب. قال صاحب الكتاب: وإنهم لمّا سكبوا دمه نبت منه النبت المعروف الذي يسميه العجم بخون سياوشان. وهو الذي يسمى في بلاد العرب دم الأخوين. وهو الآن يُجلب إلى أطراف البلاد من ذلك المكان.

(المصدر: كتاب «الشاهنامة» للفردوسي، ترجمة الفتح بن علي البنداري)

■ مواضع النياحة في جزيرة العرب

مواضع النياحة على الموتى: خيوان ونجران والجوف وصعدة وأعراض نجد ومأرب وجميع بلد مذحج. فأما خيوان فإن الرجل المنظور منهم لا يزال يُناح إذا مات، إلا أن يموت مثله، فيتصل النواح على الأول بالنواح على الآخر، وتكون النياحة بشعر خفيف تلحَنه النساء، ويتخالسنه وهنّ يصحن على الرجال من الموالي، لحون غير ذلك عجيبة التراجيع بين الرجال والنساء.

(المصدر: صفة جزيرة العرب للهمداني).

■ خبر مصرع كليب بن وائل وأخيه المهلهل له

وكانت بنو جشم وبنو شيبان في دار واحدة بتهامة، وكان كليب بن وائل قد تزوّج جليلة بنت مرة بن ذهل بن شيبان، وأختها جساس بن مرة، وكانت البسوس بنت منقذ التميمية خالة جساس بن مرة، وكانت نازلة في بني شيبان مجاورة لجساس، وكان لها ناقة يقال لها سراب، ولها تقول العرب: أشأم من سراب، وأشأم من البسوس! فمرّت إبل لكليب بسراب ناقة البسوس، وهي معقولة بفناء بيتها، جوار جساس بن مرة، فلما رأت سراب الإبل نازعت عقالها حتى قطعته، وتبعت الإبل واختلطت بها، حتى انتهت إلى كليب وهو على الحوض، معه قوس وكنانة، فلما رآها أنكرها، فانتزع لها سهماً فخرم ضرعها فنفرت الناقة وهي ترغو، فلما رآتها البسوس قذفت خمارها عن رأسها وصاحت: واذلاه! واجاراه! واخرتِه. فأحمست جسّاسا، فركب فرساً له مغروراً به، فأخذ آلته، وتبعه عمرو بن الحارث بن ذهل بن شيبان على فرسه، ومعه رمحه، حتى دخلا على كليب الحمى، فقال له: يا أبا الماجدة، عمدت إلى ناقة جارتي، فعقرتها! فقال له: أتراك مانعي أن آذبّ عن حماي؟ فأحمسه الغضب، فطعنه جساس فقصم صلبه، وطعنه عمرو بن الحارث من خلفه فقطع قطنه، فوقع كليب وهو يفحص برجله، قال لجساس: أغثني بشربة من ماء... فلما قتل كليب ارتحلت بنو شيبان حتى نزلوا بماء يقال له النَهيّ، وتشمر المهلهل أخو كليب- واسمه عدي بن ربيعة، وإنما قيل المهلهل لأنه أوّل من هلهل الشعر، أي أرقّه- واستعدّ لحرب بكر، وترك النساء والغزل، وحرّم القمار والشراب، وجمع إليه قومه، فأرسل رجلاً منهم إلى بني شيبان يعذر إليهم فيما وقع من الأمر (...) وقال المهلهل يرثي كليباً:

بتّ ليلي بالأنعمين طويلا ... أرقب النجم ساهراً أن يزولا
كيف أهدأ ولا يزال قتيل ... من بني وائل ينسّي قتيلا
غيّبت دارنا تهامة في الده ... ر وفيها بنو معدّ حلولا
فتساقوا كأساً أمرّت عليهم ... بينهم يقتل العزيز الذليلا
فصبحنا بني لجيم بضرب ... يترك الهام وقعه معلولا
لم يطيقوا أن ينزلوا ونزلنا ... وأخو الحرب من أطاق النزولا
قتلوا ربّهم كليباً سفاها ... ثم قالوا ما إن نخاف عويلا
كذبوا والحرام والحلّ حتى ... يسلب الخدر بيضه المحجولا
ويموت الجنين في عاطف الرح ... م ونروي رماحنا والخيولا

(المصدر: «العقد الفريد» لابن عبد ربه الأندلسي)

■ رثاء متمم بن نويرة لأخيه مالك

وأما متمم (بن نويرة) فلم يختلف في إسلامه. كان شاعراً محسناً، لم يقل أحد مثل شعره في المراثي التي رثى بها أخاه مالكاً، وكان أعور، قيل: إنه بكى على أخيه حتى دمعت عينه العوراء. وقدم متمم بن نويرة على أبي بكر يطلب بدم أخيه ويسأله أن يرد عليهم سبيهم، فأمر أبو بكر برد السبي وودّى أمير المؤمنين، هذه الخنساء قد قرحت مآقيها من البكاء في الجاهلية والإسلام، مالكاً من بيت المال. ولما قدم على عمر قال له: ما بلغ بك الوجد على أخيك؟ قال: بكيته حولاً حتى أسعدت عيني الذاهبة عيني الصحيحة، وما رأيت ناراً قط، إلا كدت أتقطع أسفاً عليه لأنه كان يوقد ناره إلى الصبح مخافة أن يأتيه ضيف ولا يعرف مكانه. قال: فصفه لي. قال: كان يركب الفرس الحرون، ويقود الجمل الثقال وهو بين المزادتين النضوختين في الليلة القرّة وعليه شملة فلوت، معتقلاً رمحاً خطلاً، فيسري ليلته ثم يصبح، وكأن وجهه فلقة قمر. قال: أنشدني بعض ما قلت فيه. فأنشده مرثيته التي يقول فيها:

وكنا كندماني جذيمة حقبةً.. من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكاً.. لطول اجتماعٍ لم نبت ليلةً معا

فقال عمر: لو كنت أقول الشعر لرثيت أخي زيداً. فقال متمم: ولا سواء يا أمير المؤمنين، لو كان أخي صرع مصرع أخيك لما بكيته. فقال عمر: ما عزاني أحد بأحسن مما عزيتني به.

(المصدر: «كتاب المختصر في تاريخ البشر» لإسماعيل أبي الفداء)

■ رثاء الخنساء لأخيها صخر

قالت الخنساء ترثي أخاها صخراً:

ألا يا صخر إن أبكيت عيني
لقد أضحكتني دهراً طويلا
دفعت بك الجليل وأنت حيٌّ
فمن ذا يدفع الخطب الجليلا
إذا قبح البكاء على قتيلٍ
رأيت بكاءك الحسن الجميلا

وقيل إنها ظلت تبكي حتى أدركت الإسلام، فأقبل بها بنو عمها إلى عمر بن الخطاب، وهي عجوز كبيرة فقالوا: يا أمير المؤمنين، هذه الخنساء قد قرحت مآقيها من البكاء في الجاهلية والإسلام، فلو نهيتها لرجونا أن تنتهي. فقال لها عمر: اتقي الله وأبقي بالموت، فقالت: أنا أبكي أبي وخيريّ مضر: صخراً ومعاوية. وإني لموقنة بالموت، فقال عمر: أتبكين عليهم وقد صاروا جمرة في النار؟ فقالت: ذاك أشد لبكائي عليهم؛ فكأن عمر رقّ لها، فقال: خلوا عجوزكم لا أبا لكم فكل امرئ يبكي شجوه، ونام الخلي عن بكاء الشجيّ.

(المصدر: الوافي بالوفيات للصفدي)

■ رؤيا الطائر عند عمرو بن الطفيل

رأيت رؤيا فقلت لأصحابي إني رأيت رؤيا عبروها، قالوا: وما رأيت؟ قلت: رأيتُ رأسي حلق وأنه خرج من فمي طائر وأن امرأة لقيتني وأدخلتني في فرجها، وكان ابني يطلبني طلباً حثيثاً، فحيل بيني وبينه. قالوا: خيراً فقال: أما أنا والله فقد أوّلتها. أما حلق رأسي فقطعةٌ، وأما الطائر فروحي، وأما المرأة التي أدخلتني في فرجها فالأرض، تحفر لي وأدفن فيها، فقد رجوت أن أقتل شهيداً، وأما طلب ابني إياي فلا أراه، إلا سيغدو في طلب الشهادة ولا أراه يلحق بسفرتنا هذا فقُتل الطفيل شهيداً يوم اليمامة وجرح ابنه ثم قتل بالير موك بعد ذلك.

(المصدر: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البرّ)

■ ما جرى على الحسين بن علي وفرسه «الميمون» في كربلاء

لما صُرع الحسين، انطلق الفرس متوحشاً ويصهل صهيلاً عالياً ويدور حوله ويلطخ ناصيته بدمه، وهو يحامي عن الحسين ويثب على الفارس فيخبطه على سرجه ويدوسه. فصاح ابن سعد: دونكم الفرس، فإنه من جياد خيل رسول الله، فاحاطوا به الخيل، فجعل يرمح برجليه فقال ابن سعد: دعوه لننظر ما يصنع، فلما أمن الطلب، أقبل نحو الحسين ثانية يمرغ ناصيته بدمه ويشمه ويصهل صهيلاً عالياً. قال الإمام أبو جعفر «كان يقول: الظليمة الظليمة، من أمة قتلت ابن بنت نبيّها»

وتوجه نحو المخيم بذلك الصهيل ويضرب برأسه عند الخيمة، وقد ملأ البيداء صهيلا، فتيقن النساء أن الحسين قد قتل، ولما سمعت سكينة صهيل فرس أبيها، فخرجت تستقبله لعله أتاها بالماء، فرأت الجواد عارياً ورأسه ملطخاً بالدم والسرج خالياً من راكبه صاحت: «قُتل والله أبي الحسين»، ورفعت صوتها بالبكاء أخذت ترثيه بهذه الأبيات:

أميمون أشفيت العدى من وليّنا * وألقيته بين الأعادي مجدّلا
أميمون ارجع لا تطيل خطابنا * فإن عدت ترجو عندنا وتؤملا

ولما توجه ذو الجناح إلى المخيم، خرجت النساء من الخدور، فواحدة تقول: «أيها الجواد، أين رميت بالحسين؟»، وأخرى تقول: «لمَ أخذت الحسين إلى الأعداء؟ نادته زينب: «واه، أرى وجهك الملطخ بالدماء»، ونادت سكينة: «يا جواد، هل سقي أبي أم قتل عطشانا؟». روى البعض: أقبل الفرس يركض نحو خيمة النساء، وهو يصهل ويضرب برأسه الأرض عند الخيمة، حتى مات ونقل بعض آخر: فرّ الفرس من عند النساء متوحشاً، حتى ألقى بنفسه في الفرات، ولم يعثر له بعد ذلك من أثر.

(المصدر: كتاب «تذكرة الشهداء» لحبيب الله الكاشاني)

■ مرثية شعبية من السيرة الهلالية

«فلما فرغ من كلامه التقوا الفارسين في حرب وصدام، وساروا في حرب شديد يفتك زرد الحديد، فانفك عزم الزناتي من شدة حربه، فولى هارب وللنجاة طالب، وحكم ضربه نحو جنانين الورد، وكان الخطيب كان من بين السجايا وماسك الرمح بيده، وإذا بالزناتي والخفاجي لاحقه، فطلع الخطيب طعن الخفاجي بين كتفيه، خرج يلمع من لوحيه، فرماه قتيل، وفي دمه جديل، فغار الفريقين والتحموا الطائفتين، وصاح على رؤوسهم غراب بالرمح أصاب الجواد ورماه على الأرض، فرد الزناتي إليه، وخلصه من بين يديه، وركب الجواد، ولا زال بينهم القتال حتى ولى النهار، فانفصلوا عن القتال، وامتلأت الأرض من القتلى، وأخذ الظريف خفاجي عامر إلى بيته ومدده، فأشاد يقول:

يقول الفتى ملك العراق العامر
سهم المنية على الرجال بيدور
شبّهت نفسي كسفينة صغيرة
في بحر طامي وماؤه معكور
موجة تعلى بي وموجة تحط بي
وبحر النّيا ظلمة وماؤه عكور
طاطي لي يا وزّ العراق لما أقول لك
باللي عالغربة تبان صبور
يا وزّ ادلّك عن أمايز بلادي
مدينة ومن خلف المدينة سور
يا وزّ سلّم يمّ أمّي، وقل لها:
جملك وقع، ولا عادش قطّ يثور
سلّم على أبويا الحزين وقل له:
اللّي انكتب ما منع المقدور!»

(المصدر: عبد الحميد حواس، تباريح حزينة مجلة الفن عدد 30، 2010)

مختارات شعرية

يُقال إنّها أهمّ شاعرة عرفتها روسيا: «سافو الشّمال» لقب ترفضه بل يستفزّها. هي المرأة الّتي تجرّأت في أصعب فترة من التّاريخ، حقبة الصّمت وإبادة المثقّفين، أن تكتب أهمّ دواوينها وتبكي في قصائدها الموتى من رفاقها ومواطنيها وتؤرّخ نصف قرن من الدم. هي التي بفمها الصّغير نقلَتْ صرخات «مائة مليون مواطن روسيّ». يُجمع كثيرون على أنّ تأثّرها بنثر القرن التّاسع عشر الرّوسي كان كبيراً. وُلدَتْ آنّا غورنكو في 23 حزيران (يونيو) عام 1889، في بولشوي فونتان، قرب أوديسّا، جنوب أوكرانيا. كانت في السّابعة عشرة من عمرها، عندما أخبرَت أباها بأنّها ستُرسل قصائد لنشرها في إحدى المجلّات. وإذ بها تتفاجأ بردّه وبردّ فعله، فهو لم يرحّب أبداً بذلك: «إن كنتِ ستكتبين بغرض التّسلية فلا بأس، ولكن لا توسّخي اسم العائلة النّبيلة بأبياتٍ وقحة ومنحطّة!»، فأجابته: «اسمكَ هذا لستُ بحاجة إليه!»، واتّخذت كنية جدّة أمّها «أخماتوفا»، أميرة مسلمة من التّتار، على حدّ قولها. تنتقل لاحقاً إلى كييف، حيث ستتعرّف إلى شاعرٍ شابّ، هو نيكولاي غوميليوف، المُلقَّبُ بـ«فارس العصر الفضّيّ». وجدت فيه مهرباً وتعويضاً عن محيطها غير المثقّف. هو «وقع في حبّ عينيها الحزينتيْن»، في حبّ «تلك الحوريّة» كما كتب في قصائده. سرعان ما لم تعد آنّا تتحمّل حياتها مع غوميليوف، هو الذي يعشق كلّ النّساء وينتقل من بلدٍ إلى آخر ومن علاقة إلى أخرى، وهي المرأة التي تنتظر. في تشرين الأول (أكتوبر) من عام 1912، تلد ابنها ليف وسط جوٍّ من الشّجار. في عام 1913، تعلن ألمانيا الحرب على روسيا، وفي أيلول (سبتمبر) ينطلق غوميليوف إلى الجبهة ليعود جريحاً إلى موسكو.

«ابتداءً من عام 1925، لم نعد نعرف غير الدم». سنوات من العزلة تستغلّها آنّا في قراءة بوشكين وليرمنتوف، تدرس قصائدهما. لكن كيف تقاوم حزنها وآلامها؟! تقرأ عن بطلات الكتاب المقدّس: راحيل، زوجة لوط ومريم والمجدليّة. تُسقط حياتها ومعاناتها على ما عشنه. ديدون، كاسندرا، كليوبترا، تكتب عن كلّ هذه الشّخصيّات وتعيد إحياءها. كانت أحياناً تنطلق من جملة واحدة لتصنع مشهداً كاملاً. في 22 حزيران (يونيو) 1941، تشنّ ألمانيا الحرب على الاتحاد الرّوسيّ، وستشهد لينينغراد حصارها الشّهير (900 نهار و900 ليلة). في تمّوز (يوليو)، ستتكلّم آنّا في الرّاديو وتدعم أهالي لينينغراد، ستكتب قصائد وشعارات للإعلام، وتكمل بعدها كتابة «ملحمة بلا بطل» ستمحو منها وتضيف كالعادة. ثم تغادر إلى طشقند في أوزباكستان، بعدما صار الوضع في لينينغراد مأساويّاً. سألها النّاس: «هل سيدخل الألمان إلى لينينغراد؟»، فأجابَت «لا أحد يفكّر بهم، النّاس يريدون فقط أن يأكلوا». ستالين يموت عام 1953. تصف فرحتها لأصدقائها: «استيقظتُ أكثر من مرّة هذه اللّيلة من فرط سعادتي». فهي ترى أنّ «ستالين أكبر جلّاد عرفه التّاريخ، وأنّ جنكيز خان وهتلر ليسا إلّا ولدين صغيرين في جوقته». كيف لا وهو الذي هجّر أربعة آلاف أديبٍ وقتل 20 مليون إنسان، أضعاف ضحايا هتلر (ستّة ملايين). رُفع التّدبير الّذي اتُّخِذَ في حقها عام 1953، لتعود إلى لينينغراد في عام 1954 وتلتقي ابنها ليف. بعد سنوات من التّضييق والصّمت والتّجاهل، نشرت قصيدة «قدّاس جنائزي» في ميونيخ عام 1963. كتبت في نهاية حياتها: «أرأيتَ يا الله/ كم أنا متعبة/ من الحياة/ من الموت/ من النجاة/ خذ منّي كلّ شيء/ ما عدا هذه الوردة الرّاهية/ دعني أشمّ انتعاشها كلّ يوم». وفارقت الحياة في السّادس من آذار (مارس) عام 1966. تحوّلت شقّتها إلى متحف يرتاده محبّوها، وأقيم لها تمثال في سان بطرسبرغ، كما أُطلق اسمها على أحد الكواكب الصّغيرة التي اكتشفها اثنان من علماء الفلك السّوفيات عام 1982

ترجمة وتقديم:
اماني فيث

آنّا أخماتوفا: لستُ أدافع عن صوتي، بل عن صمتي *

1- ظلال

أتيت إلى البحر حيث رأيتني
وحيث وقفتُ في حبّك وذبتُ في حنانك،
وحيث ما زال ظلّان اثنان واحدٌ لك، وواحدٌ لي،
يتنهّدان حتّى الآن.

ها قد اختفى وجع الحبّ
ولم تنهَ الأمواج رقصتها على الشّاطئ بعد،
ما زالت تماماً كما الأمس،
وأبداً لن نَنسى، وأبداً لن نُنسى.

وهناك الباخرة تصيح،
نكايةً بالوقت،
ويرمي البحر نفسه في الميناء.

ولن ينتهي الأمر أبداً،
فما زلتَ هناك
وما زلتُ أركض نحو رسول الشّمس الذي لا يموت.

2- قراءة هاملت

إلى يمين المقبرة،
ثمّة أرضٌ شاسعة،
خلفها يجري النّهر بارداً وأزرق.
قلتَ لي: «اذهبي إلى الدّير أو ابحثي عن أحمق يرضى الزّواج بك»
أعلمُ أنّ هذا ما يتفوّه به الأمراء عادةً،
لكنّني لن أنسى كلماتك أبداً،
دعها تتدفّق دائماً
لسنواتٍ عديدة،
هكذا دواليك،
مثل فرو من فوق الأكتاف.

3- يومها كلانا شتم الآخر...

العشق بياضٌ مشتعل،
لم يفهم كلٌّ منّا
كيف أنّ أرضاً صغيرةً كانت لاثنين معاً،
تلك الذاكرة تعذّب بحقدٍ
وتجرح أكثر القلوب قوّة!

وفي اللّيل الّذي لا ينتهي،
يتعلّم القلب أن يسأل:
«أين رحل حبيبي؟»
عندها فقط،
وسط خيطان البخور
سيعلو العزف
فرحاً وخطراً،
بينما أحدّق بقسوة في روحي،
بالعينين نفسهما الواثقتين
والضّارمتين.

4- ادفنيني أيّتها الرّيح!

ادفنيني
ادفنيني أيّتها الرّيح
فوقي السماء خافتة
والأرض تتنهّد بهدوء
ولم يأتِ أحدٌ من أقاربي!

أذكر أنّي كنت حرّةً مثلك
لكنّني طمعتُ بأن أحيا أكثر
وها أنتِ الآن،
ترين جثّتي الباردة ولا أحد
فوقها،
ليعلوني ذراعي.

أغلقي هذا الجرح الأسود
كفن المساء المنتشر هنا وهناك
ها هو الضّباب اللّازورديّ فوق رأسي
يأمرني بقراءة المزامير.

حسناً فلأهدأ ولأخفّف الأمر عليّ.
وحدي،
سأذهب إلى النّوم الأخير،
في الأعالي.

5- أبيات جدّتي

ينبوع الشّمس هذا الصّباح في حالة سكر
ورائحة الورد تدوّي على الشّرفة،
والسّماء أكثر لمعاناً من الخزف الأزرق،
وفي يدي دفتر ملاحظات بغلافٍ من الجلد المغربيّ النّاعم،
أقرأ فيه مرثيّات وأبياتاً رومانسيّة
كتبتْها جدّتي.

أرى الطّريق إلى البوّابة وما بعدها.
أعمدةٌ بيض تلمع فوق عشبٍ كالزّمرّد،
أتساءل كم أنّ القلب يهوى بعمى ورقّة!

أستمتع بتأمّل أحواض الزّهور اللّامعة
والغربان السّود يتصاعد صراخها في السّماء،
والأقواس العميقة داخل القبو.

6- الجحيم

انتظرتُ لوقتٍ طويل
عند بوّابة الجحيم الضّخمة.
كان هادئاً ومظلماً،
آوه، حتى الشّيطان
لا يرغب بي!
إلى أين أذهب؟

7- يعود زوجي الميت

امتحى القمر عن التّجوّل في السّماء،
والبرد، مثل خَتمٍ، طُبع على اللّيل،
زوجي الميت عاد فجأةً
لقراءة رسائل حبّي له.
داخل نعش مصنوع من البلّوط،
يتذكّر القلعة السريّة
وخطوات قدميه الخشنتين
الموثقتين برباطٍ حديديّ
فوق بلاطها.
يراقب مواعيد لقاءاتنا
ويتأكّد من التواقيع.
يا له من غريب!
ألم يكفِهِ ما لديه من أحزانٍ وآلام؟
ماذا جنى حتّى الآن؟

8- كان يحبّ ثلاثة أشياء

قدّاس المساء،
الطّواويس البيض
وخرائط أمريكا القديمة.
لم يكن يحبّ الأطفال عندما يبكون
لم يكن يحبّ الشّاي بتوت العلّيق
ولا هستيريا النّساء،
وأنا،
كنت زوجته!

9- ليلة بيضاء

لم أقفل الباب
ولم أطفئ الشّموع،
لا يمكنك تخيّل كيف قاتلتُ التّعب والنّعاس!

كنتُ أشاهد انسحاب الضّوء شيئاً فشيئاً،
وأشجار الصّنوبر الّتي تكتئب عند مجيء المساء،
فتشربُ الأصوات.
أحدها يشبهُ صوتك إلى حدٍّ كبير.
وأعرف جدّاً أنّ كلّ شيء قد ضاع
جحيمٌ هي الحياة بعيداً منك،
وأنا اعتدتُ أن أكون متأكّدةً ووائقة
من أنّك ستعود إليّ.

10- ساسكن الرخام يوماً

وثمّ بعد ذلك،
ستكون هناك شاهدةٌ رخاميّةٌ خاصّةٌ بي
تحت شجرة القيقب القديمة.
ستعطي وجهها لمياه البحيرة،
وتصغي بتمعّنٍ إلى الحفيف الأخضر.
وتغسل الأمطار الخفيفة جرحها الجافّ...
باردة، بيضاء، وتنتظر،
سأسكن الرّخام يوماً.

11- بوشكين

كان شاباً وداكن البشرة
يتجوّل في الأزقّة، وقرب البحيرة،
وعلى الشّواطئ الحزينة...
ومرّ قرنٌ من الزّمن،
وما زلنا نفتخر به
وما زلنا نسمع خفيف خطواته.
هناك حيث بقايا إبر الصنوبر
متراكمةٌ مثل حصيرةٍ سميكةٍ وشائكة
تغطّي الجذوع،
ترقدُ قبّعته القديمة المثلّثة
وكتاب شعرٍ ممزّق.

12- الأرق

في مكانٍ ما تموء القطط بحزن،
أراقب خطىً بعيدة...
كم كانت كلماتُك تهدّئني
وتهدي لي،
منذ ثلاثة أشهر وأنا لا أعرف النّوم.

ها أنتَ معي مرّةً أخرى أيّها الأرق!
ما زال وجهك كما عرفتُه.
ما هذا الجمال الغريب الّذي أنت عليه!
أجبني: ألا تعجبك طريقتي في الغناء؟

وفجأةً تشتعل النّوافذ المغطّاة بالأبيض،
ويتدفّق الشّفق الأزرق.
أما من خبرٍ من بعيد، بريحنا؟
لماذا أكون بخير عندما أكون معك؟

13- علّمت نفسي أن أعيش بحكمة وبساطة

أن أرفع عينيّ باتّجاه السّماء،
وأصلّي،
أن أمشي قبل المساء
لأتعب قلقي الّذي لا يلزم.

وحين يدوّي حفيف النّباتات في الوادي البعيد
وتتدلّى عناقيد العنب البرّي بلونيها الأصفر والأحمر،
أكتب أشعاراً فرحة، عن حياةٍ فانية وجميلة،
مثلي.

واعود، فيموء قطّي ويلعق يدي
وهناك قرب البحيرة، وفوق معمل الخشب
صراخُ اللّقلق يمزّق الصّمت.
اتخيّلك تطرق بابي
وأتخيّلني، إن حدث ذلك يوماً ما،
لن أسمعك.

14- الشيب

خصلةٌ من الشّعر الفضّيّ
تربّعَت أعلى شعري الأسود.

لا أحد غيرك قادرٌ على فهم هذه المعاناة،
أيّها العندليب الّذي فقد صوته.
كان سمعكَ المرهف يلتقط أبعد الأصوات،
والآن تحدّق في أغصان الصّفصاف النّحيلة،
بمرارةٍ ودون أيّ همسة،
عند سماعك لأغنيات العصافير الأخرى.

قبل لحظة
تجمّدت فجأةً أشجار الحور،
كان الجميع يصغي، لفرحكَ الّذي لا يُقال.

15- لم يأتِ أحدٌ لرؤيتي

على ذلك الدّرب،
مع فانوسٍ في يده.

تحت ضوء القمر المرتبك،
دخلتُ البيت وكان هادئاً.
ضوءٌ أخضر وابتسامةٌ هامدة
قال لي صديقي بصوتٍ منخفض:
«كم صوتكِ غريب يا سندريلا!»

في الموقد نارٌ تنطفئ،
وتُقيد زيز اللّيل أضجرني،
أحدهم سرق حذائي الأبيض،
للذّكرى
وأعطاني ثلاث قرنفلات
من دون أن يفتح عينه.

أين يمكنني أن أخبّئكِ،
أيّتها الأرقّ؟

من المحزن جدّاً أن أفكّر بأن اللّحظة اقتربت،
اللّحظة الّتي سيجرّب فيها حذائي الأبيض
على أقدام الآخريات!

16- في المساء

الموسيقى في الحديقة،
عزفت حزناً لا يقال.
وفاحت رائحة البحر منعشةً وحادّة،
في صحنٍ زجاجيٍّ مليءٍ بالمحار.

قال لي:
«أنا صديقٌ حقيقيّ!»
ولمستني.
كيف يمكنني ألّا أحبّ يديه،
وكأنّني قطّةٌ أو عصفورة،
وكأنّها نظرات فارس،
كم من الضّحك كنت أرى في هدوء عينيه
خلف رموشه الذّهبيّة.

أستمع إلى الكمان يغنّي وسط الدّخان المنتشر
«اشكري السّماء أنكِ وحدكِ معه للمرّة الأولى».

17- زائر

العاصفة الثلجيّة تطرق على نوافذ غرفة الطعام،
وكلّ شيءٍ على حاله،
حتّى أنا ما زلتُ نفسي،
هناك رجلٌ جديد.
سألته: ماذا تريد؟
قال أن أكون معك في الجحيم.
فضحكت: آه، إنّك تتكهّن بكارثةٍ لنا نحن الاثنين.

ثمّ رفع يده
ومسّ الزّهور بخفّةٍ وقال:
«حدّثيني كيف يقتلك الآخرون
حدّثيني كيف تقبّلينهم أنت»،
ولم يرفع عينيه عن خاتمي،
ولم تتحرّك عضلةٌ واحدة في وجهه الغيور.

آه، أعرف أيّ فرح سيشعر به
عندما يعرف برغبتي به
واهتمامي بشأنه
وأنّني لن أرفض طلبه.

18- لا أعرف إن كنتِ حيّاً أم ميتاً

وإن كان بوسعي أن أبحث عن مكانك
على هذه الأرض
هل عليّ أن أبكيك بحزن
كلّما دبّل المساء؟
كلّ شيءٍ لكَ وحدك:
صلاتي كلّ يوم
ونيران الأرق اللّيليّ،
وأسراب أبياتي البيض،
وعيناي المشتعلتان بضوءٍ أزرق.
كنتَ قريباً جدّاً،
يا أيّها الغارق في أعمق أسراري،
لذا لم يسبّب لي أحدٌ ألماً بقدرك أنت،
لا ذلك الذي خانني،
ولا الذي كان حنوناً جدّاً معي
ثمّ نسيني.

19- زنابق موسكو

الآن أنا مستعدّة،
لأستبدل بالشّهرة والبريق
ولمعان النّجوم في الأعلى،
زنابقَ أيّار
في موسكو المدمّاة.

20- قسم

ما أقوى تلك الّتي تقول وداعاً
لمَن تحبّه،
كم تجيد تحويل المها
إلى قوّة!
نقسم لأبنائنا
نقسم لقبورنا
ألّا أحد على الأرض،
لا أحد سيجعلُنا نخضع.

21- لكنّ صوتي يصمت

أشياء كثيرة تلحّ على صوتي
بأن يغنّي لها،
لكنّه يصرّ على الصّمت
هو ربّما يقول أشياء من دون كلام،
أو ربّما يقضم بعض الحجارة
في العتمة تحت الأرض،
أو يخترق دوائر الدّخان.
لم أقم بحساباتي بعد،
أحتاج لذلك الكثير من اللّهب
والرّيح والماء...
وفي سباتي الطّويل وفي أحلامي
تنفتح الأبواب فجأةً أمامي
لتقودني نحوها نجمة الصّباح.

22- الصفحات الأخيرة

لطالما أحببتُ في الكتب
الصّفحات الأخيرة،
حين يفقد البطل والبطلة أهمّيّتهما،
وحين تمضي الكثير من السّنوات
دون أن نشتكي.
حتّى الكاتب نفسه،
يبدو أنّه نسي ما خطّه في البداية.
«وللخلود شعرٌ رماديّ»،
هذا ما قرأتُه في كتاب جميل.
ها قد حان وقت النّهاية،
ليجد الكاتب نفسهُ وحيداً بلا أيّ حلّ،
وهو يحاول أن يستردّ ولو القليل من الروح،
وأن يسخر بمنحنا نهايةً منمّقة.
-سامحه الله-!
مثلاً:
«في بيتين من هذه المدينة،
(الاسم غير واضح)
بقي رسمٌ نحته أحدهم،
بماء الكلس فوق حائطٍ مضيء،
رسومٌ غريبة: لا رجل ولا امرأة.»

وأيضاً: «حين يسطع ضوء القمر،
منخفضاً، وَسيوِيّاً، وأخضر،
تُسمع فوق هذه السطوح في منتصف اللّيل،
خطواتٌ خفيفة،
أضاف أحدهم: واثنين،
وآخرون أوضحوا: كلمات.
ضاق ذرع الجميع بهذه المعجزة،
السيّاح قليلون،
القريبون اعتادوا ذلك.
يُزعم أيضاً،
أنّ في هذه البيوت الغريبة
سجّادةً تخفي هذا الرّسم الملعون».

23- لنحزن هكذا

لم نتنشّق نبات الخشخاش المخدّر
ولم يقدّم إلينا مشروباً أسود في اللّيلة الأولى من كانون الثّاني
كيف ارتكبنا خطايا ذلك؟
أجبني أسفل أيّ نجوم، وأيّ مجرّات تشكّلنا
لنحزن بهذا القدر؟
وأيّ برقٍ لا مرئيّ
جعلنا نفقد وعينا حتى الصّباح؟

24- مستحيل

فراقنا،
اتحمّله،
لكن ذكرياتنا،
مستحيل.

بورتريه لآنا اخماتوفا بريشة اولغا لودفيغوفنا ديلا فوس كاردوفسكايا (زيت على كانفاس ــ 1914)

25- القصيدة تصمت كما يحلو لها

كلّ شيءٍ على ما يرام
وفي مكانه الصّحيح،
وكما يجب،
القصيدة تصمت كما يحلو لها،
ولكن حين نأت الأفكار بنفسها،
طرق صوتٌ ما بمعصمه على زجاج النّافذة،
وانتشر صدى نداءٍ من بعيد،
ضجيجٌ عميق، هدير، صراخ طيرٍ كاسر، أنين...
وأخرى في وضح النّهار،
كأنّها لا تراني
تتدفّق على الورق الأبيض
مثل نبعٍ نقيّ في وادٍ.

وثمّة أخرى أيضاً
تجول، تتشكّل، تتفكّك، وترتمي،
ثمّ تسقط بين يديّ
بلا صوتٍ ولا لون.

لكنّ الأخيرة، تشرب دمي قطرةً قطرة،
مثلما يفعل الحبّ في حياة فتاةٍ شابّة،
ودون أن تنطق كلمةً واحدة
ثمّ تصمت من جديد.

26- دفنتُ مائة مرة

هل نسوني؟ غريب!
لقد نسيتُ مائة مرّة،
ودُفنْتُ مائة مرّة
ولا أعرف أين أنا الآن!
فقد ألهاهم فجأةً سمعه وبصره،
وتحلّل مثل بذرة متعفّنة داخل التّربة!
ثمّ ارتفع مثل طائر الرّماد إلى الأعالي،
وحلّق بلونه الأسود.

27- القصيدة الأخيرة

الأولى مثل رعدة تخيف،
وأنفاس حياةٍ تنفجر في الدّاخل،
ويرتجف فمها، وتضحك،
وترسم دوائر، وتصفّق.

الثّانية تولد في صمت منتصف الليل،
لا أعرف من أين أتت،
تحدّق بي في مرآةٍ فارغة،
وتتمتم أشياء لا تُفهم.

وأخرى في وضح النّهار،
كأنّها لا تراني
تتدفّق على الورق الأبيض
مثل نبعٍ نقيّ في وادٍ.

وثمّة أخرى أيضاً
تجول، تتشكّل، تتفكّك، وترتمي،
ثمّ تسقط بين يديّ
بلا صوتٍ ولا لون.

لكنّ الأخيرة، تشرب دمي قطرةً قطرة،
مثلما يفعل الحبّ في حياة فتاةٍ شابّة،
ودون أن تنطق كلمةً واحدة
ثمّ تصمت من جديد.

لم أعرف حزناً أكبر أو أقسى،
لقد اختفى، وامتدّتْ خلفه خطواته،
بعد أن تركني أموت بعده.

28- الصدى

أُقفِلَت جميع الطّرق نحو الماضي،
وماذا باستطاعته أن يفعل لي ذلك الأخير؟
وماذا يوجد هناك؟
بلاطٌ يكسوه الدّم،
بابٌ مسدود،
أو ربّما صدىً لم يعدْ يقوى على الصّمت!
أسكت وأرجوه،
لقد حدث له،
ما حدث مع ذلك الّذي في قلبي.

29- قبري لن يكون لي

بل لنسمة ربيع أصيبتْ بالجنون،
لكلمتين داخل كتابٍ وُجدَ بالصّدفة،
لابتسامة وجهٍ ادخلتني فجاة،
إلى هذه الحياة النّاقصة.

نسيتُ كلّ عظائكم، أيّها الخطباء الأقوياء، وأيّها الأنبياء الزّور،
ولكن،
أقسم بأنّكم لن تنسوني.

30- نحو بيتي

لأكثر الأصوات نقاوةً قدرةً فائقة،
تجعله يستحيل فراقاً،
فيزداد القلب فرحاً.

الأبنية القديمة تراقب حتّى الموت،
موعد معي الّذي سيكون أكثر حزناً،
فاعبر المدينة المصلوبة واتّجه نحو بيتي.

31- كل شيء في موسكو مشبع بالشعر

القوافي تعبر إلينا من كلّ الثّقوب.
فقط دعوا الصّمت يسود فوقنا
دعوا الصّمت رمزنا السّرّي،
ودعونا نأخذ استراحةً مع القوافي.

تلك الّتي ترافقكم الآن
ولطالما كانت معي،
ستتّحد الآن في زواج سرّيّ
مع الصّمت المرير والوحيد،
ذلك الصّمت الّذي يلتهم الغرائب
تحت الأرض
ويغلق دائرة الزّمن السّحريّة بالكامل،
ويقف أعلى آذاننا في اللّيل
ليتنبّآ لنا بالموت،
بأعلى صوت.

32- إطفئ هذه القناديل الحميمة

انتهت السهرة الرّائعة،
وكلّ شيءٍ اختفى،
الدّجّالون، الجلّادون، المعذّبون،
والتّحقيق...
أحلم بك،
رقصتْ حدّ التّعب أمام الطّوفان
وخلف المطر،
وخلف الرّيح والثّلج،
وها ظلّك يسطعُ أعلى الضّفّة الخالدة،
وصوتك يأتي من الأعماق.
ما زلتَ تصرّ ودون تعب
وبصوتٍ عالٍ،
تقول: «أنا»
وتقول: «أنت»
كما في الماضي.

33- قداس

قدّاس لروحٍ لا تتوقّف عن التّفكير،
حين يضيع النّوم،
وحين يحدّق الموت في المرايا،
ويذوب البلّور بين أصابعنا المليئة بالرّحمة،
وتتدفّق السّماء فوق ساعاتنا المصيريّة.
وحيث يضيق الانتظار،
ولا تتوقّف بصمات القصائد عن أن تسكننا.

34- صمت

لا أحد يطرق بابي
لم يتبقَّ
سوى مرآةٍ تحلم بمرآة،
وصمتٍ
يحرس صمتاً.

35- الفن الخالد

وفي هذه الرّيح
تختفي المشاعر والأفكار.
حتّى الفنّ الخالد
أصبح اليوم في قيلولة!

* من كتاب منتخبات شعريّة لأخماتوفا، صدر حديثاً عن «دار النهضة العربية» (بيروت) تحت عنوان «ملكة الذّيفا».

دراسة

خذوا النساء من صدور... الأساطير اليونانية!

سلوى دبوق

هل أنتِ عاشقة ولهانة كأفروديت أم والدة مُتفانية كديميتر، أم امرأة مستقلّة كأرتميس؟ يهتم العديد من العلماء والباحثين بدراسة عوالم النساء الداخلية وأوجه تطوّرهنّ النفسي وصراعاتهنّ الشخصية. في هذا السياق، يُعتبر كتاب «في كل امرأة أسطورة: إطلالة على أعماق النساء» (1984) الذي صدرت نسخته العربية أخيراً عن «دار مسكيلياني» (ترجمة عادل قرامي) من الأعمال اللّافتة التي تُسلّط الضوء على نماذج الأنوثة. من خلال أبحاثها وعملها على تطوير النظرية اليونغية حول النفس والعقل البشري، اقتنعت الكاتبة والطبيبة النفسانية الأميركية جين شينودا بولين (1936) بأن هناك حاجة لإطار جديد لفهم نفسية النساء، فبدأت بدراسة أساطير الآلهة اليونانية القديمة، كونها محفورة في لا وعينا الجمعي وذات تأثير ينتقل عبر الأجيال. اعتبرت شينودا بولين أن هذه الأساطير نماذج بدائية قادرة على تفسير الاختلافات بين النساء وتوجيه حياتهن. لذلك ركّزت على تحليلها، وصنّفتها ضمن ثلاث فئات رئيسية: الإلهات الضعيفات، الإلهات العذراوات، والإلهات الخيميائية.

ترتكز هويّة الإلهات الضعيفات على العلاقات العاطفية والمُعاناة الناتجة عنها. تُمثّل ديميتر، بيرسيفوني، وهيرا نماذج الأمّ والابنة والزوجة على التوالي. تعتبر الإلهة الإغريقية ديميتر رمزاً للخصوبة وسيّدة الطبيعة والنبات، والمرأة التي تنتمي لنموذج ديميتر تُقدّس غريزة الأمومة وتعشق أطفالها. وفقاً للأسطورة، حزنت ديميتر بشدّة على فراق ابنتها بيرسيفوني التي خطفها هادس إلى العالم السفلي، فتحدّت كبير الآلهة زيوس، وتوقّفت عن جلب الخصوبة والمواسم الخضراء إلى الأرض. استمر القحط حتى سمح زيوس لبيرسيفوني بالعودة في فصلَي الربيع والصيف إلى الأرض. هذه العيّنة من النساء تعتبر الأطفال أهم من الزوج والشريك العاطفي، في حين تُمثّل بيرسيفوني النموذج الخاص بالابنة أو الفتاة الصغيرة. هي تُجسّد صورة المرأة التي تنتقل من كونها «ابنة فلان» إلى «زوجة فلان»، ثم إلى «أمّ فلان»، من دون أن تكتشف من هي في الحقيقة. تعكس بيرسيفوني هذه السلوكيّة التي تتمثّل في الانقياد وعدم اتخاذ موقف قويّ لتحقيق رغباتها الخاصة. أما آخر الإلهات الضعيفات فهي هيرا، زوجة زيوس. تُمثّل هيرا المرأة التي لا تشعر بالكمال ولا تتحقق هويّتها إلا عندما تكون في علاقة مع رجل. كلّ شيء آخر، بما في ذلك الأطفال، هو أمر ثانوي بالنسبة إليها. يُمكن أن تتعرض امرأة من نموذج هيرا للمعاناة عندما تتدهور علاقتها بالشريك، لكنّها لا توجّه الأذى والغضب إلى الزوج الخائن، إنّما تلوم دائماً المرأة الأخرى، وتسعى للانتقام من منافستها.

تتميّز الإلهات العذراوات أرتميس، أثينا، وهيستيا بالاستقلاليّة والإنجازات الشخصية وعدم التأثر بالعلاقات العاطفية. ربّما تكون الإلهة أرتميس النموذج الأصلي الأكثر شهرة والأكثر انتشاراً في ثقافتنا المعاصرة. تعتقد شينودا بولين أن نموذج أرتميس رمز للحركة النسوية، لأنّها تُمثّل صفات الاستقلال عن الرجال، والتضامن الأنثوي، والاهتمام بالنساء والأطفال، فضلاً عن تحقيق الذات. تُقدّر امرأة

تعتقد شينودا بولين أن نموذج ارتميس رمز للحركة النسويّة

أرتميس نجاحها المهني والأكاديمي، أما العلاقة مع الرجل فهي شأن هامشي بالنسبة إليها.

من ناحية أخرى، تُمثّل أثينا نوعاً مختلفاً من الآلهة العذراء، فهي الإستراتيجية الرائعة، ومعلّمة الفنون، والأهم من ذلك، المدافعة عن النظام الأبوي. تُعتبر أثينا المعاون الرئيسي لزيوس، وقد لعبت دوراً مهماً في الحروب، وخصوصاً حرب طروادة. يُمكن لامرأة من نموذج أثينا، أن تكون قاسية وأن تفصل بسهولة بين العلاقات العاطفيّة والشؤون العمليّة. بتعبير آخر، تُمثّل أثينا المرأة المُفكرة والمُنظّمة بدرجة عالية، التي لا تملك إلا النذر اليسير من الحياة العاطفية والعلاقات بسبب منهجها الفكري المفرط في الحياة. على الرغم من هذه الجوانب السلبيّة لقوة أثينا، إلا أن الجوانب الإيجابية للقوة الفكرية والتنظيم تُعتبر صفات ذات قيمة عالية، خصوصاً في الأوساط الأكاديمية.

نصل إلى هيستيا آخر الإلهات العذراوات التي تتميّز بميلها إلى العزلة والتأمّل. في الأساطير، كانت هستيا بعيدة عن صراعات ومكائد جبل الأولمب. كقوّة نموذجية، تمثل هيستيا المرأة المتأمّلة والاستبطانية القادرة على التواصل مع قيمها الداخلية والتركيز على تجاربها الذاتية من دون أن يُشتّتها الآخرون. إنها امرأة تسعى إلى الهدوء ولا تبالي بالعالم المادي المزدحم والتنافسي حولها. يسمح تأثير هيستيا للمرأة بتحقيق التوازن الداخلي من دون القلق من التأثيرات الخارجية والضغوطات لتحقيق النجاح.

الفئة الأخيرة هي الإلهة الخيميائية، وهي ممثلة فقط بأفروديت. سُمّيت بالإلهة الخيميائية لأنها تجمع صفات أول فئتين وتُحوّلها. تميّزت أفروديت في الأسطورة بأنها الوحيدة التي اختارت شركاءها العاطفيين بدلاً من انتظارهم ليختاروها. كقوّة نموذجية، تُعتبر أفروديت ربّة الحبّ والجمال والجنس والإثارة لدى المرأة. لكن الطاقة الجنسية ليست التعبير الوحيد عن نموذج المرأة أفروديت، فالعمل الإبداعي يُمثل بعداً آخر من شخصيتها. تُجسّد أفروديت المرأة الخلّاقة التي تندمج بشكل مكثف وعاطفي في عملها من أجل إحياء رؤيتها الفنية. خلال عملية الخلق، تزداد قوة انفعالاتها، تماماً كشخص يقع في الحب، فتكتسب المشاهد والأصوات والألوان وضوحاً جديداً، ويتألق العالم بصورة بهيّة.

تناقش شينودا بولين في كتابها بالتفصيل المظاهر النفسية لكل نموذج أصلي، وأنواع الصعوبات التي يُرجح أن يُولّدها لدى كلّ امرأة، والعلاقات التي يُهيّئها لها. تؤكد الكاتبة أنّ قلّة قليلة من النساء هن مظاهر نقيّة لنمط واحد، إذ تشعر معظم السيدات بتأثير ما لا يقل عن اثنين او ثلاثة من أنماط الآلهة الأساسية ، وقد تظهر المشكلات والالتباسات عندما تملك المرأة في داخلها نماذج أنثوية ذات أهداف مُتضاربة. لذلك، يمكن للمرأة -الأمّ التي تتعرّض لتأثير قوي من ديميتر، أن تمتلك نمط أرتميس أو أثينا متطوراً بذات القدر، ما يدفعها إلى التفوّق في المجالات الفكرية والعملية الصعبة للغاية. هذان النموذجان من الآلهة المتعارضة، من منظور شينودا بولين، هما في قلب معضلة «المهنة او الأمومة» التي تواجه العديد من النساء اليوم.

على الرغم من أنّ كل نموذج من الآلهة يمارس ضغوطاً على المرأة للتصرف وفقاً لإلحاحاته، فإن المرأة التي تدرك هذه التحفيزات المختلفة لن تسقط تحت رحمة القوى اللاواعية وستقوم بخياراتها بشكل منطقي. فكلّما زاد فهم المرأة لقوّة وجاذبية القوالب النمطية الثقافية، أصبحت أكثر حريّة في اتخاذ قراراتها في الحياة.

يمكن القول إنّ جين شينودا بولين نجحت في تقديم المعلومات بأسلوب سلس وجذاب بحيث يفهم القارئ ما ترمي إليه من دون الحاجة إلى شهادة في علم النفس. كما أسهمت في سبر أعمق لعوالم الأنوثة من خلال عرض نظرة جديدة للنماذج النسائيّة ولتطور علم النفس الأنثوي، بهدف تشجيع المرأة على اكتشاف إمكاناتها الحقيقيّة وتحقيق التوازن الداخلي لمواجهة التحدّيات بثقة وصبر.

رواية

أحمد طيباوي: رحلة البحث عن الهوية

غنوة فضة

روايةُ الكاتب الجزائري أحمد طيباوي (1980) الجديدة «باب الوادي» (دار الشروق ـ 2023)، روايةٌ ملحميةٌ في التاريخ والحب والسياسة، وهي روايته السادسة بعدما حاز «جائزةَ نجيب محفوظ للأدب» (2021) عن روايته «اختفاء السيد لا أحد». يصوت قادم من حي باب الوادي، أحد أشهر الأحياء الشعبية في العاصمة الجزائرية، يقصّ أحداث الحكاية، ويبدؤ للقارئ باباً مفتوحاً على تاريخ الجزائر، واضعاً مسألة الهوية ضمن إطار زمني امتدّ من زمن الاحتلال والثورة، وحتى وقتنا الحالي. تحكي الرواية عن السياسة وعن آثارها تحت سطوة المحتل، وبعد ثورة منحت كل بطل من أبطالها وعياً مختلفاً عن الآخر. بعضهم أراد الحرية الحقة، وآخرون عاشوا مقموعين داخل انتماءاتهم الدينية والسياسية، ما منح الحكاية بعداً سياسياً، على الرغم من تركيزها على الشخصي فيه، إلا أنه بعدّ صنعه أبطالٌ صاغوا العالم تبعاً لأفكارهم وانتماءاتهم الذاتية.

يمنح الكاتب أبطاله أصواتاً متوازنة الحضور من دون أن ترجح كفة الضحية على كفة الآثم. يسمح للجميع بالتحرك والسرد، ولربما في بعض المواضع نلمس محاولة بعض الشخصيات التمرد على راويها والتملص من الحكاية نفسها، كما يفعل كمال، حين تُثقلُ عليه حياته ويفترضُ أن مصيره بيد راوٍ يتحكم بها، فيركن إلى فكرة التحرر من سلطة قلمه. إذ يُشكل عيشه في باب الوادي، موئلاً يتشعب منه الراوي لحياكة قصص أخرى. وكمال الذي أمضى ردحاً من عمره مع أمه وخالته وخاله يحاول معرفة أبيه، إذ لطالما شعر بأسرارٍ تحكم عالمه، وأسهمت نظراتُ خاله المشككة، وزلات لسانه لتزرع الحيرة في قلبه. يدرك الطفل باكراً أنه ابن لحكاية غامضة، ويقلقه شعور عارم بالخزي، لا يعلم إن كان لقيطاً، ولا إجابات تشفي شكوكه، ما خلا حكاية محكمة الإخفاء، تتناسل بعد أن يكبر وينخرط في رحلة البحث عن أبيه الحقيقي، وحتى يكتشف أنه عاش ضحية تلفيقاتٍ دفعتهم للتكتم على الخطيئة.

«لم يكن الماضي هو الذي يسجنه، بل هو من كان يسجن عقله وقلبه عنوةً في ذلك الماضي». من هنا يبدأ كمال رحلة البحث عن الهوية، ويضمر الكاتب عبرها رصد الأحداث التاريخية في البلاد، من خلال نكوص زمني، وكتابة تستشبك بمن فقدوا مصائرهم، وفقدوا أوطانهم، وحُكم عليهم أن يبدؤوا حياتهم في أماكن أخرى، ما جعل كتابة الروائي كتابة ملحمية، وهي لا تُظهر الصراع فقط من جانب الشخصيات، إنما تسم أفعالها بعنفٍ وطد من شتاتهم النفسي. فالصراع بين كمال وأسيا من جهة وبين كمال ومريم عنوانه الرغبة والخوف من الوقوع في الحب، والصراع ما بينه وبين خاله يحيى يسوّغه المال والجشع، فيما ينمو صراعٌ من نوع آخر بين عبد القادر بن صابر وبين خوفه من أن تجعل زوجته الأجنبية ابنهما أوروبي الطباع، وتغيّر له دينه. هذا إلى جانب عقدة فتيحة وحرمانها من الأمومة، وهو ما دفع عبد القادر لاختلاق كذبة موت الجنين ومنحه لها، ما منح الكذبة أيادي وأذرعاً، ومنح الطفل كمال مصيراً شائكاً، كان الكاتب بحث عبرهُ عن روح البلاد، ليس باعتبار المكان بطلاً للرواية، إنما امتداداً للإنسان، ومؤثراً في عالمه.

يطرح الكاتب هموم شبان هاجروا وتلقفتهم قوارب الهجرة، وآخرين حلموا عبر الانتماء إلى تنظيمات متشددة بالسطوة، فانتهوا رهائن للتعصب والسواد. وهو ما كرّس للعنف الذي ظهر في شتاتهم بعد مرور الزمن، وفي ضمائرَ أعياها صوت الحق الصارخ. نجد ذلك جلياً في حكاية عبد القادر بن صابر والد كمال الحقيقي، وقصة عيسى البوسعادي، وميل تلك الشخصيات لتكون رهناً لانتهاك العرف الاجتماعي والهرب مما اقترفته قبل سنوات طويلة. عبد القادر كشخصية عاصرت أحداثاً سياسية، لم يفلح زواجه من فرنسية في تبديل الماضي الغائر فيه. ذلك الخوف من معاندة العرف المزروع في ذاته، دفعه لمنح ابنه فتيحة في الجزائر، ما جعله رجلاً غارقاً في الماضي، ومملوءاً بالذنب، وهو ماضٍ نما في الشعور بالخطيئة إزاء طفل حرمهُ من هويته الحقيقية.

من صورة بطل ممزّق يسعى لتجاوز حياته المزيفة، وشاب يبحث عن ولادة جديدة، يرحل كمال محمّلاً بسؤاله الكبير، يستجدي العارفين به، وهو ما جعله يهرب طوال حياته من مواجهة ذاته والآخرين، وجعله عاجزاً، جراء تكريس حياته للبحث عن سؤال هويته؛ وهو سؤال من الماضي وعنه، قادم من الآخرين وعنهم، ما منحه ذلك الاغتراب في شخصيته، ومنحه دور الضحية. تلك المراوحة بين الماضي والحاضر، والإخفاق في كشف الحقيقة، جعلته شاباً مستكيناً، يحيا في الانتظار. إذ نجده في النهاية، وبعد اكتشاف الكذبة، مطالباً بالصفح عن الجناة، بكل تلك البساطة، ووفق سرد يهدر عمراً من الحزن، وحكاية طافحة بالتيه، يُطلبُ من الضحية أن تسامح الجلاد، ما يجعل من قصة الجناة والقضاة قصةً أزلية، تتحرك في كل الأزمنة، وينجرف كمالٌ معها حين يدرك أنها لم تكن قصته وحده، بل كانت قصة أمّ تبنّته لتخدم حرمانها، وقصة أب تكتّم خوفاً من الفضيحة، وحبيبات عشّن في مدار حكايته من دون أن يقدّرنَ على تحريره من ثقل الانتظار. يعلم كمال أنه بعد موت فتيحة، امه الوهمية، عاش حياته من دون شغف، إلا أن الحقيقة التي خلص إليها في النهاية كانت أفضل من حياةٍ صنعتها الأكاذيب والأوهام. «تاريخ الإنسان هو تاريخ هروبه من السقوط، وهو قرر أن يكون مختلفاً. لا شيء أقوى من الحتمية، وسينجرف معها بكامل ضعفه واستسلامه. عندما يموت، سيكون قد عاش حياته بدون شغف تقريباً، لكنها لن تكون في النهاية حصيلة من الأوهام والخيبات المروّعة».

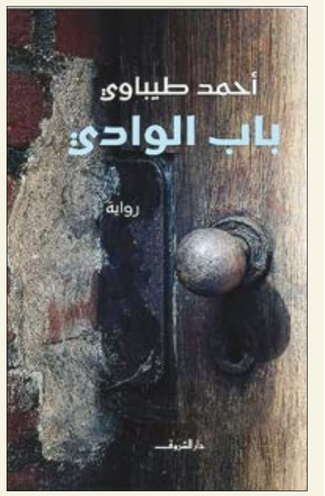

الجزائر منذ زمن الاحتلال والثورة حتى الراهن

وصف دقيق لرسم معالم الأماكن الخاصة بعالمها

لمحات

محمد شعير

تدور أحداث رواية «مصنع السكر» (دار غراب للنشر والتوزيع) للكاتب والناقد المصري محمد شعير، حول قصة حب بين رسّام مصري يدعى زياد متخصص في تصميم أغلفة الكتب يقيم في «حي النزهة» في مدينة القاهرة وامرأة سورية تُدعى ورد تعمل في مجال الثقافة وتعيش في «حي النزهة» في مدينة حمص. تبدأ العلاقة بين البطلين من خلال محادثة عبر موقع فايسبوك خلال عام 2021، في زمن انتشار وباء كورونا المخيف وسيطرته على العالم. لكنّ مسار هذه العلاقة يمرّ بتحولات ومشكلات عديدة، حيث تتطور الأحداث والتفاصيل في أماكن وأزمنة ويعيش أبطالها أزمات مختلفة. تتناول الرواية مواضيع متنوعة، مثل الحب والغيرة، الموت والحرب، وتبرز الصراع بين جميع الشخصيات من أجل إثبات صحة وجهات نظرهم. رواية «مصنع السكر» رحلة عشق وخيانة، فرح ودموع، نور ونار لحبيبين يعيشان تجربة غريبة ومشوّقة في عالم ملي، بالتناقضات.

إيثيل بفرهاوز

تتناول إيثيل بفرهاوز في كتابها «سيكولوجيا الجمال» (1905) الذي صدرت ترجمته العربية أخيراً (دار الحوار . ترجمة رفيدة جمال ثابت) ماهية التجربة الجمالية، وطبيعة المشاعر التي تستحثها، ولا سيما أنّ الدراسات والأبحاث تطورت في مجال الجمال لتكشف لنا عن فهم أعمق لطبيعته. أدى الاهتمام بهذا المجال إلى ظهور نظريات فكرية تستكشف طبيعة الجمال من جهة، ودراسات تحليلية للجمال الملموس وتأثيره على مشاعرنا من جهة أخرى. يهدف هذا الكتاب إلى دراسة الترابط بين الشعور الجمالي وعلم النفس الحديث والنظرية الفلسفية للجمال. فالجمال يظل صفة ثابتة بينما تتغير الأشكال المادية والتطبيقية والأفكار والاتجاهات الأخلاقية. كما أنّ الخصائص المميزة للعمل الفني تظل مستقلة عن الزمن، فالأعمال العظيمة مثل المعابد واللوحات الجدارية والسيمفونيات، تكون سِمات للجمال وأمثلة واضحة لقوانينه. وهذا يعني أنه عندما يتم تقييم هذه الأعمال، يمكن استخدام معايير الحكم النقدي لتقدير مدى جمالها وتحقيقها للقوانين الفنيّة.

سعيد بو خليط

يحتوي كتاب الباحث المغربي سعيد بو خليط «هواجس عالمنا الموبوء: سياقات وآفاق جائحة كورونا» (دار جبرا) على 34 مقالة تتناول مختلف الموضوعات المتعلقة بتأثيرات وتداعيات جائحة فيروس كورونا على العالم والمجتمع المعاصر. يهدف الكتاب إلى توثيق وجهة نظر الكاتب ومواجسه الشخصية خلال هذه الفترة الصعبة التي عاشها العالم أجمع نتيجة جائحة كورونا. تتنوع موضوعات الكتاب بين السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة والصحة والمجتمع. وقد قارب الباحث الآثار السياسية والاقتصادية للجائحة وتأثيرها على هيمنة القوى الكبرى في العالم، واستعرض التحولات السلوكية والتحديّات التي يواجهها الإنسان في ظل الجائحة، وناقش تأثير وسائل التواصل والترفيه الرقمي على الثقافة والمجتمع خلال مرحلة الوباء. كما عالج مسألة التوازن بين الحفاظ على الحقوق والحريّات الفردية وضمان السلامة العامة وتناول التغيرات المتوقعة في العالم بعد الجائحة وأثرها على الهوية والتواصل.

محمد الهادي عبد الرحيم

يعرض الباحث محمد الهادي عبد الرحيم في كتابه «مساهمة العرب في تطوّر المعرفة العلمية: أعمال رشدي راشد في الرياضيات مرجعاً» (مركز دراسات الوحدة العربية) دور العرب في تأسيس علوم أساسية وإنتاجها، أبرزها علم الرياضيات الذي نشأ في بيئة مجتمعية وثقافية وعلمية وفرتها الدولة الإسلامية في القرون الوسطى. يتناول الكتاب أهم إسهامات الحضارة العربية الإسلامية في الرياضيات، فيعرض بإسهاب «الحساب التوافقي» و«الجبر» من حيث هما مثالان لما استحدثه علماء الحضارة الإسلامية، ويبحث في «المثلثات العددية» و«رياضيات المتناهيات في الصغر» من منطلق أنهما مثالان لما قدمته الحضارة العربية الإسلامية من إضافات على مستوى المحتوى والمنهجية. وقد اعتمد صاحب الكتاب مراجع محكّمة في بحثه هذا خاصة أعمال الرياضي والفيلسوف المصري رشدي راشد.

غيوم ميسو

ينسج الكاتب الفرنسي الشهير غيوم ميسو حبكة بوليسية مشوقة في روايته «مجهولة نهر السين» التي صدرت ترجمتها العربية أخيراً (دار هاشيت/ نوفل). تبدأ القصة في إحدى ليالي ديسمبر الضبابية، مع انتشال امرأة شابة من نهر السين. كانت المرأة عارية وتعاني من فقدان الذاكرة ولكنها ما زالت على قيد الحياة. يتم نقلها إلى المصحة في مقر شرطة باريس، حيث تتمكن من الهروب بعد

ساعات. تظهر التحاليل الجينيّة والصور هوية الفتاة: إنها عازفة البيانو المشهورة ميلينا بيرجمان. لكن هذا مستحيل، لأن ميلينا توفيت في حادث تحطم طائرة قبل أكثر من عام. يقرر رافائيل، خطيب ميلينا السابق، وروكسان، ضابطة الشرطة البحث في القضية. يدمج الكاتب عناصر روائية وقصصاً متوازية عدة عن جرائم تمّ ارتكابها، على خلفية عقائدية، من مجموعة ذهانيّين تعبد ديونيسوس، إله الخمر عند اليونانيين القدماء، في طقس عبادي، يتم فيه تعطيل العقل والتحلّل من القيَم والتمرّد على النظام والهروب من الواقع وقوانينه.

عيسى برهومة

اللغة مرآة المجتمع، والمرأة نصف المجتمع، فهل كانت اللغة مرآة المرأة؟ أتى كتاب «اللغة والجنس: حفريّات لُغويّة في الذُّكورة والأنوثة» للكاتب الأردنيّ عيسى برهومة (الصّادر بطبعة جديدة عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر») ليتحرّى صُورة المرأة عبر الزمان والمكان في عوالم الاجتماع الإنسانيّ ولغاتها، ويقف باعتناء خاصّ إلى صورة المرأة في اللغة العربيّة وثقافتها. استعان برهومة بالمنهج اللّغوي الاجتماعي للقيام بهذه الدراسة التي توزعت على ثلاثة أبواب. حاول في الباب الأوّل استجلاء مكانة اللغة في المجتمع وتَلَبُّس المُسوِّغات المنهجية للعلاقة المُتحصِّلة بين السُّلوك اللُّغويّ والعامل الاجتماعيّ. في الباب الثّاني، عرض لِنظُرية اللغة إلى الجنس، فعاين المسألة في النّظام اللُّغويّ لاستجلاء تصنيف الجنس في العربية. أمّا الباب الثّالث والأخير ، فقد خَصّصه الكاتب لدراسة الخصائص اللُّغويّة للجنسين، ومَيَّز فيه بين الخصائص الصَّوتيّة والنُّطقيّة، والخصائص النَّحويّة واللَّفظيّة، والخصائص الدّلاليّة والأسلوبيّة.

ميرال الطحاوي: يوميّات اللجوء تحت «الشمس الحارقة»

منير الحايك

في كتابه «مشكلة المكان الفنّي»، يقول يُوري لوتمان إنّ «الذات البشرية لا تكتمل داخل حدود ذاتها، لكنها تنبسط خارج هذه الحدود لتصبغ كل ما حولها بصبغتها، وتستقطب على المكان قيَمها الحضارية». وفي رواية مكانها متخيّل، وهي منطقة خاصّة بنصّ «أيام الشمس المشرقة» (دار العين ـ 2023) لميرال الطحاوي، تضمّ من ضاق به المكان حيث مسقط الرأس، ليصل إلى تلك البلاد مهاجراً غير شرعي أو بأساليب مختلفة أخرى، ليحاول كما يقول لوتمان إكمال ما فقده من ذاته خارج حدودها الأولى، لا يسعنا إلا أن نطرح هذا السؤال: هل ستستطيع تلك النفس أن تصبغ ما حولها بصبغتها وتستقط قيمها الحضارية على المكان؟ يقول لوتمان أيضاً «هناك أماكن مرفوضة وأماكن مرغوب فيها، فكما أنّ البيئة تلفظ الإنسان أو تحتويه، فإن الإنسان، طبقاً لحاجاته، ينتعش في بعض الأماكن ويذبل في بعضها». من هذه الفكرة، تبدأ ملاحقة الشخصيات الروائية في «أيام الشمس المشرقة» وتبدأ معها ملاحقة التركيب المعقّد الذي اعتمدته الروائية المصرية في علاقات الشخصيات بالمكان وببعضها، وبالزمان بشكل أقلّ تأثيراً.

يوهمك العنوان بأنّ الزمان والمكان سيتقاسمان الرمزية بالتساوي، فالأيام/ الزمان والشمس المشرقة/ المكان يظهران قبل البدء بالقراءة، لكن عندما تبدأ بالقراءة، تبدأ الشخصيات بالحضور القويّ، بعلاقاتها الإشكالية في ما بينها، وبين كلّ منها والمكان، «الشمس المشرقة» أو «الجنّة الأبدية» أو «تلّة سنام الجبل» وبعدها «أشفيلد» وغيرها، حيث يتم اجتياز الحدود من معظم الشخصيات قبل أن تعود إلى «الشمس المشرقة»... اجتياز الحدود الذي يُظهر رمزية شخصية اللاجئ الذي ـ منذ لحظة إعلانه لاجئاً ـ يفقد قيمة ما، لم يكن يدرك امتلاكها قبل لجوئه، فلا يعود تصنيفه من قبل الآخرين بوصفه إنساناً عادياً كما كان قبل اللجوء.

الشخصيات تعدّدت وتشعّبت حتى كادت أن تفقد الرابط بينها إن أنت أهملت النصّ ولم تقرأ خلال أوقات متقاربة. وعلى الرغم من أن شخصية «نعم الخبّاز» كانت الأوسع حضوراً والأقوى تأثيراً، يبقى للشخصيات الأخرى الدور الذي أرادته لها الطحاوي بأن تؤدّيه. فابن نعم الذي تبدأ الرواية بخبر انتحاره، نكتشف في ما بعد امر ميوله الجنسية وعدم تقبّل المحيط له، حتى لا نسمّي «الشمس المشرقة» مجتمعاً، طالما أنها تجمّع اللاجئين، و«ميمي دودج» التي احتضنته، تموت أيضاً في نهاية الرواية.

شخصيات كثيرة تظهرها الرواية من أجل التركيز على تفاصيل حياة هؤلاء الهامشيين. وصولهم إلى «الشمس المشرقة» لم يكن طوق نجاة لهم، بل قد يكون بداية بؤسهم وكابتهم وانحطاط حياتهم والمستقبلهم، فزوج نعم الذي هرب، وابنها الذي تبعه، هما من المسحوقين الذين حاولوا البحث عن فرصة للعيش بهدوء ليس إلّا، ويوسف الأزهري الأستاذ الجامعي الفاسد ليس إلا واحداً ممن نعرفهم ونعرف أخبارهم التي تظهر إلى العلن بين وقت وآخر، وزهرة وياسمين، الطالبتان اللتان وقعتا عن وعي أو عن جهل في شرك الفاسدين مثله، أيضاً هما من اللواتي نسمع عنهنّ ونعرفهنّ، وغيرها الكثير من الشخصيات التي ظهرت لترتبط بقضايا اجتماعية طرحتها الرواية ولم تسعَ إلى التوسّع في نقدها أو معالجتها، بل جعلت السياق يوصلها إلينا لنقوم نحن بذلك الدور.

شخصيّتان كانتا أساسيّتين أدّتا أدواراً توازي حضور «نعم الخبّاز» داخل المكان: «نجوى (الفتاة البسيطة التي ورثت كل جزء قبيح من والديها، تجتاز الحدود إلى أشفيلد، ثمّ تعود إلى الشمس المشرقة) هي نموذج للمرأة الريفية البسيطة التي لم تكن علاقتها بالمكان علاقة اللاجئة، ولم يؤدّ اللجوء دوره في تحديد معالم شخصيّتها وطموحها وخيباتها واستغلالها، بل هي النموذج الذي يمكن أن نسقطه على كثيرات من بنات الشرق، بولدن «ضلعا قاصراً» ويتربّين على هذه الفكرة. ومهما حاولن، يبقين في نظر المجتمع الذكوريّ ملازمات تلك الصفة، مهما حاولت الواحدة منهنّ الدراسة والعمل وإثبات الذات، فكيف بمن لم يمتلكن المقوّمات الجسدية المؤهّلة لذلك!

شخصية أخرى أقلّ تأثيراً من نجوى، ولكنّ صفاتها تظهر في نهاية النصّ، تمهيداً للخاتمة التي تقضي بعودة قارب المهاجرين غير الشرعيين أدراجه، ورمي الأفّاكات سبعة أطفال في المياه ليتمّ قبولهم لاجئين، وما يرافق ذلك من نقاش وتعدّد آراء حول الأمومة والقسوة والنجاة والمستقبل، هي شخصية «سليم النجّار»، الفلسطيني اللاجئ في «الشمس المشرقة»، وهو اللاجئ الأول بين جميع اللاجئين، لأنه المطرود من أرضه والموسوم بصفة لاجئ أباً عن جدّ، ولكن ليست صفة اللجوء التي جعلت من شخصيته إشكالية، بل قصصه الأسطورية التي تتغيّر بحسب الظروف والشخص الذي يحاوره، فهو مرةً مولود في مخيّم عين الحلوة، وقد شهد الحرب الأهلية اللبنانية حيث ماتت أمّه في انفجار، ومرة هو ابن مدرّس للغة العربية يعمل في إحدى دول الخليج، ومرة ثالثة يقول إنه كان مع إحدى الميليشيات وكان دوره إيصال الجثث إلى ذويها أو رميها إن لم يستطيعوا إيجادهم والكثير من القصص. وهنا تكمن أهمية هذه الشخصية «اللاجئة» في مكان مخصص للجوء واللاجئين، فنتوقّع مع قصصه ما سيسرده أبناء الشمس المشرقة من قصص حقيقية وأخرى من نسج خيالهم للأجيال التي ستنشأ وتكبر هناك.

وصف دقيق لرسم معالم الأماكن الخاصة بعالمها

لقد ذكرنا أنها رواية مرهقة، اعتمدت الوصف الدقيق لرسم معالم الأماكن الخاصة بعالمها، والوصف جاء ليؤدي دور الإيهام بالواقع الذي يحتاج إليه القارئ عندما يقرر الروائي خلق عالم متخيّل ليؤدّي، مع الشخصيات والزمان والأحداث، أدواراً تطرح قضايا اجتماعية كثيرة، كاللجوء والفساد وغيرها، وليؤدّي أيضاً دوراً أبسط، كي يأخذ القارئ استراحات بسيطة قبل اللحاق مجدداً بالشخصيات وحيواتها المتشابكة.

هي «يوميات» تلك الشخصيات في «الشمس المشرقة». يومياتهم بكل خيباتها وبؤسها، بكلّ انتصاراتها الصغيرة في عيون الآخرين، بكلّ الصراعات النفسية التي تصيب هذه الفئات المهمّشة في مجتمعاتنا، فالشمس المشرقة ليست فقط مكاناً اخترعته ميرال الطحاوي على الحدود الجنوبية الغربية لأميركا، بل هي العشوائيات في مصر، ومخيّمات الفلسطينيين أينما كانت، ومخيمات اللجوء السورية واليمنية، والأحياء حيث الأقليات الفقيرة في مناطق لبنان الطائفية، وغيرها الكثير بحسب البلد وبحسب انقساماته، حيث يشعر أبناء البلاد بانفسهم لاجئين في أوطانهم. صحيح أن النصّ اختار أن يُبعد المكان عن عالمنا العربي، لكنه بذلك قرّبه أكثر من خلال المقارنات التي يجريها القارئ حتى يكاد يظنّ أنه يقرأ عن منطقة يعرفها في بلده.

أوراق

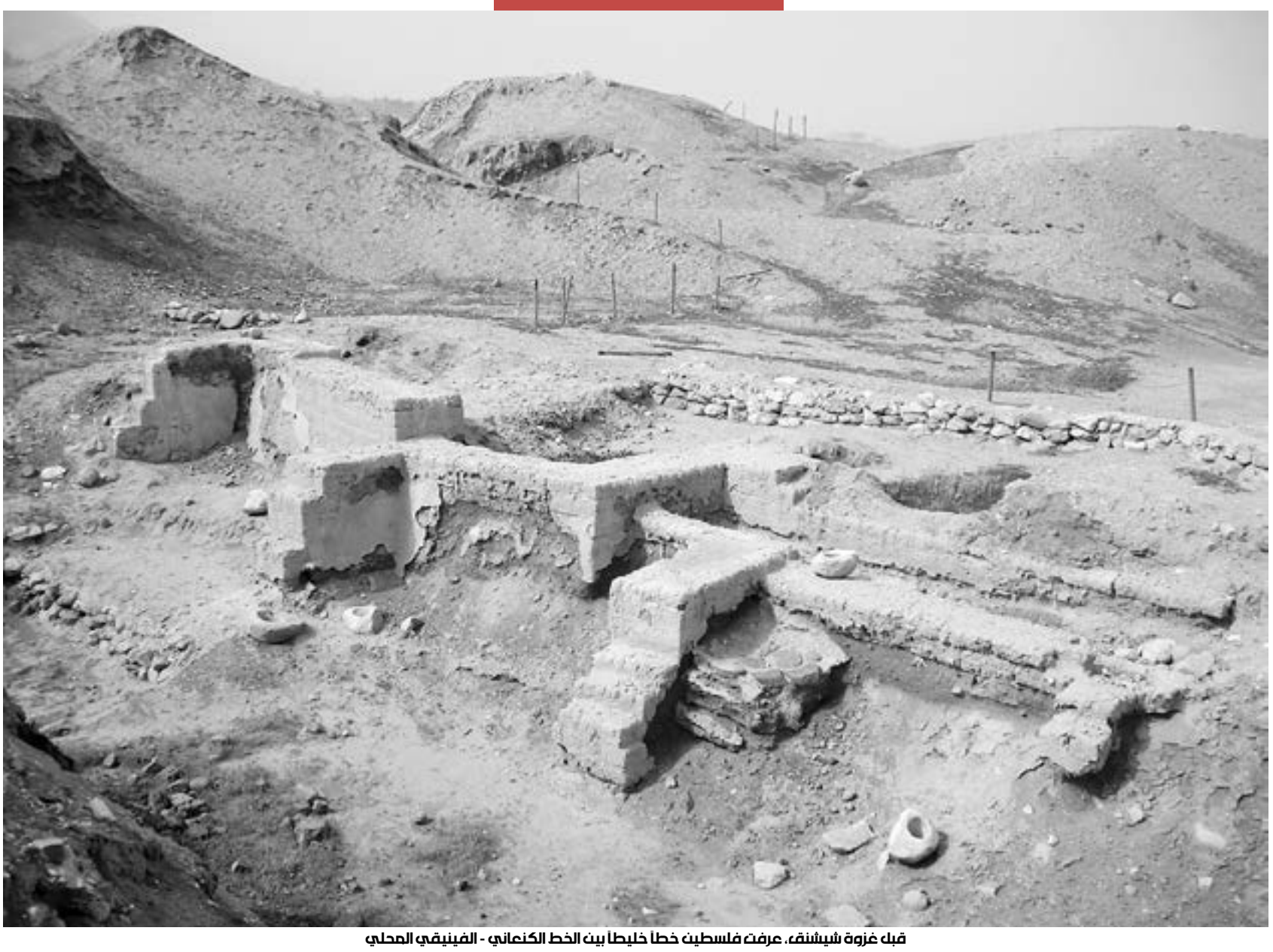

قبل غزوة شيشنق، عرفت فلسطين خطاً خليطاً بين الخط الكنعاني - الفينيقي المحلي

مصر والأبجدية في فلسطين

زكريا محمد *

ينتمي الجزء الأكبر من النقوش الفلسطينية بين القرنين الثاني عشر والعاشر ق.م، وربما حتى القرن الثالث عشر ق.م، أي منذ نهاية العصر البرونزي، إلى مرحلة انتقالية. ويمكن تعداد عدد من هذه النقوش التي تنتمي إلى هذه المرحلة: نقش روزنامة جازر، نقش تل زيتا، نقش خربة قيافة، نقش تل الصافي، نقش زير القدس، نقش عزبة سرطة، نقش تل الصارم «راحوف»، إضافة إلى نقش قدح ترشيحا «فيراديم»، إلخ. وهذا يعني أن كل هذه النقوش ليست فينيقية، وأنّ قراءتها على أنها فينيقية تعود إلى انبهامها وعدم فهمها. وهو ما يعني أن علينا إعادة قراءة هذه النقوش، المتنوعة جداً، منذ البدء.

ويمكن أخذ «روزنامة جازر» كمثال كبير على التشوّش والانبهام. فهذه الروزنامة المفترضة، التي اكتُشفت عام 1908، ليست روزنامة في الحقيقة، وليس فيها أي ذكر للأشهر، كما أنها ليست فينيقية الخط والأبجدية. وبالطبع، فهي ليست عبرية، كما يزعم عدد لا بأس به من مهاويس إسرائيل. إنها مجرد لائحة طلبيات في مشغل عطارة وأدوية، كانت تُمحى وتكتب مكانها لائحة أخرى حين يجري تلبيتها. وعلى رأس قائمة الطلبيات كان «الحضض» الدواء الشهير جداً في العصور القديمة، الذي يمكن العثور على اسمه في أكثر من نقش من النقوش القديمة. وعلى ذلك قس بقية النقوش.

ومن المحتمل أن هذه الفترة الانتقالية انتهت مع غزوة الفرعون المصري شيشنق لفلسطين في القرن العاشر ق.م. فقد كانت هذه الغزوة في ما يبدو تغييراً لقواعد اللعبة في جنوب بلاد الشام، بل وفي الشام كله من الناحية الثقافية. فقد تغيّر الخط، أي الأبجدية، تغيراً جوهرياً، وفي فترة قصيرة جداً نسبياً، وصار من الممكن الحديث عن نقوش فينيقية.

ويبدو لي أنّه لا يمكن دراسة تطور الألفباء في فلسطين والشام عموماً في نهاية العصر البرونزي وبداية العصر الحديدي من دون دراسة تأثير الوجود المصري. والواقعة الأساسية لهذا الوجود تتمثل في أنّ العداء المصري للهكسوس أدى في ما يظهر، إلى عداء شامل للأبجدية نفسها. فقط رُبطت الأبجدية بالهكسوس بشكل ما، وهو ما جعلها تبدو كياناً معادياً عند المصريين. وهو ما يشير إلى أنّ الهكسوس كانوا على علاقة وطيدة بالأبجدية. وربما كانوا من اخترعها وأحضرها إلى مصر معهم.

وقد أدى العداء للأبجدية إلى إرغام حكام مدن فلسطين وبلاد الشام على استخدام المسمارية الأكادية في مخاطبة الحكام المصريين في القرنين 13 و14، أي في نهايات العصر البرونزي، كما يظهر في رسائل تل العمارنة. فمخاطبة الفرعون أخناتون والإدارة المصرية كانت تجري بالأكادية، وكان على المدن الفلسطينية والشامية أن تتخلى عن كتابتها الأبجدية الخاصة الموجودة منذ خمسة أو ستة قرون على أقل تقدير، وأن تتحدث بالأكادية. وهذا أدى بالتأكيد إلى تعثر الأبجدية، وإلى ضعف النخبة التي تكتب بها. فلكي تكون كاتباً عند الحكام، عليك أن تتقن الأكادية، ولن ينفعك كثيراً أن تتقن الأبجدية، فهو لن يؤهلك لوظيفة كاتب في قصر أي زعيم من زعماء المدن. وهكذا انعزلت الأبجدية عن الحياة السياسية والثقافية، وظلّت تعيش في ركن صغير خاص بها، لكنها لم تمت. غير أنّ انحسار النفوذ المصري في بداية العصر الحديدي أدى إلى نهوض جديد للأبجدية، أي إلى عودتها كوسيلة رئيسية للكتابة في فلسطين.

ويبدو أنّ المصريين اضطرّوا إلى قبول الأبجدية بشكل ما في نهاية الأمر، لكن على أساس تصفيتها من الأثر الهكسوسي فيها. وفرضيّتي تقول إنّ الهكسوس قدموا من الجزيرة العربية. بذا فقد كانت الخطة المصرية هي محو أثر الجزيرة العربية في الأبجدية. وقد أدت هذه الخطة إلى ميلاد الخط الفينيقي كخط محلي في بلاد الشام في حدود القرن العاشر ق.م. وكانت «جبيل» في لبنان مركز هذا الخط كما يظهر. ويتوافق توقيت أقدم النصوص الفينيقية (القرن العاشر قبل الميلاد) مع غزوة الفرعون شيشنق لفلسطين ومناطق أخرى حولها ربما تكون منها أطراف شمال الجزيرة العربية. بذا يمكن القول إنّ الأبجدية الفينيقية التي نعرفها أُنتجت تحت الضغط المصري في فترة ما تقع حول غزوة شيشنق. أما قبل ذلك، أي الفترة الانتقالية التي نتحدث عنها، والتي استمرت طوال قرنين أو أكثر، فقد عرفت فلسطين خطاً خليطاً بين الخط الكنعاني - الفينيقي المحلي وخطوط شمال الجزيرة العربية. والنقوش التي ذكرتها أعلاه تقع ضمن هذا الخليط. ولأن الاتجاه العام في حقل النقوش الذي يسيطر عليه الإسرائيليون وأنصارهم، لا يقبل بفكرة خط انتقالي خليط، فإن النقوش المذكورة قرئت قراءة خاطئة على أنها فينيقية. بذا لم ننتفع بوجودها في فهم تاريخ فلسطين، ولا في فهم تطور الأبجدية في تلك الفترة.

بالتالي، فالمهمة المطروحة علينا الآن هي إعادة قراءة كتلة النقوش هذه. وتحقيق هذه المهمة لا يمكن إلا أن يكون عربياً. ذلك أنّ سيطرة الإسرائيليين على الحقل يجعل من المستحيل على غير العرب إعادة قراءة هذه النقوش من جديد.

* شاعر وباحث فلسطيني

سيطرة الإسرائيليين على الحقل يجعل من المستحيل على غير العرب إعادة قراءة هذه النقوش

على موقعنا: «زكريا محمد: المنذر العريان» بقلم عبد الرحيم الشيخ

قبل أيام من رحيله المباغت، حرص الشاعر والباحث الفلسطيني زكريا محمد (1950 – 2 آب/ أغسطس 2023) على إرسال آخر مقالتين لزاويته الأسبوعية في «أوراق». ظلّ حتى اللحظة الأخيرة يعمل على مستويات عدة، وفي حقول مختلفة، في محاولة للإفادة القصوى من «الوقت المستقطع الذي منحه إياه الله» كما قال مرةً. ننشر اليوم مقالته ما قبل الأخيرة وسط غياب لا يملأه أحد

Samedi 12 AOÛT 2023 no74
السبت 12 آب 2023 العدد 74

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

قوانين البناء والسلامة العامة... من المسؤول عن الحريق؟ [6 - 7]

الجيش وقوى الأمن في «بوز المدفع» [3]

«لعبة» خراب البيوت

[4 - 5]

(هيثم الموسوي)

قاووش

الدولة لا تسدّد كلفة الطبابة في السجون

يشكو احد السجناء في رومية المأ شديدا في صدره. حالته غير مستقرة والسبب مجهول. كيف لا، والسجن يخلو من الاطبّاء المتعاقدين مع المديرية العامة لقوى الامن الداخلي المضربين عن تغطية الخدمات الطبّية منذ مطلع تموز المنصرم (راجع «الاخبار»، 12 تموز 2023، «سجن رومية بلا اطبّاء!»). يبدو ان المعاناة والمشكلات لا تفارق السجون ولا حتى اماكن الاحتجاز. والحلول الموقتة التي تقدمها القوى الامنية مع بعض المعنيين والجمعيات، لا تجدي نفعاً مع سجون تفتقر لادنى المعايير الدولية، وتواجه صعوبات جمّة في تامين الاحتياجات الاساسية للسجناء، مع استحالة تحمّل الكثير منهم واهاليهم كلفة الاستشفاء على نفقتهم الخاصة بعدما اصبحت الفواتير بالدولار. فهل بامكان بعض الجمعيات والمؤسسات الدولية وحدها سدّ فراغ الاطبّاء وتامين بدل اتعابهم لتوفير الرعاية الصحية للسجناء؟

(هنى الوبيه)

أحمد مدلج

«ما في غير الـ Panadol» يقول كريم، أحد نزلاء سجن رومية. إنه الجواب الوحيد لكل مَن يشكو أي عارض صحي. «ما في طبيب معاين بيقدر يجي يساعدني وصعبة يتأمّنلي الدوا»، وفي حال احتاج إلى دخول مستشفى، عليه أن يتحمّل التكاليف جميعها، «الروحة على حسابي». لا يجد كريم جدوى من حديثه عن أي موضوع يتعلق بحال السجون. فبالنسبة له، وربما للكثير من السجناء، «الكلام ما بقا ينفع. صرلنا سنين منحكي وما حدا بلاقي حل حقيقي ودائم».

تجد أم خالد صعوبة بتأمين تكاليف عملية ابنها النزيل في رومية، مع عدم وجود طبيب معاينته والتأكد من حالته (انسداد في الأمعاء) وإعطائها التقرير اللازم وخصوصاً أنه يعاني مشاكل صحية ونفسية أخرى «صعبة دبّر مصاري بالدولار للمستشفى ووضعه الصحي مش معروف، ما بقدر اتديَّن وخاطر آخذ ابني على العملية ليموت من التقصير». كما أنها تؤمّن على نفقتها الأدوية الخاصة بعلاج مشكلاته النفسية (Risperdal وRemeron وSeroquel XR).

إضراب الاطبّاء!

مع استمرار إضراب أطبّاء الصحة العامة منذ شهر، يستعان في السجن المركزي، وفق رئيس جمعية «عدل ورحمة» الأب نجيب بعقليني، بالضبّاط الأطبّاء. إلا أن النقص ما زال موجوداً والوضع الصحي للسجناء من سيّئ إلى أسوأ.

> **طبيب السجن: يوميتي ما بتتعدى الـ800 الف ليرة وبدك إقدر إجي عالسجن؟ انبحّ صوتنا من الحكي**

يضيف بعقليني لـ«القوس» أن الاكتظاظ وعدم تسريع المحاكمات لا يزالان من المشكلات الأساسية التي تعانيها السجون منذ سنوات. وكل ذلك يؤثر بطريقة سلبية على الاحتياجات الأساسية للنزلاء كون الموارد محدودة. فالوضع الصحي «حدّث ولا حرج». مشيراً إلى أن الجمعية تؤمّن، بالتعاون مع جمعيات أخرى، الكلفة اللازمة في حال تطلب الأمر إجراء عملية لأحد السجناء أو تأمين أدوية ناقصة. (للاطّلاع على واقع السجون، راجع صفحة 8، «ذاك المكان..»).

تشير إحدى الجمعيات التي تعمل في سجون النساء (زحلة وبعبدا وطرابلس وبربر خازن) إلى إضراب الأطبّاء في سجن طرابلس الذي يعاني أيضاً نقصاً في الأدوية يغطيه الأهالي وبعض الجمعيات. أما في سجن زحلة فيحضر الأطبّاء مرّة كل أسبوعين. ويعود سبب الإضراب إلى عدم قدرة تحمّل «معالجي المرضى» المجيء إلى السجن مقابل بدل مالي لا يغطي حتى كلفة النقل.

الحل بالمال

«يوميتي ما بتتعدّى الـ800 ألف ليرة وبدك إقدر إجي 3 مرات عالسجن؟ انبحّ صوتنا من الحكي»، يقول أحد الأطباء المتعاقدين مع سجن رومية لـ«القوس»، مضيفاً إن منظمة الصليب الأحمر ساعدت الأطبّاء لمدة مؤقتة، لتتفاقم المشكلات من جديد فلم يعودوا قادرين على التحمّل. إذ يعاني سجن رومية مثل أغلبية السجون نواقص كثيرة أهمّها تراجع الطبابة وفقدان الأدوية. والمشكلة، وفق الطبيب، تكمن في «المعاشات»، و«الحل بالمصاري وبإعطائنا حقنا لنعيش».

هناك فارق كبير بين طبيب صحة عامة يختار العمل داخل السجون مقابل بدل لا يتخطى مليون ليرة، وآخر يتراوح الكشف الطبي «الفحصية» في عيادته بين 20$ و50$. صحيح أن بقاء السجناء من دون طبيب أمر في بالغ الخطورة، لكن من العدل والإنصاف إعطاء الأطبّاء المتعاقدين مع السجون بدل أتعاب يحافظ على كرامتهم ويمكّنهم من الاستمرار في تقديم خدماتهم الإنسانية بيُسر.

3 مرّات أسبوعياً

«ينبغي على الأطبّاء أن يزوروا السجن ثلاث مرّات على الأقل في الأسبوع ويجروا فيه تفتيشاً صحياً شاملاً وأن يتّخذوا كل التدابير الواقية من الأمراض الوبائية وأن يعتنوا بأمر المرضى ويزوروهم كُلّما دعت الحاجة إلى ذلك، ويُستشارون في الأمور الصحية وخواص المأكولات التي يقدمها المتعهدون والتي تباع في الحانوت. وعليهم أن يدوّنوا ملاحظاتهم في السجل» (المادة 53 من مرسوم تنظيم السجون الرقم 14310).

بورصة حانوت السجن المركزي كانون الثاني Vs آب 2023 (بالليرة اللبنانية)

نوع البضاعة	كانون الثاني 2023	آب 2023
كروز «سيدرز» قصير	227,500	557,550
رب البندورة «الطائر الذهبي»	160,000	187,342
بصل (1 كلغ)	23,666	55,000
كوسى (1 كلغ)	35,000	60,000
فليفلة حلوة (1 كلغ)	37,666	100,000
بندورة بلدية (1 كلغ)	25,666	65,000
جزر (1 كلغ)	25,000	120,000
أرز مصري (1 كلغ)	45,500	110,980
أرز أميركي (1 كلغ)	54,500	94,870
لبن «خوري» (1 كلغ)	84,000	180,000

نوع البضاعة	كانون الثاني 2023	آب 2023
مياه «ريم» (صندوق كبير)	65,000	166,022
سكر (1 كلغ)	54,250	94,000
كرتونة البيض	200,000	354,000
مسحوق غسيل «بيرلكس» (650 غرام)	52,500	122,615
سجق (< 1 كلغ)	390,000	752,000
موز (1 كلغ)	28,000	100,000
بطاطا (1 كلغ)	20,000	45,000
مشروب غازي «بيبسي» (300 مللتر)	20,000	46,540
رأس الثوم	14,000	55,000
بطاطا «ماستر شيبس» (كيس - 34 غرام)	6,000	14,320

تحت القوس

في «بوز المدفع»

عمر نشابة

صدر بيان عن المديرية العامّة لقوى الأمن الداخلي - شعبة العلاقات العامة هذا الأسبوع، أشار إلى «تراجع كبير في الجرائم الهائمة المُرتكبة» خلال الأشهر السّبعة الأولى من العام الجاري، مقارنة مع الأشهر عينها من العام الماضي.

لا شكّ أنه خبر إيجابي مفيد، خصوصاً في بلد يعتمد على السياحة ويسعى إلى جذب الاستثمارات في مختلف قطاعاته الإنتاجية. كما أن نشره على نطاق واسع قد يعطي انطباعاً جيداً عن الوضع في لبنان وسط تكاثر الأخبار المقلقة أمنياً، وأبرزها أخيراً الاشتباكات المسلّحة المأساوية التي وقعت في مخيم عين الحلوة وتسبّبت بشلّ الحركة في مدينة صيدا والجوار، والاشتباك الذي سالت فيه الدماء على أرض الجبل في الكحّالة، وارتفع معه منسوب التوتر الطائفي والمناطقي مذكّراً بالحرب الأهلية.

بيان قوى الأمن صدر بعد يومين على دعوة بعض السفارات العربية رعاياها إلى مغادرة لبنان فوراً لدواعٍ أمنيّة، إذ إن قوى الأمن سعت إلى طمأنة الوافدين والمقيمين من أن المخاطر الأمنية التي تحذّر منها تلك السفارات هي فعلياً تحت السيطرة ولا داعي لتخويف الناس، لأن ذلك يؤثّر سلباً على الوضع الاقتصادي في ظل الأزمة الراهنة. ورغم النقص في الموارد والرواتب والعديد والتجهيزات والمعنويات، لا يزال آلاف العسكريين والرتباء والضبّاط من قوى الأمن الداخلي والجيش والأمن العام وأمن الدولة والشرطة البلدية يلتحقون بمراكزهم ويقومون بوظائفهم على مدار الساعة وفي كل أنحاء البلاد.

لكن، مع غياب القضاء المستقلّ والتراجع المستمر لثقة الناس بالقضاء المحلي، يوضع الجيش وقوى الأمن في «بوز الدفع». وما حصل في الكحّالة خير دليل على ذلك.

فبعد وقوع حادث انقلاب الشاحنة، حضر درّاج من قوى الأمن إلى المكان وعمل على تنظيم حركة السير، ثم استُقدمت رافعة لإزالة الشاحنة من وسط الطريق وتبع ذلك توتر وظهور مسلح ورمي الحجارة وإطلاق نار، ما أدّى إلى إراقة دماء شخصين، ولم تُعرف حتى الآن تفاصيل ما حصل. (فصيلة بعبدا في قوى الأمن الداخلي باشرت في التحقيق منذ وقوع الحادث وجمعت الأدلة وكشفت على مسرح الجريمة وأحيل المحضر أول من أمس إلى مديرية المخابرات في الجيش بناءً على إشارة مفوّض الحكومة لدى المحكمة العسكرية).

تدخّل الجيش بسرعة وسيطر على الموقف، وانتشر عناصره في المنطقة لمنع توسّع الاشتباك المسلح وباشروا العمل على إزالة الشاحنة من المكان.

منذ هذه اللحظة، بدأ التحريض ضد الجيش اللبناني عبر وسائل الإعلام واتّهامه بالانحياز إلى مصلحة «حزب الله» بسبب قيامه بإزالة الشاحنة من المكان. وادّعى البعض أن المكان هو مسرح جريمة ولا يجوز إزالة شيء منه إلا بعد حضور وحدة الأدلة الجنائية لرفع الأدلة والبصمات. يشهد للبعض إصرارهم الحفاظ على مسرح الجريمة وهو ما لم يكن يحصل سابقاً. إنما كان يفترض أولاً توسيع دائرة مسرح الجريمة لتشمل كامل منطقة الحوادث التي وقعت وألا تقتصر على الشاحنة ومحيطها المباشر. وأن يبتعد الجميع، بمن في ذلك المواطنون وأهالي المنطقة، عن مسرح الجريمة الموسّع، لا أن يسعى بعضهم إلى فتح الصناديق التي كانت داخل الشاحنة كما ظهر في بعض التسجيلات المصوّرة. كما أن الحفاظ على مسرح الجريمة لا يكون برشق الحجارة وإطلاق النار باتجاه الشاحنة بعد وقوع الحادث كما فعل بعض من أطلقت عليهم وسائل إعلام صفة «الأهالي».

> **في ظل تغييب القضاء المستقل والتراجع المستمر لثقة الناس بالقضاء المحلي يوضع الجيش وقوى الأمن في خطر**

تحرّكت النيابة العامة العسكرية وبدأت تحقيقاتها بعيداً عن الإعلام، والتقط المحققون العسكريون صوراً مفصّلة للمكان وجمعوا بعض الأدلة الجنائية. إشارة هنا إلى أن المعايير العلمية في التحقيقات الجنائية تتيح إزالة بعض موجودات مسرح الجريمة بعد تصويرها ورفع البصمات عنها إذا كانت تعيق حركة المرور على طريق حيوية.

لم ترد منذ أول من أمس معلومات عن توقيف أشخاص رهن التحقيق، بينما كان يفترض الإسراع في جمع المعطيات منذ اللحظات الأولى للاشتباك المسلّح، وتوقيف جميع الأشخاص الذين كانوا في المسرح واقتيادهم إلى مركز التحقيق لأخذ كامل إفاداتهم ثم ترك غير المسلحين منهم بسند إقامة والتوسّع في التحقيق مع الآخرين، ثم مقارنة أقوالهم بإفادات الشهود وبالتسجيلات المصوّرة. كما كان من المفترض تحديد تسلسل الأحداث بدقّة والاستعانة بتحليل الأدلة الجنائية للقيام بذلك، لأن الساعات الأولى التي تتبع الحدث تُعدّ أساسية للكشف عن الملابسات.

بكل أسف لم يحصل كل ذلك، ولم يحضر مفوّض الحكومة لدى المحكمة العسكرية إلى المكان بعد الحادثة، ولم يُحدد مسرح الجريمة بالشريط الأصفر وإبعاد الناس عنه، بل عمّت الفوضى وارتفعت الأصوات المهاجمة للجيش اللبناني. حاول بعض الضبّاط التوضيح بأن الجيش صادر الشاحنة لنقلها إلى مركز عسكري ومتابعة التحقيقات القضائية، غير أن بعض القوى السياسية المعادية لـ«حزب الله» تجمهرت في المكان ودقّت أجراس الكنائس. علا الصراخ وارتفعت الدعوات لحمل السلاح واستذكر البعض مجازر ارتُكبت بحق اللاجئين الفلسطينيين في لبنان مهدّدين بتكرارها بحق جمهور الحزب.

وجد الجيش نفسه في «بوز المدفع»، ليس بسبب تدخّله لمنع الاقتتال الداخلي، بل لاتهامه زوراً بالانحياز إلى مصلحة فريق ضد فريق آخر. علماً أن الجيش قام بواجباته ولم يتجاوز المعايير القانونية.

وفي قراءة أولية شاملة لتسلسل الأحداث منذ صدور بيانات التحذير عن بعض السفارات العربية، لا يُستبعد أن يكون لأجهزة استخبارات أجنبية دور في افتعال التوترات وتحريض بعض اللبنانيين على بعضهم. يستدعي ذلك تحقيقاً موسّعاً ومراقبة رسمية صارمة لنشاط بعض السفارات وبعض الجهات الأجنبية والعربية في لبنان قبل وقوع الأحداث الأخيرة وبعدها.

لكن لا بدّ من التشديد هنا على ضرورة أن تُجرى التحقيقات بإشراف القضاء المختص، وأن تحال إلى القضاء الجالس لإصدار حكمه وتبيان الحقيقة بشكل قاطع لا يحتمل الشك. فهل سيتمكّن القضاء اللبناني الذي يعاني من التدخلات السياسية في عمله ومن نقص حادّ في الموارد ومن نظام لا يضمن أصلاً استقلاليته من كشف ملابسات ما حصل أخيراً من الكحّالة وغيرها من الحوادث الأليمة التي أدّت إلى إراقة الدماء، ووقوع ضحايا وبلبلة أمنية؟

يبقى الجواب المنطقي على هذا السؤال سلبياً، لكن ذلك لا يعني تبرير الاستعانة بجهات أجنبية أو دولية للمساعدة، لأن لكل من الدول الأجنبية سياساتها ومصالحها، ولن تتردد أيّ من الدول «المساعدة» للبنان في تقديم مصالحها على مصالح اللبنانيين حتى لو كان في ذلك تجاوز للقوانين والأصول والمعايير.

في ختام هذا المقال، كما في مطلعه، إشارة إلى بيان قوى الأمن الداخلي الذي دعا إلى «الحرص على تطبيق القوانين النّافذة واحترامها، فالأمن مسؤوليّة مشتركة». والوصول إلى العدالة والإنصاف كذلك: مسؤولية مشتركة.

(هيثم الموسوي)

في الواجهة

شهدت منطقة الشياح إطلاق نار على مركز غير شرعي للمراهنات، اتّخذه بعض المراهقين القُصّر مكاناً لهم، بعد اكتشاف إحدى الأمّهات أن ابنها سرق منها ليشتري حساباً من المركز نفسه ليراهن «أونلاين». هذا ما تداولته وسائل إعلامية عدة في منتصف شهر تموز المنصرم، مع استنكار شامل لأهالي المنطقة وللمعنيين، لكن من دون معالجة فعّالة حتى اليوم. من لعبة «ورق الشدّة» داخل أحد المقاهي، أو من رهانٍ على مباريات كرة القدم. هكذا يبدأ الكثير من الشبّان طريق الإدمان. يأخذهم فضولهم للتعرف إلى خفايا هذا العالم، وتُغريهم فكرة الربح السهل والسريع ثم تتوالى الخسائر. فينغمسون في جحيم القمار. لكن، كيف يمكن لهذه المنطقة أو غيرها من المناطق، التي تعدّ بيئة محافظة، أن تنتشر فيها وبكثرة مثل تلك الآفة؟ في محاولة للإجابة عن هذا السؤال، تستعرض هذه المقالة الآثار النفسية والاجتماعية لإدمان القمار، «الإدمان السلوكي»، وتسلط الضوء على طرق العلاج والوقاية منه

«لعبة» خراب البيوت

أحمد مدلج، سمر قرحات

قرر جاد ورامي الذهاب إلى كازينو لبنان عند بلوغهم الواحدة والعشرين. كان ارتياد الكازينو بالنسبة لهما بوابة الدخول إلى «عالم الرجولة». عالمٌ ظنّا أنه سيعزز ثقتهما بنفسهما ويبني لهما شخصية الـ«جِغل». فور دخولهما قسم «شوفيرية التاكسي»، القسم الذي يشتهر بارتياده بعض سائقي السيارات العمومية، وهو عبارة عن غرفة مليئة بماكينات الشّقّيّة «Slot machines»، وطاولات القمار الإلكترونية (الرولِيت)، ويصدر منها ضجيج ممزوج بالبكاء. دُهش الشابان عند رؤية امرأة تركل إحدى الماكينات لخسارتها كل أموالها، بعد أن اتّضح أنها كانت معلّمتهما في المدرسة. لم تتردد بالتوجه نحوهما حين أدركت بدورها أنهما من طلابها السابقين وقالت: «أنا معلمتكم شو نسيتوا؟ معكم 500 ألف ليرة. دخيلكم ساعدوني». لم يحالفها الحظ في تلك الليلة، فتوسّلت إليهما إقراضها الأموال لتعويض خسارتها. شعورٌ بالخوف والارتباك طاول جاد ورامي بعد مشاهدة «مثلهم الأعلى» في موقف لا تحسد عليه.

> إدمان العاب الميسر قد يوازي خطورة إدمان المخدرات على الصحة النفسية

مريم، أم لولدين، وجدت في حقيبة ابنها الأصغر عماد ورقة مراهنات لمباريات كرة القدم. تمنت لو أنها ورقة رسوبه في المدرسة لكانت «أرحم بـ100 مرة». تروي كيف واجهت ابنها: «معك دقيقة لتقلي شو عم تعمل هالورقة معك، عم تراهن؟ إشبك شي براسك؟». أجابها حينها بصوت مرتجف: «والله مش قمار، هيدي مثل اللوتو، كنا عم نتسلى أنا ورفيقي. ما تقولي شي لبابا والله ما عم قامر».

حالات كثيرة كان ولا يزال يعانيها المجتمع اللبناني. فالعاب الميسر والمراهنات على سباق الخيل ومباريات كرة القدم وغيرها من الألعاب الرياضية لم تأتِ نتيجة الأزمة الاقتصادية بل كانت موجودة منذ ما قبل عام 2019. ولعل تضاعف هذه الحالات بعد الأزمة جاء نتيجة سهولة الوصول إليها من قبل غالبية الشباب عبر منصات إلكترونية ومكاتب غير شرعية منتشرة في زاوية الشوارع. علماً أن ذلك يعدّ جريمة وفق المادة 633 من قانون العقوبات اللبناني. فكل من تولى محلاً للمقامرة أو نظّم العاب مقامرة ممنوعة سواء في محل عام أو مباح للجمهور أو في منزل خاص اتُخذ لهذه الغاية يعاقب بالحبس من ثلاثة أشهر إلى سنتين وبالغرامة من مئتي ألف ليرة إلى مليوني ليرة.

مندوب القمار

عرفت العاب الميسر تطوراً ملحوظاً في السنوات الماضية. فلم يعد ارتياد الكازينوهات والنوادي الليليّة الوجهة الوحيدة للمقامرين. يكفي أن تمر بمقهى في إحدى الضواحي لتُلاحظ كثرة المراهنات على أي حدث رياضي، أو أن تحمّل على جهازك الإلكتروني بعض تطبيقات الألعاب كالرولِيت، والبلاك جاك، والبوكر وغيرها. تحوّل هذا التطور مع الوقت إلى ظاهرة مجتمعية خطيرة بعد وقوع الكثير من المراهقين والشباب في هذا المستنقع ضحايا للإغراءات والإعلانات الجذّابة، وللاستغلال من قبل «مندوبي المقامرة»، الذين شكلوا شبكة لإدارة حسابات اللاعبين. وكانت النتيجة انتشار السرقة والاستدانة بالفائدة، وإدمان المخدرات، وحالات نفسية صعبة. لم تكن جائحة كورونا السبب الوحيد لانتشار «القمار» الإلكتروني بعد إغلاق صالات العاب الميسر بسبب الحجر الصحي. إنما يعود ذلك أيضاً إلى الأزمة الاقتصادية التي أفقدت الكثير من الشباب وظائفهم وأموالهم، وأبعدتهم عن استكمال تعليمهم في المدارس والجامعات. فكان البحث عن جني المال بأي وسيلة.

من PUBG إلى Roulette

معظم مستخدمي هذه التطبيقات من الشبّان لا يعترفون بالمقامرة. فهي بالنسبة إليهم مجرد ألعاب للتسلية وتمضية الوقت. لكن تبعاتها، من العزلة الطويلة والانطوائية والخسائر المادية المتتالية، تشكل ضرراً على النفوس كما على المجتمع. إذ دفع تزايد حالات السرقة والابتزاز والاشتباكات المسلحة العشوائية في بعض المناطق بالمسؤولين إلى رفع الصوت عالياً للتوعية حول خطورة هذه الألعاب لما تشكله من حالة إدمان لا تقل خطورة عن إدمان المخدرات.

كان محمد (13 عاماً)، أصغر هؤلاء المدمنين، بدأ رحلته مع القمار بعد بقائه لساعات طويلة بمفرده، في ظل انشغال والديه وعملهما خارج المنزل، بمبلغ خمسين ألف ليرة. ثم انتقل إلى اللعب في النهار بأكمله ببعض الألعاب الإلكترونية مثل «بابجي»، ما دفعه إلى تجربة المزيد من الألعاب التي تنتشر إعلاناتها وتغري المستخدمين بربح مبالغ إضافية. تقول والدة محمد إنها بدأت تلاحظ تغيراً في سلوكه بعد أشهر قليلة «صار كتير عصبي وعدواني، وصار يطلب مصاري زيادة»، إلى أن اكتشفت أنه بدأ يسرق المال من والده. وهنا اتخذا القرار بعلاجه.

التدخّل العلاجي

يُحال الكثيرون من مدمني العاب الميسر الإلكتروني إلى معالج مختص بعد تدهور حالتهم النفسية والصحية. بعضهم يأتي مجبراً، والبعض الآخر يدرك خطورة وضعه فيطلب المساعدة من تلقاء نفسه. هذا ما تشرحه لـ«القوس» مسؤولة قسم الإرشاد الاجتماعي في مستشفى الشفاء للطب النفسي نعمت هاشم. إذ تقول إنه لا يمكن الحكم على أحد قبل التأكد من بعض السلوكيات التي تبدأ عادة بالعزلة ثم تخطّي ساعات طويلة في استعمال الهاتف والعصبية وتغيير واضح في السلوك. وعادة ما يترافق معها أعراض أخرى كالاكتئاب والشعور بالذنب وتقلبات مزاجية وأفكار سوداوية مثل الانتحار، مضيفةً: «بعد تشخيص الحالة من قبل طبيب نفسي مختص تبدأ رحلة العلاج داخل المستشفى، ويتضمّن جلسات إرشادية وعلاج سلوكي معرفي».

> خطة أمنية مؤقتة؟
>
> تعمد بعض الجهات المحلية إلى فرض خطة أمنية في مدة محددة من السنة، أثناء حدث معيّن كحلول شهر رمضان مثلاً، لمنع الأنشطة الجنائية. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل تشمل هذه الخطط الأنشطة الجنائية جميعها؟ وهل ستستمر إلى ما بعد انتهاء الحدث أو المناسبة؟ ربما من الأفضل ألا تنحصر الخطة في مدة زمنية محددة وأن تشمل، ليس فقط تجار المخدرات والسلاح، بل أيضاً مكاتب المراهنات ومختلف ألعاب الميسر، بسبب ما تشكّله هذه الآفة من مخاطر على الفرد والمجتمع. فسحب الغطاء عن كل مَن يقف خلف مشغّلي تلك المكاتب هو أكثر من ضروري.

تشرح هاشم أن أغلب المراهقين، أي ما دون سن الرشد، يرفضون فكرة العلاج. فيكون إبعادهم عن استخدام الأجهزة الإلكترونية هو بداية طريق التعافي. أما الشباب الذين تتخطى أعمارهم الثامنة عشرة يكونون أكثر تقبّلاً، لكن عادة ما يصلون إلى المستشفى بعد فقدانهم الأمان النفسي والمجتمعي والمادي. كيوسف مثلاً، الذي وصل إلى مستشفى الشفاء بعدما كاد أن يفقد حياته «خسائر مادية ومشكلات عائلية أدخلته في حالة اكتئاب حاد، حتى راودته فكرة الانتحار، فقرر أن يتعالج».

تقول اختصاصية علم النفس الاجتماعي، إلسي غزال، إن «الإدمان على القمار قد يؤدي إلى نتائج ثلاث، الاكتئاب واضطرابات شخصية انطوائية ومشكلات سلوكية عدائية. وهنا يكون دور المعالجة النفسية في غاية الأهمية».

Easy money

تشير غزال إلى أن الإدمان على ألعاب الميسر بشكل الخطورة ذاتها كالإدمان على الكحول والمخدرات من الناحية النفسية. ويختلف الأمر من شخص إلى آخر، إذ يمكن للإدمان على ألعاب الميسر أن يكون قد بدأ لكسب الأموال السهلة، أو لتمضية الوقت، أو لتعويض خسارة ما، أو لأسباب أخرى. وتضيف: «بعض الأشخاص يبدأون اللعب بمبالغ بسيطة، ثم يزيدون المبلغ تدريجياً، وبعضهم يبدأ بمبالغ كبيرة منذ البداية، وهذا يعتمد على شخصية الفرد وعلى الأسباب التي دفعته للعب».

المراهقون أكثر عرضة

تصبح المسؤولية، وفقاً لشمس الدين، مشتركة بين الآباء من جهة، وبين المعلّمين والفاعلين في المجتمع من جهة أخرى، بهدف اتّخاذ التدابير المناسبة لتثقيف الشباب وحمايتهم من مخاطر المقامرة عبر الإنترنت، كالآتي:

- تبدأ الخطوة الأولى مع التعليم والتوعية، ويتضمّن ذلك تثقيف الآباء والمعلّمين والشباب حول المخاطر والعواقب المرتبطة بالمقامرة عبر الإنترنت.
- دمج برامج الوقاية من المقامرة في مناهج المدارس لتثقيف الطلاب حول مخاطر المقامرة وتطوير التفكير النقدي ومهارات اتخاذ القرار.
- يمكن لمشغّلي المقامرة عبر الإنترنت تنفيذ سياسات المقامرة المسؤولة والتدابير التي تقيّد الوصول إلى الأفراد دون السن القانونية.
- التعاون مع المنظمات المجتمعية، مثل نوادي الشباب أو النوادي الرياضية أو المجموعات الدينية، لتقديم خدمات الدعم لمدمني ألعاب الميسر.
- توفير الوصول إلى خدمات الاستشارة والدعم للأفراد الذين يعانون الإدمان على المراهنات، وتقديم التوجيه للأفراد المتضررين وأسرهم.

كما تطالب الاختصاصية في علم النفس العيادي زهرة الغول بوضع خطة تقوم على تدخل بعض الوزارات، كوزارة الداخلية والشباب والرياضة والإعلام وغيرها من الوزارات المعنية لمساعدة الشباب للخروج من حالة الإدمان على الميسر. كذلك ملاحقة كل مكتب مخالف للقانون يقدّم خدمات المراهنات، وإغلاق/حجب كل موقع إلكتروني أو تطبيق يروّج لها.

تسويف شبكي

أشارت دراسة أجريت عام 2023 لمجموعة باحثين من أستراليا والمملكة المتحدة بعنوان «حماية الأطفال والشباب من التسويق المعاصر للمقامرة» إلى كيفية تعرّض الأطفال إلى التسويق الشبكي المكثّف لمنتجات المراهنات. الأمر الذي يؤدي إلى قبول فكرة أن ألعاب الميسر هي في الأساس شكل من أشكال الترفيه غير المضر، رغم وجود أدلة متزايدة على الأضرار التي تسببها تلك الألعاب. تحث الدراسة على دعم أولياء الأمور عبر استراتيجيات حماية الطفل، لأن الجهود التنظيمية الحالية غير مثبّتة وغير كافية، ولم تحم الأطفال من التعرض لبيئة متطورة من تسويق المراهنات، وهو أمر مخالف لاتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الطفل.

كما تعتبر الدراسة اعترافات بعض الباحثين وصانعي السياسات بشأن حجم الأضرار الاجتماعية والصحية الجسيمة المتعلقة بالعاب الميسر على صعيد الأفراد والعائلة والمجتمع. وتشمل هذه الأضرار انهيار العلاقات الأسرية وتراجع الصحة الجسدية وانخفاض الأداء الأكاديمي وارتفاع نسب البطالة والديون والعنف والجريمة والتشرد وحتى الانتحار.

المراهنات والسلوك الجاني

صنّفت دراسة أجريت عام 2018 لباحثين إسبان بعنوان «سمات المقامرة والاندفاع: هل هي وصفة لسلوك إجرامي؟» الإدمان على المراهنات كحالة نفسية متعلقة بالاضطرابات الصحة العقلية. كما أشارت إلى أن غالباً ما يرتبط النشاط الإجرامي بالمراهنات، إذ إن عدداً من المراهنين في عيّنة البحث (الذين لديهم تاريخ في السلوك الإجرامي) لديهم ديون أيضاً متعلقة بالمراهنات. كما أظهرت الدراسة أن المراهنين الذين ارتكبوا أعمالاً جرمية مختلفة يميلون إلى الانخراط في سلوكيات جنائية تعدّ أخطر بكثير.

من يدير القمار أونلاين؟

مُنح كازينو لبنان، عام 1994، بموجب قوانين ومراسيم تستند إلى قانون «القمار» الملغى الصادر عام 1945، حقاً حصرياً باستثمار العاب الميسر في لبنان. وحددت المادة الأولى من القانون المذكور أنواع الألعاب المسموح القيام بها على أرض الكازينو كالآتي: «ألعاب الروليت والبكارة والفرعون والسباق والكرة والثلاثون الأربعون والخيال الصغير وسائر الألعاب المماثلة».

ونظراً لمساوئ هذه الألعاب وما قد ينتج عنها من حالات إدمان، حظرت المادة السابعة من القانون نفسه «دخول النادي على غير الراشدين الذين لم يتموا الحادية والعشرين من عمرهم وعلى موظفي الدولة والبلديات ورجال الجيش والمستخدمين المدنيين فيه...».

أما تشغيل ألعاب القمار عبر الإنترنت والمراهنات الرياضية فقد مُنحت لمديرية اليانصيب الوطني وفق مرسوم صدر عن مجلس الوزراء عام 2012، لكن خلافاً نشأ بين كازينو لبنان وبين هيئة الشراء العام. بعدما أعلن الأول تلزيم شركة «OSS» تشغيل ألعاب القمار والمراهنات الرياضية عبر الإنترنت، في تشرين الثاني الماضي. سيفتح هذا الخلاف، الذي يندرج ضمن «الفوضى القانونية» الحاصلة في البلد، الباب أكثر حول انتشار مثل هذه الأنشطة وسهولة وصولها إلى كل بيت مع غياب الضوابط القانونية التي تقيّد تشغيل ألعاب القمار ضمن أرض الكازينو وليس في الفضاء الإلكتروني. (راجع «الأخبار»، 23 آيار 2023، «مخالفات الكازينو: الدولة «تستلشق» بـ 500 مليون دولار سنوياً!»)

> «والله ما عم قامر يا ماما، هيدي مثل اللوتو عم نتسلى أنا ورفيقي. ما تقولي لبابا»

(أرشيف ـ الأخبار)

خسارة لا خسارة بعدها

وحول سبب ارتفاع معدل الإقدام على المراهنات في ظل الأزمة الاقتصادية، يقول أستاذ علم الاجتماع والعميد السابق للمعهد العالي للدكتوراه في الجامعة اللبنانية طلال عتريسي لـ«القوس»، إن الإنسان يعتقد أن المراهنات قد تحسّن وضعه الاقتصادي، وذلك قد يكون مجرد وهم فقط. لأنه يحلم ويسعى إلى فعل أي شيء للخروج من تلك الضائقة المعيشية، مضيفاً إن المراهنات لن تجلب إلا الخسائر المتتالية، وعلى الفرد أن يقتنع بذلك. فالإدمان على ألعاب الميسر قد يؤدي إلى انعدام القدرة على التفكير بشكل منطقي فيصبح الفرد متعلقاً نفسياً وعاطفياً بتلك المراهنات. يعتقد عتريسي أن «لا شيء سيوقفه عن تحصيل الأموال التي خسرها بأي وسيلة كانت. إن كان على شكل دين مع فائدة أو حتى القتل والسرقة من أجل المال من أقرب الناس إليه. وقد يذهب إلى تعاطي المخدرات لنسيان خسائره تلك».

«شربة مي»

تختلف المواقع الإلكترونية المخصصة للمراهنات (نتحفّظ عن ذكرها لمنع المساهمة في انتشارها)، ولكن ما يجمعها هو سهولة الوصول إليها بكبسة زر. إذ يمكن تسجيل الدخول إليها عبر إنشاء صفحة خاصة بالزائر وربطها ببطاقة مصرفية أو بالعملات الرقمية. وإذا كان الشاب أو الطفل لا يمتلكان تلك البطاقة فيمكنهما إنشاء صفحة خاصة عبر أحد مكاتب المراهنات غير الشرعية.

تستفيد شركات صناعة ألعاب الميسر من التقدم التكنولوجي عبر تطوير آلات المراهنات الإلكترونية على الإنترنت. إلى جانب اعتمادها استراتيجيات تسويق جديدة، إذ يمكن غالباً الوصول إلى منتجات المراهنات من خلال منصات التواصل الاجتماعي.

سين جيم

قوانين البناء والسلامة العامة... من المسؤول عن الحريق؟

اندلع حريق في مستودع يقع تحت أبنية سكنية عدة مطلع آب الجاري، علماً أنها ليست المرة الأولى التي يقع فيها مثل هذا الحادث في مستودع داخل حيّ سكني. الأمر الذي يثير مسألة بالغة الأهمية، وهي مسؤولية صاحب المصنع أو المستودع والدولة معاً في مراقبة تطبيق القوانين التي ترعى تصنيف المؤسسات وسلامة الأبنية والقاطنين فيها

(هيثم الموسوي)

صادق علوية

نصّ قانون البناء، الذي صدر بموجب المرسوم الاشتراعي رقم 1983/148، وعُدّل عام 2004، في مادته الثالثة عشرة على أنه يمكن بمرسوم بناءً على اقتراح وزير الأشغال العامة والنقل بعد استطلاع رأي المجلس الأعلى للتنظيم المدني فرض شروط ومبادئ لدراسة متانة الأبنية واستعمال مختلف مواد البناء وفرض شروط خاصة لحماية الأبنية من أخطار الحريق، أو لتحمّل البناء نتائج العوامل الطبيعية من زلازل وسواها.

عام 2005، صدر المرسوم الموعود رقم 14293 تاريخ 2005/3/11 المتعلق بـ«شروط تأمين السلامة العامة في الأبنية والمنشآت وفي تجهيزات المصاعد والوقاية من الحريق والزلازل» وعُدّل عام 2012 بموجب المرسوم رقم 7964 تاريخ 2012/4/7. إذ نصّ على وجوب التدقيق الفني في التدابير العائدة للوقاية من مخاطر الحريق كتحمّل المواد وعناصر البناء لتأثير النار، ومدى معالجة حصر الحريق، وطرق الخروج، والتقطيع والهروب، ووسائل الإسعاف، وأجهزة أنظمة الإنذار والتنبيه وإطفاء الحريق وتجهيزات سحب الدخان طبيعياً. (الفصل الثاني من الملحق رقم 1).

ما هو التدقيق الفني للأبنية؟

هو معاينة ومراجعة وفحص تصميم وتنفيذ المنشآت والمواد وعناصر التجهيزات المنفّذة في إطار عملية البناء بهدف المساهمة في الوقاية من المخاطر التي قد تنتاتى عن المواصفات الفنية المعتمدة في هذه العملية وإبداء الآراء المناسبة بهذا الشأن.

من هو المدقّق الفني؟

هو الشخص الطبيعي أو المعنوي المعتمد من قبل السلطة العامة والذي يطلب إليه صاحب العمل إجراء مهمات التدقيق الفني.

من هو المسؤول عن تطبيق متطلبات السلامة العامة في الأبنية والمستودعات؟

يعدّ صاحب المصنع، في حال وجود مصنع أو منشأة في البناء، بموجب المادة 4 من المرسوم رقم 2012/7964، مسؤولاً عن تطبيق متطلبات السلامة العامة في مصنعه. أما لجهة المباني، فيعدّ المالك (أو جمعية المالكين)، مسؤولاً عن تطبيق متطلبات السلامة العامة في الأبنية والمنشآت، لا سيّما لجهة متانة البناء والصيانة الدورية للأبنية وتجهيزاتها وفقا لأحكام قانون البناء.

هل يتوجب على المصانع والمؤسسات الشبيهة تجهيز المباني ضد الحريق؟

يتوجب على صاحب المؤسسة قبل تقدّمه بطلب الترخيص أن يرفق تعهّداً منه بتجهيز المبنى الصناعي بوسائل مكافحة الحريق الملائمة لنوع الصناعة المطلوبة.

هل يقتضي إجراء عقود تأمين ضد الحريق والأخطار الإضافية التابعة له وطوارئ العمل والمسؤولية المدنية ضد الغير؟

يقتضي إبراز بوليصة تأمين للحصول على شهادة أو إفادة صناعية بناء على المرسوم رقم 8018 تاريخ 2002/6/12 «تحديد أصول وإجراءات وشروط الترخيص بإنشاءات المؤسسات الصناعية واستثمارها» ولا سيّما المادة 40 منه وبموجب القرار رقم 1/56 الصادر عن وزير الصناعة بتاريخ 2012/3/28. إذ اعتُمد نموذج خاص بالمصانع لطلب التأمين ضد الحريق والأخطار الإضافية التابعة له وطوارئ العمل والمسؤولية المدنية ضد الغير خصوصاً في المصانع بموجب قرار وزير الصناعة رقم 1/81 الصادر في 2012/6/20.

كيف يتم التدقيق بالنسبة للأبنية القائمة حالياً؟

يحدد تاريخ العمل بالتدقيق الفني الإلزامي، بقرار يصدر عن وزير الأشغال العامة والنقل بعد صدور مرسوم ملحق بناء على اقتراح الوزير ذاته يقضي باعتماد مقاييس ومواصفات خاصة وملائمة مستندة إلى المواصفات والمقاييس المعتمدة للأبنية والمنشآت الجديدة.

ولا يمكن لصاحب العمل المباشرة بتنفيذ أي بناء أو منشأة مرخصة إلا بعد الاستحصال على أمر مباشرة بالتنفيذ من المهندس المسؤول مسجّل لدى نقابة المهندسين لكي يتسنى لهذا الأخير القيام بمسؤولياته في الإشراف ومراقبة التنفيذ وفق الأصول.

كما يقتضي على وزارة الصناعة مراقبة مدى تقيّد أصحاب المصانع بشروط السلامة العامة ولا سيّما لجهة اتخاذ الاحتياطات اللازمة لعدم حصول أي حريق، ويمكن للبلديات بدون الحاجة إلى أي قرار من أي وزارة المباشرة فوراً بالمراقبة عملاً بالمادة 74 من قانون البلديات، التي تنص على واجبات رئيس البلدية بالاهتمام باتخاذ وسائل الوقاية من الحريق والانفجار وطغيان المياه كتنظيم مصلحة المطافيء ومراقبة الأماكن التي تخزّن فيها المواد الملتهبة والمتفجرة والمحروقات وتحديد كميات هذه المواد التي يجوز لهذه الأماكن تخزينها والأمر باتخاذ وسائل الوقاية الواجبة عليها.

من المسؤول عن تعويض المتضررين جزاء الحريق؟

على صعيد المسؤولية المدنيّة، فإن المسؤولية الناتجة عن الحريق هي مسؤولية وضعية بالاستناد إلى نص المادة 131 من قانون الموجبات والعقود، وبالتالي فإن صاحب المنشأة الصناعية في هذه الحالة هو حارس الجوامد المنقولة وغير المنقولة وهو يكون المسؤول عن الأضرار التي تحدثها تلك الجوامد حتى في الوقت الذي لا تكون فيه تحت إدارته أو مراقبته الفعلية، وهذه المسؤولية الوضعية لا تزول إلا إذا أقام هذا المالك البرهان على وجود قوة قاهرة أو خطأ من المتضرر ولا يكفي أن يثبت مالك المنشأة أنه لم يرتكب خطأ.

> صنّف قانون العقوبات الحريق ضمن جنايات الخطر الشامل

عقوبات الحريق

صنّف قانون العقوبات الحريق ضمن جنايات الخطر الشامل، لذلك وضع فصلاً مخصصاً للحريق (الفصل الأول من الباب التاسع) يتضمّن أحكاماً خاصة وعقوبات قاسية على الحريق المتعمّد وعقوبات أقل قسوة على الحريق الناجم عن الإهمال

ما هي عقوبة الحريق المتعمّد؟

إذا كان الحريق مفتعلاً ومقصوداً فهو يشكل الجناية المنصوص والمعاقب عليها بمقتضى المادة 587: من أضرم النار قصداً في أبنية أو مصانع أو ورش، أو مخازن، أو آي عمارات آهلة أو غير آهلة واقعة في مدينة أو قرية، أو أضرمها في مركبات السكة الحديدية أو عربات تقل شخصاً أو أكثر غير المجرم أو تابعة لقطار فيه شخص أو أكثر من شخص أو أضرمها في سفن ماخرة أو راسية في أحد المرافىء أو في مركبات هوائية طائرة أو جاثمة في مطار سواء أكانت ملكه أم لا، عوقب بالأشغال الشاقة الموقتة مدة لا تقل عن سبع سنوات.

وكل حريق أو محاولة حريق اقترف بقصد إلحاق ضرر مادي بالغير أو جرّ مغْنَم غير مشروع للفاعل أو لآخر يعاقب عليه (بموجب المادة 590) بالحبس والغرامة.

ما هي عقوبة الحريق الناجم عن غير قصد؟

نصّت المادة 593، على أن: من تسبّب بإهماله أو بقلة احترازه أو عدم مراعاته للقوانين أو الأنظمة بحريق شيء يملكه الغير عوقب بالحبس سنة على الأكثر.

ما هي عقوبة إضرام النار؟

أ- في أبنية مسكونة؟

■ يعاقب بالأشغال الشاقة الموقتة مدة لا تقل عن سبع سنوات، وفقاً للمادة 588، من يضرم النار قصداً في أبنية مسكونة أو معدّة للسكن واقعة خارج الأمكنة الآهلة أو في أحراج أو في غابات للاحتطاب أو في بساتين أو في مزروعات قبل حصادها سواء أكانت ملكه أم لا.

ب- في أبنية غير مسكونة؟

■ يعاقب بالأشغال الشاقة الموقتة، وفقاً للمادة 589، من يضرم النار قصداً في أبنية غير مسكونة ولا مستعملة للسكن واقعة خارج الأمكنة الآهلة أو في مزروعات أو أكداس من القش أو في حصيد متروك في مكانه أو في حطب مكدّس أو مرصوف أو متروك في مكانه، سواء كان لا يملك هذه الأشياء أو كان يملكها فامتدت النار أو كان يمكن أن تمتد منها إلى ملك الغير.

ما هي عقوبة تعطيل آلة مركبة لإطفاء الحرائق أو إغفال تركيب أجهزة لإطفاء الحرائق؟

يعاقب بالحبس من ثلاثة أشهر إلى سنتين من نزع آلة مركبة لإطفاء الحرائق أو غيّر مكانها أو جعلها غير صالحة للعمل. ويعاقب، بموجب المادة 594، بالعقوبة نفسها فضلاً عن غرامة تراوح بين مئتي ألف ومليون ليرة من كان مجبراً بحكم القانون أو الأنظمة على اقتناء آلة لإطفاء الحريق فأغفل تركيبها وفقاً للأصول أو لم يبقها صالحة للعمل دائماً.

متابعة

العقاب البدني لتأديب الأطفال؟

برز تساؤل بعد انتشار مقاطع مصوّرة حول تعنيف الأولاد من قبل الأهل: هل يجوز قانوناً للوالدين أو لأحدهما ضرب الأبناء، وهل يحق ذلك للمعلّمين؟

«لا يُعدّ جريمة الفعل الذي يجيزه القانون»، وفقاً للمادة 186 من قانون العقوبات، التي تنص في فقرتها الأولى على أن ضروب التأديب التي ينزلها بالأولاد آباؤهم وأساتذتهم على نحو ما يبيحه العرف العام، لا تعدّ جريمة.

إلا أن هذه الفقرة تعدّلت عام 2014 والغي السماح بتعنيف الطفل استناداً إلى «اتفاقية حقوق الطفل» التي اعتمدتها الجمعية العامة للأمم المتحدة في 1989/11/20، وأبرمها لبنان بتاريخ 1990/11/20، والتي نصّت في المادة 19 على أن:

> يجيز القانون للآباء والامهات تاديب اطفالهم شرط الا يترك آثارا جسدية او نفسية

«تتخذ الدول الأطراف جميع التدابير التشريعية والإدارية والاجتماعية والتعليمية الملائمة لحماية الطفل من كافة أشكال العنف أو الضرر أو الإساءة البدنية أو العقلية والإهمال أو المعاملة المنطوية على إهمال، وإساءة المعاملة أو الاستغلال، بما في ذلك الإساءة الجنسية، وهو في رعاية الوالد (الوالدين) أو الوصي القانوني (الأوصياء القانونيين) عليه، أو أي شخص آخر يتعهّد الطفل برعايته».

وبالتالي، عُدّلت الفقرة بموجب القانون الرقم 286 تاريخ 2014/4/30، واستبدل مضمونها بالنص التالي:

«أنواع التاديب غير العنفي التي يمارسها الآباء والأمهات على أولادهم، على أن لا تترك أي أثر على جسد الأولاد او تحدث ضرراً في صحتهم الجسدية أو النفسية».

ألغي تماماً، بموجب القانون المذكور، حق التأديب للمعلمين في المدارس مما يعني أن ما يجيزه القانون هو فقط التأديب الذي تتوفر فيه الشروط التالية:

- التأديب غير العنيف.
- أن يمارسه الآباء والأمهات على أولادهم.
- ألا يترك أي أثر على جسد الأولاد أو يحدث ضرراً في صحتهم الجسدية أو النفسية.

صادق ..

(ارشيف ـ الاخبار)

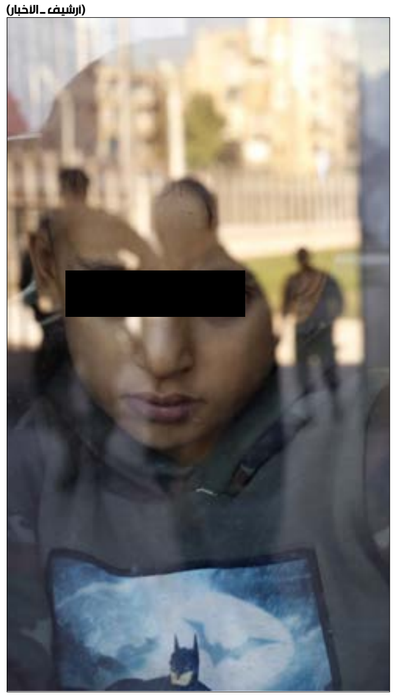

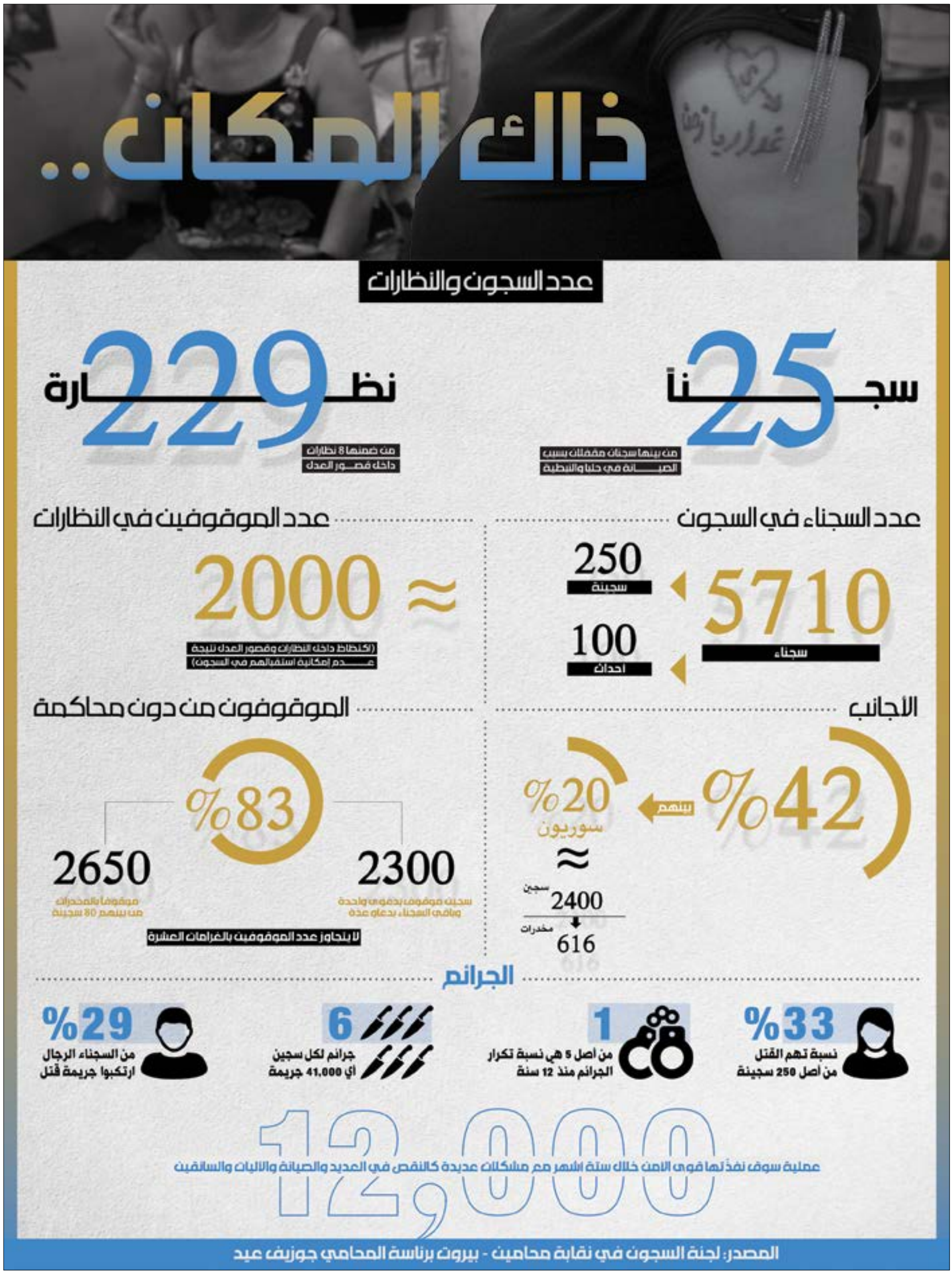

القوس

■ فريق التحرير: **عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، ألف باء القانون، بشرى زهوة**
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: **رامي عليّان**

alqaous al_qaous alqaous22 alqaous 01/34 99 54
info@alqaous.com www.alqaous.com